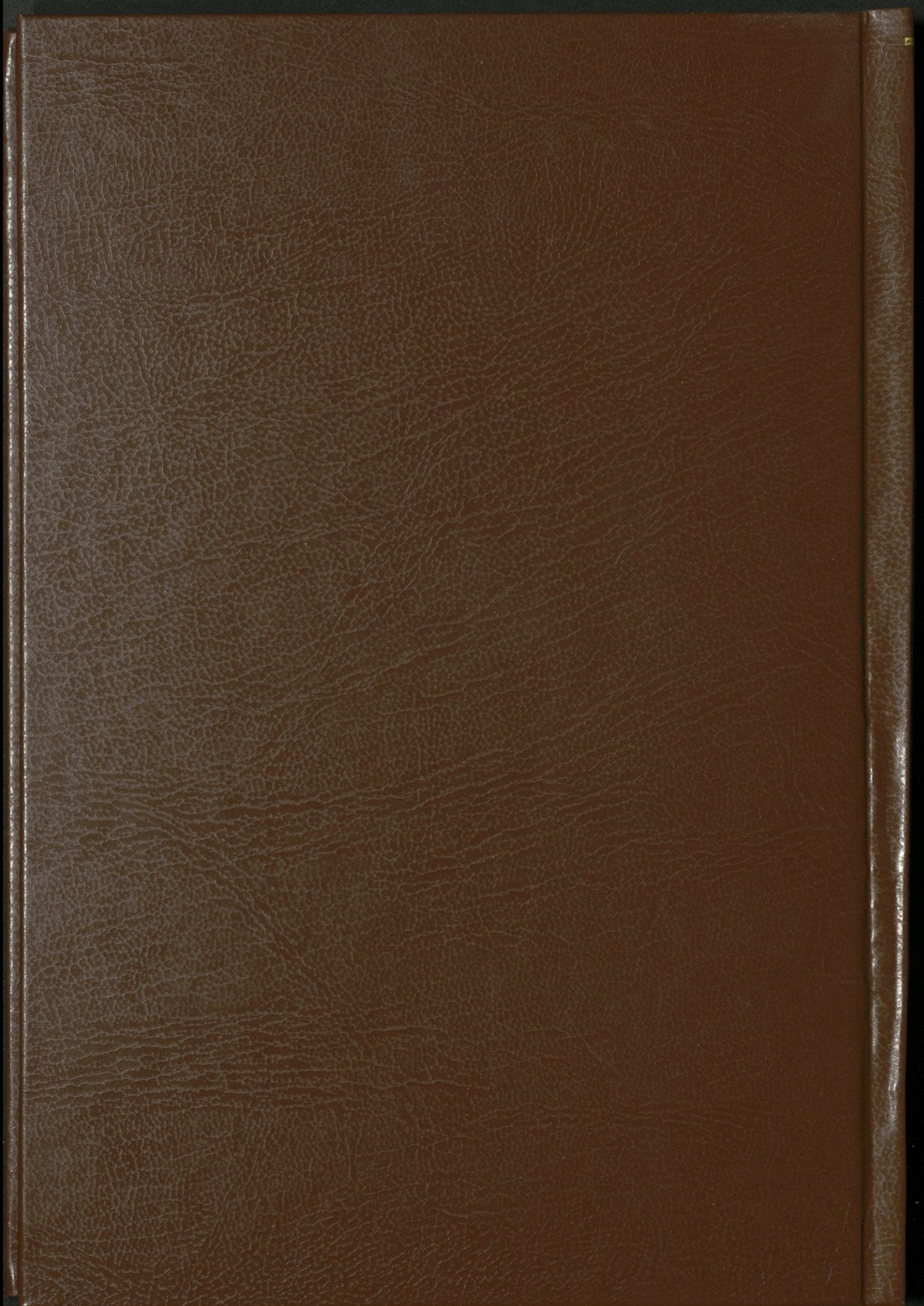




U B. LIBRARY

AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT



ALB. LIBRARY

892.709

M232A

V.2

C.2

الاتجاهات الأدبية في العالم العربي الحديث

وهي دراسات تحليلية للعوامل الفعالة
في النهضة العربية الحديثة ولظواهرها الأدبية
الرئيسية

أنبس الخوري المقدسي

استاذ شرف للادب العربي في جامعة بيروت الاميركية
وعضو المجمع العلمي العربي

الجزء الثاني

الطبعة الاولى ١٩٥٢

جَامِعَةُ بَيْرُوتِ الْأَمِيرِكِيَّةِ

مَنْشُورَاتُ كَلِيَّةِ الْعُلُومِ وَالْأَدَبِ



سِلْسِلَةُ الْعُلُومِ الشَّرْقِيَّةِ :

الحلقة الثالثة والعشرون^(١)

(١) وقع خطأ في ترميم الجزء الأول من هذا الكتاب بالحلقة الحادية والعشرين من هذه السلسلة وصوابه « الحلقة الثانية والعشرون »

الاتجاه الاجتماعي

ويتناول النهضة الاجتماعية في العالم العربي
وما ينعكس عنها من آثار أدبية

مقدمة المؤلف

(١) في المجال الثقافي

١- المجال الثقافي : المجال الثقافي هو المجال الذي يتناول فيه المؤلف القضايا الثقافية والفكرية والادبية. (١)

توطئة

(كان الادب القديم عموماً يعيش في كنف الملوك والامراء او من يتصل بهم من ارباب الثروة والجاه). فمنذ استقرار الملك العربي في دمشق ايام الامويين ثم في بغداد ايام العباسيين نرى الشعراء يقفون على ابواب الخلفاء او يقصدون بعض رجال الدولة من العمال والوزراء. ولما ضعف شأن الخلافة ونشأت مع الزمان امارات مستقلة صار لكل امارة اديباء يستظلون بها ويعيشون في اكنافها كالبلوية في فارس والعراق، والحمدانية في حلب، والاششيدية فالفاطمية فالابوية في مصر والشام، وملوك الطوائف في الاندلس. وظل الامر على هذا المنوال حتى اواخر القرن الماضي ومطلع القرن الحاضر. وليس بعيداً عنا عهد الامير بشير الشهابي والحدوي اسماعيل والشيخ ابي الهدى الصيادي والامير عباس الثاني وسواهم من ارباب الامر والمال ومن كان يقصدهم او يلتف حولهم من الكتبة والشعراء. فلا جرم كان الادب قديماً، وخصوصاً الشعر منه، ارستوقراطي النزعة يحوم حول البلاط الملكي او البهو الاميري متزلفاً الى ذوي الشأن متغنياً بوقائعهم وناشراً في الملأ محامدهم.

(اما الشعب فلم يكن ذا منزلة كبيرة عنده، اذ كان الملك او الامير هو محور الحياة السياسية والاجتماعية وعليه لا على الجمهور كان يتوقف رواج البضائع الادبية). فهو يغدق العطايا على الشاعر او الكاتب وله كانت تصنف الكتب وتنظم القصائد. واذا جاز لنا ان نستثني من ذلك فئة من اديباء الاجيال الماضية كالشريف الرضي وابي العلاء المعري وابن الفارض وامثالهم فان السواد الاعظم داخل فيه وهو اساس حكمنا في هذا الامر. ومنذ اواخر القرن الماضي اخذت

الثقافة الجديدة تنتشر في البلدان العربية التي اتبعت لها الاحتكاك بالعالم الغربي فنهضت شعوبها بعد سبات عميق وكانت نهضتها تتركز على اربع قوى رئيسية هي المدارس الحديثة والمطابع والصحف والجمعيات. هذه القوى الاربعة جعلت الشعب اليوم غير ما كان عليه آباؤه وجدوده. فالمدارس تقدم له وسائل التهذيب العلمي، والمطابع والصحف تنشر بين طبقاته ثمار الافكار والاختبارات، والجمعيات تعمل على تدريبه وتنظيمه. وجميعها تشترك في تحرير الادب من ربة البلاط والسيطرة الاقطاعية وتوجيهه نحو المسائل العمومية والمشاكل الشعبية.

فالشعب اليوم قوة لا يستهان بها. وهو عند التحقيق معتمد الادب الاكبر ومصدر نشاطه الاغزر. ومهما يكن نفوذ ذوي السلطة فيه فان الجمهور هو الذي يغذيه. لاجله ينظم الشعراء ويكتب الكتاب وعليه تقوم الجمعيات والمعاهد والاحزاب، بل هو المرجع الاخير لكل سلطة حكومية مهما كان نوعها ومهما بلغ شأنها. وقد اصاب من قال: «ان ادبنا الحديث ادب ديموقراطي فبعد ان كان الاديب يعيش على موائد الامراء ومن عطايم وهباتهم اصبح يعيش على موائد الشعب ومن عطايم وهباته»^(١). وانك لتري هذه النزعة الشعبية الحديثة اذا رجعت الى مواضيع الادب الحديث وقابلتها بمواضيع الادب القديم. ونحن لا نزعم ان القديم خالٍ تمام الخلو من كل ما يمت الى الشعب بصلة، فقد ترى مثلاً في بعض كتابات الجاحظ وبديع الزمان شيئاً من ذلك. ولكن اكثره وصفي قلما يعني بحاجة الجمهور محلاً ادواء الاجتماعية والسياسية. ولعل ابا العلاء المعري هو الوحيد بين الشعراء القدماء في نظره الى بيئته الاجتماعية والشعور بفسادها. على اننا لا نرى له في لزومياته سوى نفثات مَرَّة متشابهة بوجه سهامها طوراً الى الرؤساء وتارة الى الشعب نفسه وليس فيها ما نراه اليوم من نظرات ايجابية في حياة المجتمع وتحليل عميق لاحواله وحوادثه.

ولما كان الادب الشعبي نتيجة طبيعية لما تعكسه في النفوس شتى المؤثرات من اقتصادية واجتماعية فقد رأينا ان نتبع هذه المؤثرات الى مصادرها الرئيسية - الى المعامل والاسواق والملاهي والمنازل والمنتديات حيث نرى الناس في سرائرهم

وضرائهم وحيث يتاح لنا ان نطلع على اسباب تقدمهم وتأخرهم . وسنحاول درس هذا الاتجاه الجديد في اوبنا تحت الابواب التالية -

١ - في اهتمام الادب بالدعوة الى الحياة الجديدة - حياة العلم والحضارة

٢ - في الحملة على المفاصد الناشئة عن التطرف في الحياة الحضرية

٣ - في العطف على الطبقة البائسة في المجتمع

٤ - في المطالبة بالحقوق الانسانية والعدالة الاجتماعية

٥ - في مناصرة القضية النسائية ورفع المستوى العائلي

ويلحق ذلك فصل في المهجرة واثرها الادبي تحت عنوان النزعات النفسية

في الادب المهجري

١ - الدعوة الى الحياة الجديدة

الى العالم والنور

بما لا يختلف فيه اثنان ان الشرق العربي كان قبيل النهضة الاخيرة في حالة من التأخر الاجتماعي لا تختلف عما كانت عليه في القرن الثامن عشر يوم كانت الجهل سائداً والحياة العمرانية في الحضيض. فمن الطبيعي ان يكون الادب في الحقبة الاولى من هذه النهضة شديد الاحساس شديد الاهتمام بحاجة الناس الى اقتباس انوار الحضارة الجديدة. ولقد كانت الاقطار العربية المتصلة بالقسم الشرقي من البحر المتوسط اسبق من سواها الى الاحتكاك بالحضارة الغربية وبالتالي اسبق الى ادراك اهمية العلم والاقتداء بمن تقدموا في مضمار المعرفة والعمران. وهذا ادبهم نثراً وشعراً شاهد بتيقظهم الى هذا النقص المعيب في حياتهم. ولثبت هنا من ذلك هذه الفقرة من فصل لبطرس البستاني الكبير المتوفى سنة ١٨٨٣. قال واصفاً موقف معاصريه من علوم الفرنجة (١) « وهكذا نرى العلوم والفنون الافرنجية المبنية على مبادئ حقيقية قادمة الينا من كل فج عميق، وما مكث فيه الافرنج السنين العديدة يمكن العرب ان يكتسبوه في اقرب زمان مع غاية الاتقان والاحكام. فالعلوم اذن قد اكملت دورتها بوصولها الى العرب عن طريق الاسكندرية واسلامبول ولندن وبيروت. وكما ان الافرنج لم يستخفوا باداب العرب في ايام جهلهم لاجل مجرد كونها منسوبة الى العرب كذلك لا يليق بالعرب ان يستخفوا بعلوم الافرنج لاجل مجرد كونها افرنجية. ثم يتقدم الى وصف الحالة العلمية في البلدان العربية فيقول انها في حالة انحطاط كلي لا يستثنى من ذلك اللغة والشعر وما يتعلق بها. وعلى هذا الوتر يضرب فرنسيس مرّاش في مقال عنوانه القرن التاسع عشر حيث يصف التقدم الذي حصل في هذا القرن ويدعو ابناء وطنه الى النهوض

(١) اعلام اللبنانيين في نهضة الآداب العربية (بيروت ١٩٤٨) ص ١١٨ و ١١٩

لتحصيل العلم وتشديد مدارسه وتوطيد مكانته ولا نلتفت الى اعدائه الذين اما لجهلهم او لبعض اغراض لهم يسعون في تدمير العلم وكل مبانيه .^(١)

(بدأت النهضة العربية الحديثة منذ منتصف القرن الماضي ومن عواملها الكبرى تلك المدارس التي انشأها الأجانب في البلاد) وكانت المدارس قبل ذلك كما يقول المؤرخ جرجي بني «تعلم صغار المسلمين قراءة القرآن الشريف وصغار النصارى المزامير وبعض الكتب الطقسية، ومن شاء التوسع منهم تعلم الكتابة (ويقصد منها في تلك الآونة انقار الخط) اما صناعة الانشاء فكانت عبارة عن نص الرسائل بعبارة ملؤها الركافة وحشوها الاغلاط . ولما يقدر كاتب ان يعبر عن افكاره الا اذا عدل الى الكلام العامي»^(٢)

(وبانتشار المدارس وتقدمها اتبع للصحافة العربية ان تبرز الى عالم الوجود وصحب ذلك نشوؤ الطباعة . على ان تقدم التعليم والصحافة لم يكن قبل القرن العشرين واسعاً ولم يبلغ تأثيره في الامة مدى بعيداً) فظلت الامة سائدة في الاقطار العربية ولذا كانت الدعوة الى العلم عامة منذ منتصف القرن الماضي وظلت تتروء على افلام الادباء والسنتهم حتى الى ما بعد الحرب العالمية الاولى . فالرصاصي مثلاً يدعوا الشباب في مطلع القرن العشرين الى النهوض تحت لواء العلم - يقول -^(٣)

يا شباب الحمي هبوا للبراز فبكم يبسم ثغر الوطن
واعدوا العلم لا السيف الجراز انه عدة هذا الزمن

وفي السنة ١٩١٤ يخاطب ولي الدين الشيبية العربية بقوله من قصيدة^(٤)
خذوا العلم واستهدوا بنور كواكب بدت في سماء العلم نعم الكواكب
قد انعكس الحكم القديم فاظلمت مشارق منه واستنارت مغارب
تجلى ظلام الجهل عن كل امة ولما يزل منه علينا غياهب

(١) راجعه في مجلة الخزان للبستاني سنة ١٨٧٠ ص ٦١٥

(٢) مجلة المباحث ١ - ٢١٤ و ٢١٥

(٣) من قصيدة يوم افتتاح المنتدى الادبي في الاستانة - ديوانه ١٩٣١ ص ٨٢

(٤) راجعه في المورد الصافي ٥ - ٢٩٠ . ومثل ذلك قول محمد الفراني في ديوانه ١ - ١١٨

وسليان الظاهر في مجلة المباحث ١ - ١٤٤

ولا نظن الشاعر يقصد ان الشرق العربي في ذلك الحين لم يتقدم عما كان عليه في اوائل النهضة فالواقع غير ذلك^(١). ولكنه يقصد انه ما زال متأخراً بالنسبة الى الغرب وذلك ما كان يعتقد جمهرة الادباء والعلماء وهو اصل هذه الغيرة التي كانت تلهب في صدورهم فتظهر في نثرهم وشعرهم دعوة الى الاصلاح والسير في سبيل الفلاح.

(ويقترون بالدعوة الى العلم حملة الادب على الخرافات الباطلة والعادات البالية وتنظيف العقول مما عشت فيها مع الزمان من الاوهام المضادة لمجرى التقدم^(٢)) فقد ورثت الاقطار العربية من ذلك ما قيدها طيلة القرن الماضي بقيود ثقيلة فلم يتمكن انتشار المعرفة من تحطيمها الا ببطء. وعلى ذلك يقول احمد امين بعد ان ذكر التخريف وانه قد قل في زماننا عما كان عليه قبلاً - « ومع هذا فلا يزال التخريف اكثر مما يلزم. نعم لم تخل الشعوب الممدنة كلها من ضروب التخريف ولكنه في مصر كثرة كثيرة تستحق بذل الجهد في محاربته^(٣). ومثل ذلك كلمة للدكتور ابراهيم بيومي مذكور يصف فيها الخرافات وتفشها في مصر وانهما عقبة كأداء في سبيل التقدم ثم يشرح اسبابها وطرق محاربتها^(٤). وكذلك كانت في سائر الاقطار العربية. ففي العراق نسمع كاظم الدجيلي في قصيدة له عنوانها « بحث الشيوخ » يقول لمواطنيه.

جاء سيل العلوم فابنوا بيوتاً جُدداً واهدموا البيوت العتيقة

ومثل ذلك واشد منه تجدد في نفثات الزهاوي والوصافي والشيبني ومن جرى مجراه ممن يقولون باسترشاد العقل والسير على وضع الحقيقة. وفي سنة ١٩١٢ نقرأ مقالا مسهباً للاديب العراقي ابراهيم حلمي يتناول فيه العادات والخرافات الشائعة بين العراقيين يومئذ ومن قوله فيها^(٥) - « سرّح طائر نظرك في ارجاء

(١) راجع لمحمد كرد علي وصف حالتنا العلمية والاجتماعية سنة ١٩٠٨ في المقتبس ٢ - ٦١٧

(٢) راجع ما كان يدور في اواخر القرن الماضي من مساجلات في هذا الشأن حتى بين المتعلمين -

في المقتطف ١٨٧٩ والهلل ١ - ٢٣٦ و ٣ - ١٤٧ و ٦ - ٥٣١ و ٨ - ٤٩٨

(٣) كتاب فيض الخاطر (١٩٤٢) ٣ - ٧٨

(٤) مجلة الرسالة (مصر) ٣ - ٨٩٣

(٥) بتصرف من مقال في مجلة لغة العرب ٢ - ١٦٩

العراق وانعم النظر في احوال قطنه وعاداتهم وتفقد شؤونهم وراقب احتفالاتهم ومجتمعاتهم تجدها لأول وهلة لا تختلف كثيراً عما كان عليه آباؤهم في سالف القرون . » وبعد ان يخوض قليلاً في هذا البحث يقول « ومن العبث ان يريد عاجز مثلي القضاء على عادات امة كبيرة كأمة العراق بمقالة او مقالتين او ثلاث وهي قد استحكمت فيهم منذ عدة قرون . بيد ان الذي اريد ان اسطره هو ما وقفت عليه من عادات العراقيين ... ليظهر ما وصلت اليه حالة سكان العراق من التأخر في تمسكهم بعادات خرافية ومعتقدات ما انزل الله بها من سلطان الخ » . ويقابل ذلك من الشعر قصيدة في العادات لاحمد صافي النجفي^(١) يصف فيها تلك العادات القديمة في النفس ومحاولة العلم استئصالها . وما يصيب المفكر من جراء هذه المحاولة .

على ان هذه الدعوة الى الحياة الجديدة لم تقتصر على طلب الاصلاح المباشر بحضّ الناس على اقتباس النور والاقبال على موارد المعرفة ، بل ظهرت ايضاً بطريقة غير مباشرة في وصف الظواهر العمرانية المادية . فكان لنا من ذلك هذا الادب الوصفي المعبر عن تأثر الشرقي بغرائب الحضارة الحديثة من مستنبطات حسنت حياة الانسان وممكنته من استخدام القوى الطبيعية واخضاعها لاجل مصالحه ورفاهيته . خذ مثلاً وسائل النقل والتخاطب . ففي اوائل القرن الماضي كانت لا تزال متأخرة في العالم عموماً . لم تكن شتى البلدان مرتبطة كما هي الآن بالبواخر العظيمة والسكك الحديدية السريعة والانباء البوقية المنظمة . وحتى اواخر ذلك القرن قلما كان يحلم احد بالسيارات والطائرات والراديو وسائر الاختراعات التي قهرت قوتي الزمان والمكان فضمت اطراف الارض بعضها الى بعض حتى اصبحت كأنها بلد واحد لا فواصل بينها ولا ابعاد - تغيّر مادي عظيم طراً في هذا العصر الاخير على المجتمع البشري ، فلا بدع ان ينتج عنه تطور في حياة الانسان وعلاقاته الاجتماعية وبالتالي في مجاري افكاره وعواطفه . وقد بدأ هذا التطور في الغرب حيث تمّ للانسان استخدام الآلات البخارية والكهربائية والجوية . ثم اتصل بالشرق العربي عن طريق البحر المتوسط واخذ

منذ اواخر القرن الماضي يتقدم تدريجياً نحو الاقاليم الداخلية حاملاً معه موجة من الازياء والعادات الغربية التي تغلغلت الى مختلف الانحاء الشرقية . ولو القينا نظرة تاريخية على ادب العرب الوصفي لرأيناه يتطور بتطور البيئة والاحوال الخارجية . فـ عرب الجاهلية ومن اتصل بهم من اهل صدر الاسلام يبرز في اوصافهم حيوان البادية كالجمال والحصان والثور والذئب والغزال ، او سلاحها كالسيف والرمح والقوس ، او بعض البستها كالرداء والعباءة والمجول ، وغير ذلك مما الفوه في مساكنهم واعتمده في معيشتهم واختبروه من طبيعة بلادهم . فلما اتسع سلطانهم وذاقوا الران الحضارة في البلاد التي افتتحوها واستقروا فيها صار لهم القصور والحدائق والمنزلات ومجالس الانس والترف ، وتألقوا في الالبسة والحلي والمساكن والمطاعم ، وتوسعوا في التجارة والزراعة ومختلف الفنون العلمية والصناعية فظهر كل ذلك في ادبهم وان لم يخلص تماماً من اثر البادية وروحها . على انه منذ نكبت الحضارة العربية بالاجتياح المغولي في اواسط القرن الثالث عشر للميلاد اخذت تتأخر وما زالت تتوالى عليها البلايا من فتن وحروب داخلية ومنازعات اقطاعية حتى بلغت اواخر القرن الثامن عشر الدرك الاسفل . وهكذا دخل القرن التاسع عشر والعرب عموماً كما ذكرنا سابقاً - في حالة يرثى لها من الانحطاط الاجتماعي والادبي .

منارة
العرب

(ولما بدأت النهضة في منتصف القرن الماضي كان الادب لا يزال تقليدياً للقدماء يتابعهم في اوصافهم واساليب تعبيرهم . ثم اخذ الامر يتغير، فنشأ منذ اواخر القرن المذكور جيل يدعو الى التجدد) وكما قام ابو نواس في اوائل العصر العباسي يدعو شعراء زمانه الى ترك الحياة الاعرابية والمثل البدوية كذلك قام المجددون في هذا العصر يدعون الى ترك الطريقة القديمة والاهتمام بما توجبه اليهم الحياة الجديدة . حتى لنسمع اديبا من المعروفين بغيرتهم على التراث القديم يقول (١) .

يا سعد هذا عصرنا فدع النيقا يشقها الاتهام والانجاد
واهجر حديث الرقتين واهله بادت ليالي الرقتين وبادوا

(هذه الدعوة الى الحياة الجديدة قد صرفت الادب الحديث عن تقليد القدماء في اوصافهم فاحتلَّت الباخرة والقطار والسيارة والطيارة محل الجمل والحصان والموادج والاضغان) وطفَّت اصوات المدافع والقذائف على صلصلة الاسنة والبواتر وتبارت الاسنة والاقلام في وصف الغرائب العصرية وما احدثته من تطور في حياتنا الاجتماعية . ولا يتسع المقام لذكر ما ورد من ذلك نثراً ونظماً ففي مئات الصحف والكتب والدواوين منه ما لو جمع للأعدة مجلدات . ويكفي للتمثيل ان نثبت هنا قليلاً من باب المنظوم ، ولنجتزئ ببعض المختصرات التي تركت أثراً كبيراً في الادب - ومنها ما يلي -

(الباخرة : قال شوقي سنة ١٨٩٤ من قصيدة اعدها للمؤتمر الشرقي في جنيف ^(١))

هَمَّتِ الْفُلُكُ وَاحْتَوَاهَا الْمَاءُ وَحَدَّاهَا بَيْنَ تَقَلُّ الرِّجَاءِ
خَرَبَ الْبَحْرُ ذُو الْعِبَابِ حَوَالِيَهَا سَمَاءٌ قَدْ اكْبَرَتْهَا السَّمَاءُ

ومنها مقابلاً بين عصر البواخر وعصر النياق

يَا زَمَانَ الْبَخَارِ لَوْلَاكَ لَمْ تَفْ جِئَ بِنَعْمَى زَمَانِهَا الْوَجْنَاءُ
فَقَدِمْاً عَنْ وَخْدِهَا ضَاقَ وَجْهَ الْإِلَاحِ رَضَ وَانْقَادَ بِالْشِرَاعِ الْمَاءُ

ويصف الياس صالح الباخرة التي حملته الى مصر سنة ١٨٩٥ فيقول من قصيدة ^(٢)

تِلْكَ السَّفِينَةُ بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا عَلَى دُمُوعِي مَسْرَاهَا وَمَرْسَاهَا
تَجْرِي وَفِي قَلْبِهَا النِّيرَانُ مَوْقِدَةٌ مِثْلِي كَأَنَّهُوَ الْإِطْطَانُ اشْجَاهَا

وفي سنة ١٩٢٣ يسافر حافظ ابراهيم الى ايطاليا فيصف الباخرة التي اقلته وهول البحر والعاصفة التي اصابتهم ^(٣) ووصف الباخرة والبحر عديدون وهم عادة يجمعون بين مشاهد السفينة والبحر واحوال الركاب وقد يستطردون الى ذكر البلدان التي يؤمونها او الاغراض التي يقصدونها .

(١) ديوانه ج ١ - ٥

(٢) شيخو . آداب القرن التاسع عشر ٢ - ١٢٠

(٣) ديوان حافظ ١ - ٢٢٧ . ومطلعها « عاصف يرتقي وبحر يغير »

راجع ايضا في وصف السفينة قصيدة فخري ابو السعود في مجلة الثقافة ١ ع ٣١ ص ٣٩

القطار : ومن اقدم وصفه عبدالله نديم ونجيب الحداد^(١) وبما يذكر هنا أبيات لتامر الملائم من قصيدة بدوية الاسلوب يصف فيها القطار اول سيره بين بيروت ودمشق قال^(٢)

حملتك انفاس البخار يثيرها لهوات متقد الغليل عميد
حرّان صادٍ غير ان شفاءه بالنار لا بالسلسل المورود
عالي الجدار من الصفيح مللم كالخصن من زبر الحديد مشيد
يديني قصي الغاي غير مواكل ليس البعيد وقد دنا ببعيد
يطوي الظلام على الضياء مغامراً طي الصخائف او كطي برود

وفي القطار ايضاً يقول معروف الرصافي^(٣)

وقاطرة ترمي الفضأ بدخانها وتلاصق الارض في سيرها رعباً
تساوى لديها السهل والصعب في الرقي فما استسقلت سهلاً ولا استصعبت صعباً
يمرُّ بها العالي فتعلو تسلقاً ويعترض الوادي فتجتازه وثباً
وتخترق الطود الاشم اذا انبرى وقد وجدت من تحت قنته نقباً
وتمضي مضي السهم فيه كأنما ترى افعواناً هائجاً دخل الثقباً

وامثال هذه الاوصاف كثيرة في الادب الحديث وفي اكثرها يقترون الوصف بذكر ما للقطار من اثر في حياة الشعوب وتقدم العمران^(٤)

السيارة : وهي كثيرة الاتصال بحياة الشعب وقد اصبحت اعم وسائل النقل والانتقال فطبيعي ان يعم وصفها في الادب الحديث . ويصفها الشعراء عادة بالسرعة^(٥) وقد يقابلون بينها وبين مطايا الاقدمين كقول الرصافي في قصيدة^(٦)

(١) راجع شيخو الآداب العربية في القرن التاسع عشر ٢ - ص ٩٠ و ١٤٣

(٢) راجعها في ديوان الملائم ٣٢

(٣) ديوانه (١٩٣١) ٢١٦

(٤) راجع قصيدة الدجيلي في مجلة لغة العرب ١ - ٢٠١

(٥) راجع مثلاً ديوان الزركلي ١٧ وديوان الحوماني (١٩٢٥) ١١٥ وديوان محمد الفراتي

١ - ١٣٨

(٦) راجع ديوانه (١٩٣١) ٢٢١

تلك المطيعة لا ما كان يذكرها اديب ذبيان من عيرانة النيب^(١)
لو امتطأها ليبد^(٢) قبل تاه بها على الخواضر قدماً والاعاريب
ولا اطال ابن حجر^(٣) وصف منجرد على السراة كميت اللون يعبوب
ولما كثر عدد السيارات في البلدان العربية وتزايد عدد ضحاياها اخذ الناس
يلهجون بذلك وتناولته اقلام الكتاب والشعراء بين ناقد وواصف^(٤)

الطيارة : وهي لاشك اشد المستنبطات الحديثة اثرة للدهشة . ومهما الفتها
الانظار فانها تعد من اغرب الغرائب . وقد تناولتها بالوصف اقلام كثيرة . ومن
ذلك قصيدة لجميل الزهاوي يصف فيها اول طيار عبر المحيط الاطلنטיكي ومطلعها^(٥)
حكيم النار في الهواء وطارا ينهب اليد سامياً والبحارا
ومنها - لورآه آباؤنا قبل احقا ب لظنؤوه مارداً سحارا
على ان الشاعر لا يرى ذلك بل يعزو عمله العظيم الى تقدم العلم واقدام اربابه يقول
ليس يأتي العظيم الا عظيم مستقل على التقاليد ثارا
يا لها جبارة في الاعالي حملت فوق ظهرها جبارا
انما تركب الصعاب نفوس طمعت للعلي فكانت كبارا

ويختتمها بالتفاته الى بني قومه مهيباً بهم الى طلب العلم والعلو محرضاً اياهم
على الاقدام في سبيل النور والحضارة . ومثل هذه الالتفاتة ما تراه في قصيدة
لعبد الرحمن البناء موضوعها « الطيارون في الشرق »^(٦) . وفيها يذكر قدوم
طيارين افرنسيين (سنة ١٩١٤) واصفاً ماتيم ثم يصف الطيارة باسهاب ويتخذ
ذلك ذريعة للتنويه بفضل العلم وتقدم الغربيين مندداً بروقة الشرقيين وتأخرهم
بعد ان « اوضحوا للغرب بالعلم مناراً ، صارخاً من قلب متألم « يا بني الشرق الا
فانتبهوا »

(١) اشارة الى النابغة الذبياني ووصفه لناقته

(٢) ليبد الشاعر المشهور واحد اصحاب المعلقة

(٣) ابن حجر . امرؤ القيس والاشارة الى وصف فرسه

(٤) راجع مثلاً ديوان دقات القلب للبيتهالي ٨

(٥) ديوانه الباب ص ٣٣٩

(٦) مجلة لغة العرب (بغداد) ٣ - ٦٥

واطلبوا العلم ولو في الصين كي تدفعوا فيه عن الشرق البوارا
فاقتدوا بالغرب كيما تدر كوا ما مضى واجنوا من العلم ثارا
ومن هذا الباب شعر كثير ونشير خاصة الى ما نظم في الطيارين العثمانيين
فتعبي وصادق وقد مر ذكرهما في فصل سابق^(١). ونختم الكلام بذكر ثلاث
قصائد لشوقي^(٢) اثنتان منها نظمها عند قدوم الطيارين الافرنسيين فدرين وبونيه
(١٩١٤) الى مصر. ومطلع الاولى.

يا فرنسا نلت اسباب السماء وتملكت مقاليد الجواء
غلب النسر على دولته وتنعتى لك عن عرش السماء
ومطلع الثانية.

ثم سليمان بساط الريح قاما ملك القوم من الجو الزماما
وفي كليهما وصف دقيق للطيارة وتحريض لشباب وطنه على النهوض ليجاروا
الغربيين. اما الثالثة فقد نظمها سنة ١٩٣٠ وذلك عقب مشاهدته اول طيار
مصري (صادق) قادماً على متن طيارته من برلين. يبدأها بقوله. «أعقاب في
عنان الجو لاح» ومن قوله في ذلك النسر المصري.

من فتى حل من الجوّ بهم فتلقوه على هام وراح
ليس من يركب سرجاً ليناً مثل من يركب اعراف الرياح

ولم يقصر الادب الحديث في وصف الغرائب الاخرى كالكهرباء والسيما
والفونوغراف والتلفون والراديو وسواها. وهذا الاخير احدثها ومن اشدّها تأثيراً.
وقد وصفه عدد ليس بقليل من الشعراء. منهم عباس العقاد^(٣) واحمد محرم^(٤)
واسكندر الحوري البيهجاوي^(٥) وعلي الجارم^(٦). فلا حفا

هذا قليل من كثير ولعله كاف لبيان ما احدثته غرائب الحضارة الجديدة
من اثر في ادبنا الحديث.

(١) راجع فصل الدستور والروح الوطنية في الجزء الاول من هذا الكتاب ص ٥

(٢) تجدها في ديوانه ج ٢ ص ١ و ١٠٧ و ١٩٤

(٣) صداح الاثير في ديوانه اعاصير مغرب ١٣٦

(٤) الهلال ٥٢ - ١٨٦ قصيدته - مفخرة العلم في القرن العشرين

(٥) ديوانه العنقود ٣٠

(٦) ديوانه ج ١ ص ٩٦ - تحية دار الاذاعة المصرية

كما نرى

٢ - في الحملة على المفاسد الاجتماعية

ذكرنا آنفاً أن الأدب العربي الحديث كان أول احتكاكه بالحضارة الغربية متحمساً لها داعياً إلى اقتباس أنوارها والاقتداء بآدابها. على أنه سرعان ما ظهر له أن الحضارة ليست كلها نعمة ومباهج. فكما تكون سبيلاً للرقى والهناء تكون أيضاً سبيلاً للتقهقر والشقاء. ومن أسباب التقهقر والشقاء ما جرّته الحضارة معها من الوان الترف والرخاء والخلاعة. وقديماً رأى ابن خلدون ما للترف من اثر سيء في الدولة فعقد في مقدمته فصلاً موضوعه أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده. ويقصد بالحضارة هنا الافراط في الترف وما يلحقه من مفسدات تضعف الاخلاق وتزعزع اركان المجتمع^(١).

وقد هال كثيرين من الادباء ما رأوه في العصر الحاضر من طغيان الفساد الاجتماعي فاتّهموا الحضارة نفسها وعزّوا ذلك اليها حتى صاح رضا الشبيبي من العراق^(٢)

تظنون هذا العصر عصر هداية واجدر لو ندعوه عصر ضلالات

وقوله ايضاً من ابيات

خداع وكذب واقتراف وقسوة وظلم. اهذا العالم المتمدّن؟^(٣)

ومن لبنان نسمع شاعراً آخر يقول متأثراً^(٤)

أبناء هذا العصر لا كان عصركم فما نور هذا العصر الا غياهب
تسمّونه عصر الرقي وما ارتقى سوى الشرفيه لا الخلال الاطايب

بل نسمع مثل ذلك من كل قطر عربي^(٥)

والواقع ان الحضارة قد جرّت معها الى الشرق العربي كثيراً من الموبقات.

وقد اندفع في تيارها كثيرون ممن لم يدركوا معنى الحضارة الحقيقي فجرّهم

(١) راجع هذا الفصل في الباب الرابع من الكتاب الاول من المقدمة

(٢) ديوان الشبيبي ١١٣

(٣) البرق (بيروت) ٤ - ١٤١

(٤) ديوان الالهام لامين ناصر الدين ٦٨

(٥) راجع مقال التمدن المصري لمحرر مجلة التراث السنة الاولى ١٨٩٦ ص ٢٠٦

حتى كان ما كان من عواقب وخيمة ومأس مؤلمة تركت اثرها في النفوس ثم سطرته الاقلام على الطروس . وقد اصاب الدكتور منصور فهمي حين قال من خطبة قابل فيها بين الروح الشرقية والحضارة الغربية (١) « فلا خوف اذن على الشرق اذا هو حاكي الغرب في ما هو نتيجة للعلم من اتخاذ ثمراته وادواته ولكن الخوف كل الخوف يوم تسير المحاكاة في جو من نسيان النفس والماضي وفي ضرب من الحفة والرعونة فيلتقط الزبد ويترك في الارض ما ينفع الناس . » قال هذا القول سنة ١٩٣٠ ولكن داء الفساد كان قد بدأ يستشري منذ اواخر القرن الماضي حتى ان عبدالله نديم خصص مجلته الطائف في اول امرها للعمل على المساواة الاجتماعية (٢) . ويجادل جرجي زيدان ان يبين السبب في اقتران التمدن عندنا بالفساد الاجتماعي فيقول سنة ١٩٠١ - « واتفق ان التمدن جاء هذه البلاد (مصر) وهي في مهاوي الانحطاط على اثر استبداد المماليك ومن جرى مجراهم . ولكنه لم يتناول في اول عهده الا التعليم والتربية مع المحافظة على الحشمة الشرقية . واما التهلك او خرق الحجب فلم يظهر الا في اواخر القرن الماضي لما كثرت تقليدنا للافرنج حتى في ما بنا في فطرتنا . » (٣)

والمفاسد الاجتماعية التي يندد بها الادب نوعان - نوع يعده من المحرمات كالقمار والمسكرات والمخدرات والتهلك الجنسي - ونوع يعده من العادات المستهجنة كالرقص والسباحة المختلطة والتطرف في بعض الازياء . ومن امثلة الاول قصيدة في القمار لنجيب حداد نظمها اجابة لاقتراح عمته مجلة البيان على الشعراء (٤) . ومن ابياتها

هو الداء الذي لا برء منه وليس لذنب صاحبه اغتفار
تشاد له المنازل شاهقات وفي تشيد ساحتها الدمار
نصيب النازلين بها سهاد فافلاس فيأس فانتحار
عصائب لا يؤد المرء فيها اخاه ولا يراعي الجار جار

(١) مجلة الكلية (بيروت) ١٦ - ٤١٨

(٢) تطور الصحافة المصرية (لابراهيم عبده ١٩٤٥) ١٢٧

(٣) الهلال ١٠ - ١١١

(٤) مجلة البيان ١ - ٦٣١

ومثل القمار المضاربة^(١) أما المسكرات والتخدرات فقد كثر الكلام فيها وفي رزاياها وضعاياها شعراً ونثراً^(٢). وهنا لا بد لنا من القول ان كثيراً من الشعر العربي لا يزال رقيقاً بالخمرة عطوفاً عليها وهو يجاري بذلك سبّة شعراء الخمرة المتقدمين كالاعشى والاخلط والوليد وابي نواس ومن جرى مجراهم في كل العصور، وليس كذلك النثر كما ترى في معظم الرسائل والخطب العصرية.

ولا يخلو الادب الحديث من مجون نواصي يتناول وصف المحارم وغرّات الشباب وصفاً 'يخلع فيه العذار'^(٣). وعذر اصحابه انهم انما يصفون الحياة كما هي ويسمون ذلك احياناً بالادب المكشوف. وقد اصاب احد كهواء ادبائنا اذ قال فيه^(٤) «وكان الحرب (اي الحرب العالمية الاولى) خلفت استعداداً جديداً وميلاً لتذوّق كل ما هو مكروه وفظيع فلم يبق للفن الا ان يكون ستاراً لهذا اللون الجديد من بعث الشهوات والاستسلام لكل ما خرج عن نظام الطبيعة. وصار الكاتب يتلذذ بالامعان في الغرابة دون الاهتمام برأي الاكثوية المفكرة، فيغمس قلمه في الاقدار ولا يبحث في الطبيعة الا عن العيوب والبشاعة وهو على يقين انه يرضي القارئ الذي اصبح متعطشاً الى كل احساس غريب». وقد حاول بعضهم الدفاع عن الادب المكشوف فسماه المنهج الطبيعي *naturalisme*

وقال ان الغاية منه تصوير اخفى الغرائز البشرية وادناها والمحبوط الى اعماق الفطرة الجنسية فيحدثنا عن اطوارها وتفاعلاتها وما يتولد عنها من اعراض ^{هنا} ^{الشد} تصطبغ بها الشخصية الانسانية في فترة من فترات حياتها فهو ليس لترويج الدعارة بل لدرس الانسان والكشف عن ميوله الفاسدة الكامنة ونزعاته الشاذة الغريبة

(١) راجع للتمثيل المورد الصافي ٥ - ٣٤٨ ومجلة سر كيس ٣ - ١٣٨ «والبورص» في ديوان حافظ ابراهيم ١ - ٢١٣ وكتاب بلاغة النساء في القرن العشرين ٢ - ٩٦

(٢) راجع مثلاً على ذلك ما ببلي - «الكاس الاولى» في النظرات المنفلوطي ج ١. «الجرعة الاولى» لنقولا حداد في مجالي الفرر ١ - ٥٧. كتاب افات المدينة الحاضرة لجرجي باز. «صريع الكاس» الهلال ٨ - ٧٢٠. «مثلث الشر والدماء» لاسعد خليل داغر وقصيدة على اطلال البشرية وقصة تبكي في ديوان من نبع الحياة لمحمود حسن اسماعيل ص ١١٩ و ١٢٢

(٣) راجع ديوان مهدي الجواهري (١٩٣٥) ٢٠٥ و ٢٥٠ - وديوان طفولة نهد لنزار قباني

(٤) من مقال للدكتور نقولا فياض في مجلة الاديب ج ٢ ص ٣ موضوعه رسالة الادب بعد الحرب

التي لا تقرها قوانين المجتمع فنعمل على محاربتها وكبحها الخ^(١). ولكن هذا اللون من الادب لم يشع في الشرق العربي وهو ضئيل بالنسبة الى سواء ويقابله من الجهة الاخرى الادب المثالي النزاع الى تقبيح الخلاعة وتحذير الشباب من غوائلها. ومن امثلته كتاب النظرات للمفلوطي الذي يحاول ان يصف موبقات عصره كما نرى في الفصول التالية - الشاب المصري (ج ٢ - ١١٣) الآداب العامة (٣ - ١٩٨) - المراقص (٣ - ٢٥٩) وغيرها.

وانما دفعه الى ذلك ما رآه من اندفاع الشبيبة العصرية في مهاوي المدنية الحديثة وقد سبقه وتبعه كثيرون في هذا المضمار^(٢) ولنجتزئ من هذا الباب بمثل شعري واحد هو قصيدة لشاعر مصري يرى تهتك بعض الشبان في وطنه وتلاعب المغويات بالبابهم فيصف لنا حادثة جرت لشاب بالازبكية (في القاهرة) ويجري مثلها لكثيرين اليوم في الحواضر الشرقية قال

ودخلت اجمل قهوة مع صاحب صادقته واخو الموم موفق
وجلست اذ جلس الصديق ولا تسل عما حواه المجلس المتأنق

ويأخذ هنا بوصف جمال المكان وزينته الباهرة وخلابة الحسان فيه ثم انصراف صاحبه الى غوايتهن ووقوعه في شرك احداهن^(٣)
حتى دنت من بينهن مليحة رومية ترمي القلوب وتوشق

فجالسته الحسناء وباسطته وهكذا اخذا يتعاطيان الشراب وهو ينفق غير مبال بالعواقب فينصحه صديقه الشاعر ويحاول اقناعه بوجوب الخروج من هذا المكان ولكن النصيحة لا تزيد الا غواية وحنقا من صديقه. يقول الشاعر:

فتركتها لفنونه وتركته لجنونه وهو الجنون المطبق
ولبتت انظر ما يكون من الهوى من امره وانا عليه مشفق

(١) مجلة الاسبوع ١ ع ١٥ ص ١٣

(٢) راجع مثلاً منتخبات نجيب الحداد ١١٦ و ١٢٣ وديوان النظرات لمصطفى الرافعي ٤٣ والمورد الصافي ٥ - ٣٣٨ والادب التونسي في القرن الرابع عشر ٨٦ و ١٤٠ وديوان مشاهد الحياة للبيتجالي واكثره مقصور على محاربة المفاصد

وما زالت الغانية تبسط ذلك المغفل وتشاربه حتى بذل جميع ما كان لديه من نقود وحلى وعاد ثملاً وقد فقد ماله وأخلاقه .

وعجبت من هذا الذي شاهده فكتمته والصدر مـني ضيق
ودهشت من نزق الشباب وجهه وكذلك يفتقر الغني الإحـق

وقريب من هذا قطعة زجلية لمحمود زكي موضوعها مضارّ الرقص^(١)

(ولم يكتف الأدب بمحاربة الموبقات والمفاسد بل تجاوزها الى بعض الملامح الجائزة ولا سيما ما كان له علاقة بالمرأة) وسنشير الى شيء من ذلك في كلامنا «عن المرأة وقصبتها» ونذكر هنا بنوع خاص الرقص الافرنجي المزدوج والسباحة المختلطة . فقد كان كل منهما في اول عهده هدفاً للنقد لاذع . ولكن هذا النقد ما زال يخف مع الايام حتى انحصر في مناطق خاصة . وهما نحن نرى هذين النوعين اليوم من انواع الملامح الرئيسية في النوادي الاجتماعية وبين الطبقات الجديدة واكثرهما شيوعاً الرقص . وقد كان الادب بالنظر اليه على درجات متفاوتة . فمنه المتعصب المندد الذي يعده اثماً فيحمل عليه وعلى مروّجيه^(٢) . ومنه المتأنق في وصف حفلاته المفتحة في عرض مشاهد وحسناته كما فعل شوقي في وصفه لحفلات قصر عابدين حيث يربنا ائمة السلطان وعظمة المكان وجمال الرقص مع الحسان^(٣) وبين هذا وذاك نوع آخر يقرن الوصف بايحاءات عليها مسحة التهكم الناعم . ومنه موشح خليل مردم بك يسوده دقة التصوير والتلفظ بالاشارة الى ما في الضمير^(٤) . مطلعـه

نفخ الصور فهبوا مسرعين مثلما نفرت طيراً بالصفير

(١) تجدها في مجلة سر كيس ٣ - ٢٥٩

(٢) مثل المنفلوطي في نظراته ٣ - ٢٥٩ ، والحوماني في ديوانه السائس والمسوس ، ٦٥ وناصر الدين في صدى الخاطر ١٥٨ ، وحسين الجزيري في مختاراته في الادب التونسي ٨٦ ، والبيتجالي في ديوانه المنقود ٤٣ ، وعبد المطلب في ديوانه ١٨٤

(٣) راجع من قصائده «حف كاسها الحب» الديوان ٢ - ٨ . وراجع ايضاً قصيدة للازهرى في الهلال ١٣ - ٥٠٤

(٤) نشره على حدة مكتب النشر العربي . وعلى نسقه قصيدة لمحمد البرم موضوعها رومية في مرقص المكشوف ٥ ع ١٩٢

ومنه: ليت شعري كيف حال الراقصين بعد ما الرقص غزا ذات الصدور
اي وجدان وحس يجدون من هوى النفس وخلجات الضمير
وقوله: كل صعب فهو بالرقص يهون وعسير الامر فيه كاليسير
رب جدّ كامن خلف مجون وكبير مبتداه من صغير

اما السباحة المختلطة فنكتفي من الادب المهاجم لها بمقال للاستاذ احمد حسن
الزيات موضوعه « على الشاطئ »^(١) وفيه يصف ما شاهده في بعض مسابح الشاطئ
المصري ذاماً التبذل والجروح الى تعرية الجسم . ويرد على الذين يزعمون ان في
هذه السباحة روحاً رياضية تهيمن على الحياة فيقول مخاطباً احدى السيدات « اين
تجدين الروح الرياضية في هذه المرأة التي علت صدر هذا الرجل لتتعلم فوقه
السباحة ؟ » و« اين تجدين الروح الرياضية في هذين الجسمين الراقدين على الرمل
يتلامسان بشهوة ويتناجيان بنشوة وقد انمى من حولهما البحر والشاطيء والناس ؟ »
والمقال كله من هذا القبيل .

ويظهر ان تيار الحياة العصرية كان اقوى من دفاع الادب الاصلاحى فقد
انتهت هذه الحملة الادبية على الملامى بفوز الاخيرة وشيوعها في البيئات الجديدة

والتي هي في الواقع هي التي كانت تسيطر على الحياة الفكرية في مصر في ذلك الوقت .
وهذا هو الجوهر الذي نريد ان نوضحه في هذا المقال .
والتي هي في الواقع هي التي كانت تسيطر على الحياة الفكرية في مصر في ذلك الوقت .
وهذا هو الجوهر الذي نريد ان نوضحه في هذا المقال .

(١) راجعه في وحي الرسالة (الزيات) ٣٩ . ومثله مقال لمصطفى الشهابي في الهلال ٤٣ - ٤٤ .
(٢) راجعه في وحي الرسالة (الزيات) ٣٩ . ومثله مقال لمصطفى الشهابي في الهلال ٤٣ - ٤٤ .
(٣) راجعه في وحي الرسالة (الزيات) ٣٩ . ومثله مقال لمصطفى الشهابي في الهلال ٤٣ - ٤٤ .
(٤) راجعه في وحي الرسالة (الزيات) ٣٩ . ومثله مقال لمصطفى الشهابي في الهلال ٤٣ - ٤٤ .
(٥) راجعه في وحي الرسالة (الزيات) ٣٩ . ومثله مقال لمصطفى الشهابي في الهلال ٤٣ - ٤٤ .
(٦) راجعه في وحي الرسالة (الزيات) ٣٩ . ومثله مقال لمصطفى الشهابي في الهلال ٤٣ - ٤٤ .
(٧) راجعه في وحي الرسالة (الزيات) ٣٩ . ومثله مقال لمصطفى الشهابي في الهلال ٤٣ - ٤٤ .

(١) راجعه في وحي الرسالة (الزيات) ٣٩ . ومثله مقال لمصطفى الشهابي في الهلال ٤٣ - ٤٤ .

٣ - الفقرة على الطبقات البائسة

(والبؤس ظواهر شتى يجمعها اثنان رئيسيان هما البؤس الاقتصادي والبؤس الاجتماعي). ولعل الاول اصلها جميعاً فلنقف قليلاً عليه لنرى مدى تأثيره في الادب .

البؤس الاقتصادي : ان مسألة الغنى والفقر مسألة قديمة العهد وقلما نجد امة خلت ادابها الاجتماعية من ذكرها والاهتمام بها، او عصراً لم يقم فيه من يجاهد بلسانه او قلمه فيحمل على جور الاسياد وجشع الاغنياء ويدعو الى اغانة المحتاج وانصاف المظلوم .

ففي التوراة مثلاً نسمع النبي يقول - هكذا قال رب الجنود اقضوا قضاء الحق واعملوا احساناً ورحمة كل انسان مع اخيه ولا تظلموا الارملة ولا اليتيم ولا الغريب ولا الفقير^(١) . ومثل هذا القول كثير في التوراة والانجيل . وكذلك في القرآن حيث يوصف لنا الابرار بانهم من « يطعمون الطعام على حبه مسكيناً او يتيم او اسيراً »^(٢) واما الغني الغشوم فنسمعه في الآخرة يندب حظه قائلاً - « ما اغني عني ماليه، هلك عني سلطانيه » وتسمع الديان تعالى يقول - « خذوه فغلّوه ثم الجحيم صلوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين »^(٣)

على انه برغم هذه الدعوة التي نزل بها الوحي وتمس لها المصلحون كان الناس فيما مضى يعدّون الفقر امراً مقدوراً، وتفاوت الطبقات من طبيعة الوجود.

جاء في الرسالة الجامعة المنسوبة الى الجريطي^(٤) :

« ان تدبير العالم الارضي بجميع ما فيه من اقسامه واركانه واشخاصه والنفوس المتعددة بصوره واجسامه مقدر بواجب الحكمة الالهية والاشخاص السماوية والامور الملكية فهي تقسم بما قدر لها فيها ويعطى كل مستحق منها بحسب ما قدر له من شاء الاشياء الموجودة تحت فلك القمر من العلو في المنازل وطيب العيش

(١) زكريا ص ٧ ع ٨ - ١٠

(٢) سورة الدهر او الانسان ٨

(٣) سورة الحاقة ٣٠ و ٣١ و ٣٣ و ٣٤

(٤) نشر جميل صليبا ١٩٤٨ ص ٤١١ - ٤١٨

في الدنيا والنصر والذل فيها الخ . وكل الفصل على هذا النسق .

وكان همّ العبد والفلاح والعامل ان يعيشوا آمنين في ظل اسبادهم ومالكي امرهم . ولم يكن يطلب من السيد او الغني الا ان يكون عطوفاً عليهم راثياً لبواهم محسناً اليهم . والى ذلك يشير احمد بك امين اذ يقول - (١) « والعلم بالاحوال الاقتصادية غير نظرنّا الى الفقر فلم يجعله قضاء وقدرًا فقط بل جعله نتيجة طبيعية لحالة الامة ووجوه دخلها وخرجها ونظام ميزانيتها ومواردها ومصادرها . فالادب العربي الذي يبعث على الرضى بالفقر كنتيجة محتومة ولا دخل للامة ونظامها فيه يجب ان يستبعد »

فلم يكن الحرمان قبلاً مشكلة قومية او عالمية او سبباً لمشايدة عنيفة بين ارباب المال وجماعات العمال . اما اليوم فقد قضي على عبودية الفرد واصبح العدم وصمة عمرانية يجب محوها او تخفيف وطأتها، وتفاوت الطبقات عيباً منافياً لحقوق الانسان مانعاً من تقدم العمران . على ان ذلك لم يتقرر في المجتمع البشري الا بعد جهاد طويل وعناء شديد . وقد تم لدعاة الاصلاح مع الزمن الغاء كثير من الاوضاع القديمة البالية . وبترقى الحياة الفكرية والاجتماعية في الغرب خلال القرن الماضي وهذا القرن قويت الحركات الاصلاحية وقويت معها النزعة الشعبية في الادب . وانك لتلمسها هناك في مختلف المناحي العمومية من اقتصادية وتعليمية ودينية واجتماعية .

اما مجتمعنا العربي فقد ظل حتى اواخر القرن الماضي قليل التأثر بالزلزال الاقتصادي الذي اصاب الغرب . على انه لم يعدم بعض من اطلعوا على احوال العالم الغربي فتنبهوا الى حاجة الشرق وشرعوا يحذرون اولي الامر من عواقب الامور كما فعل نجيب الحداد في بعض فصوله اذ قال (٢) - « فما ضر الاغنياء الذين ينفقون اموالهم على سبل لا تذكر وفي مذاهب لا تشكر لو صرفوا بعض ذلك المال في تأليف مؤسسات خيرية ينفقون عليها فضلة المال ! بل ما ضر الغني الذي يتكبر على الفقير، والموسر الذي يحتقر العامل والاجير لو علم ان المذلة

(١) كتابه فيض الخاطر ٣ - ١٤٨

(٢) منتخبات الحداد ٩

لا تكون في لبس الكتان، والعظمة لا تأتي من وراء الحرير، وإن الفقير أشد لزوماً منه في مجتمع الانسان» .

ثم يشير الى نضال الطبقات في اوربا فيتابع كلامه محذراً - « أولم ير الاغنياء ما صارت اليه حال اوربا في هذه الايام (اواخر القرن الماضي) وما نراه في اغنيائها وفقرائها عبوة لنا وذكرى بين فوضوية ثور واشتراكية تدور، ونسف منازل كان الفقر من ناسفها، واهلاك نفوس ذهبت شهيدة ظلم الاغنياء وبأس قاتليها » .

وقد سبقه الى مثل ذلك احمد فارس الشدياق في كثير من اقواله^(١). ومن هذا القبيل شعراً « قصيدة للامير نسيب ارسلان موضوعها زفير الفقير وقد نشرت سنة ١٩١٢ وهي وصف مؤثر لحال الفقراء ودعوة حادة الى اسعافهم واصلاح حالهم »^(٢).

« أفى الحق ان يشقى الفقير بعيشه وذو المال في شرّ الغواية يسرف »

تلك روح هذه القصيدة التي تتجاوز السبعين بيتاً . وفي ختامها يشير الى الخطر الذي قد يتأتى عن عدم الاهتمام بهم ويطلب من الاغنياء ان يعتبروا بما حدث في اوربا من فتن اسامها بؤس الطبقات المحتاجة .

عليكم بكشف الضر عنهم فانما اخو الضريمسي ضارباً حين يهجم^(٣)
فلا توهقهم بالشقاوة والطوى فيبدر منهم بادر لا يكفّف
فان لم ينالوا بالهوادة حقهم ينالوه يوماً والصوارم ترعف^(٤)
لكم عبوة في الغرب من كل فتنة تمز الجبال الراسيات وتخسف

وبانتشار العلوم الانسانية في القرن العشرين وتزايد الاتصال بالغرب ازداد تنبه الادب العربي الى هذه المسألة وكثر لهجه بذكر الطبقة البائسة وطلب اليسر لها وليس بغريب ان يكون للادب يد قوية في هذا الامر فالاديب كما

(١) - ٨٢٢ - ٨٢٣ - ٨٢٤ - ٨٢٥ - ٨٢٦ - ٨٢٧ - ٨٢٨ - ٨٢٩ - ٨٣٠ - ٨٣١ - ٨٣٢ - ٨٣٣ - ٨٣٤ - ٨٣٥ - ٨٣٦ - ٨٣٧ - ٨٣٨ - ٨٣٩ - ٨٤٠ - ٨٤١ - ٨٤٢ - ٨٤٣ - ٨٤٤ - ٨٤٥ - ٨٤٦ - ٨٤٧ - ٨٤٨ - ٨٤٩ - ٨٥٠ - ٨٥١ - ٨٥٢ - ٨٥٣ - ٨٥٤ - ٨٥٥ - ٨٥٦ - ٨٥٧ - ٨٥٨ - ٨٥٩ - ٨٦٠ - ٨٦١ - ٨٦٢ - ٨٦٣ - ٨٦٤ - ٨٦٥ - ٨٦٦ - ٨٦٧ - ٨٦٨ - ٨٦٩ - ٨٧٠ - ٨٧١ - ٨٧٢ - ٨٧٣ - ٨٧٤ - ٨٧٥ - ٨٧٦ - ٨٧٧ - ٨٧٨ - ٨٧٩ - ٨٨٠ - ٨٨١ - ٨٨٢ - ٨٨٣ - ٨٨٤ - ٨٨٥ - ٨٨٦ - ٨٨٧ - ٨٨٨ - ٨٨٩ - ٨٩٠ - ٨٩١ - ٨٩٢ - ٨٩٣ - ٨٩٤ - ٨٩٥ - ٨٩٦ - ٨٩٧ - ٨٩٨ - ٨٩٩ - ٩٠٠ - ٩٠١ - ٩٠٢ - ٩٠٣ - ٩٠٤ - ٩٠٥ - ٩٠٦ - ٩٠٧ - ٩٠٨ - ٩٠٩ - ٩١٠ - ٩١١ - ٩١٢ - ٩١٣ - ٩١٤ - ٩١٥ - ٩١٦ - ٩١٧ - ٩١٨ - ٩١٩ - ٩٢٠ - ٩٢١ - ٩٢٢ - ٩٢٣ - ٩٢٤ - ٩٢٥ - ٩٢٦ - ٩٢٧ - ٩٢٨ - ٩٢٩ - ٩٣٠ - ٩٣١ - ٩٣٢ - ٩٣٣ - ٩٣٤ - ٩٣٥ - ٩٣٦ - ٩٣٧ - ٩٣٨ - ٩٣٩ - ٩٤٠ - ٩٤١ - ٩٤٢ - ٩٤٣ - ٩٤٤ - ٩٤٥ - ٩٤٦ - ٩٤٧ - ٩٤٨ - ٩٤٩ - ٩٥٠ - ٩٥١ - ٩٥٢ - ٩٥٣ - ٩٥٤ - ٩٥٥ - ٩٥٦ - ٩٥٧ - ٩٥٨ - ٩٥٩ - ٩٦٠ - ٩٦١ - ٩٦٢ - ٩٦٣ - ٩٦٤ - ٩٦٥ - ٩٦٦ - ٩٦٧ - ٩٦٨ - ٩٦٩ - ٩٧٠ - ٩٧١ - ٩٧٢ - ٩٧٣ - ٩٧٤ - ٩٧٥ - ٩٧٦ - ٩٧٧ - ٩٧٨ - ٩٧٩ - ٩٨٠ - ٩٨١ - ٩٨٢ - ٩٨٣ - ٩٨٤ - ٩٨٥ - ٩٨٦ - ٩٨٧ - ٩٨٨ - ٩٨٩ - ٩٩٠ - ٩٩١ - ٩٩٢ - ٩٩٣ - ٩٩٤ - ٩٩٥ - ٩٩٦ - ٩٩٧ - ٩٩٨ - ٩٩٩ - ١٠٠٠ - ١٠٠١ - ١٠٠٢ - ١٠٠٣ - ١٠٠٤ - ١٠٠٥ - ١٠٠٦ - ١٠٠٧ - ١٠٠٨ - ١٠٠٩ - ١٠١٠ - ١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣ - ١٠١٤ - ١٠١٥ - ١٠١٦ - ١٠١٧ - ١٠١٨ - ١٠١٩ - ١٠٢٠ - ١٠٢١ - ١٠٢٢ - ١٠٢٣ - ١٠٢٤ - ١٠٢٥ - ١٠٢٦ - ١٠٢٧ - ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - ١٠٣٠ - ١٠٣١ - ١٠٣٢ - ١٠٣٣ - ١٠٣٤ - ١٠٣٥ - ١٠٣٦ - ١٠٣٧ - ١٠٣٨ - ١٠٣٩ - ١٠٤٠ - ١٠٤١ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣ - ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - ١٠٤٦ - ١٠٤٧ - ١٠٤٨ - ١٠٤٩ - ١٠٥٠ - ١٠٥١ - ١٠٥٢ - ١٠٥٣ - ١٠٥٤ - ١٠٥٥ - ١٠٥٦ - ١٠٥٧ - ١٠٥٨ - ١٠٥٩ - ١٠٦٠ - ١٠٦١ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ - ١٠٦٤ - ١٠٦٥ - ١٠٦٦ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ - ١٠٦٩ - ١٠٧٠ - ١٠٧١ - ١٠٧٢ - ١٠٧٣ - ١٠٧٤ - ١٠٧٥ - ١٠٧٦ - ١٠٧٧ - ١٠٧٨ - ١٠٧٩ - ١٠٨٠ - ١٠٨١ - ١٠٨٢ - ١٠٨٣ - ١٠٨٤ - ١٠٨٥ - ١٠٨٦ - ١٠٨٧ - ١٠٨٨ - ١٠٨٩ - ١٠٩٠ - ١٠٩١ - ١٠٩٢ - ١٠٩٣ - ١٠٩٤ - ١٠٩٥ - ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - ١٠٩٨ - ١٠٩٩ - ١١٠٠ - ١١٠١ - ١١٠٢ - ١١٠٣ - ١١٠٤ - ١١٠٥ - ١١٠٦ - ١١٠٧ - ١١٠٨ - ١١٠٩ - ١١١٠ - ١١١١ - ١١١٢ - ١١١٣ - ١١١٤ - ١١١٥ - ١١١٦ - ١١١٧ - ١١١٨ - ١١١٩ - ١١٢٠ - ١١٢١ - ١١٢٢ - ١١٢٣ - ١١٢٤ - ١١٢٥ - ١١٢٦ - ١١٢٧ - ١١٢٨ - ١١٢٩ - ١١٣٠ - ١١٣١ - ١١٣٢ - ١١٣٣ - ١١٣٤ - ١١٣٥ - ١١٣٦ - ١١٣٧ - ١١٣٨ - ١١٣٩ - ١١٤٠ - ١١٤١ - ١١٤٢ - ١١٤٣ - ١١٤٤ - ١١٤٥ - ١١٤٦ - ١١٤٧ - ١١٤٨ - ١١٤٩ - ١١٥٠ - ١١٥١ - ١١٥٢ - ١١٥٣ - ١١٥٤ - ١١٥٥ - ١١٥٦ - ١١٥٧ - ١١٥٨ - ١١٥٩ - ١١٦٠ - ١١٦١ - ١١٦٢ - ١١٦٣ - ١١٦٤ - ١١٦٥ - ١١٦٦ - ١١٦٧ - ١١٦٨ - ١١٦٩ - ١١٧٠ - ١١٧١ - ١١٧٢ - ١١٧٣ - ١١٧٤ - ١١٧٥ - ١١٧٦ - ١١٧٧ - ١١٧٨ - ١١٧٩ - ١١٨٠ - ١١٨١ - ١١٨٢ - ١١٨٣ - ١١٨٤ - ١١٨٥ - ١١٨٦ - ١١٨٧ - ١١٨٨ - ١١٨٩ - ١١٩٠ - ١١٩١ - ١١٩٢ - ١١٩٣ - ١١٩٤ - ١١٩٥ - ١١٩٦ - ١١٩٧ - ١١٩٨ - ١١٩٩ - ١٢٠٠ - ١٢٠١ - ١٢٠٢ - ١٢٠٣ - ١٢٠٤ - ١٢٠٥ - ١٢٠٦ - ١٢٠٧ - ١٢٠٨ - ١٢٠٩ - ١٢١٠ - ١٢١١ - ١٢١٢ - ١٢١٣ - ١٢١٤ - ١٢١٥ - ١٢١٦ - ١٢١٧ - ١٢١٨ - ١٢١٩ - ١٢٢٠ - ١٢٢١ - ١٢٢٢ - ١٢٢٣ - ١٢٢٤ - ١٢٢٥ - ١٢٢٦ - ١٢٢٧ - ١٢٢٨ - ١٢٢٩ - ١٢٣٠ - ١٢٣١ - ١٢٣٢ - ١٢٣٣ - ١٢٣٤ - ١٢٣٥ - ١٢٣٦ - ١٢٣٧ - ١٢٣٨ - ١٢٣٩ - ١٢٤٠ - ١٢٤١ - ١٢٤٢ - ١٢٤٣ - ١٢٤٤ - ١٢٤٥ - ١٢٤٦ - ١٢٤٧ - ١٢٤٨ - ١٢٤٩ - ١٢٥٠ - ١٢٥١ - ١٢٥٢ - ١٢٥٣ - ١٢٥٤ - ١٢٥٥ - ١٢٥٦ - ١٢٥٧ - ١٢٥٨ - ١٢٥٩ - ١٢٦٠ - ١٢٦١ - ١٢٦٢ - ١٢٦٣ - ١٢٦٤ - ١٢٦٥ - ١٢٦٦ - ١٢٦٧ - ١٢٦٨ - ١٢٦٩ - ١٢٧٠ - ١٢٧١ - ١٢٧٢ - ١٢٧٣ - ١٢٧٤ - ١٢٧٥ - ١٢٧٦ - ١٢٧٧ - ١٢٧٨ - ١٢٧٩ - ١٢٨٠ - ١٢٨١ - ١٢٨٢ - ١٢٨٣ - ١٢٨٤ - ١٢٨٥ - ١٢٨٦ - ١٢٨٧ - ١٢٨٨ - ١٢٨٩ - ١٢٩٠ - ١٢٩١ - ١٢٩٢ - ١٢٩٣ - ١٢٩٤ - ١٢٩٥ - ١٢٩٦ - ١٢٩٧ - ١٢٩٨ - ١٢٩٩ - ١٣٠٠ - ١٣٠١ - ١٣٠٢ - ١٣٠٣ - ١٣٠٤ - ١٣٠٥ - ١٣٠٦ - ١٣٠٧ - ١٣٠٨ - ١٣٠٩ - ١٣١٠ - ١٣١١ - ١٣١٢ - ١٣١٣ - ١٣١٤ - ١٣١٥ - ١٣١٦ - ١٣١٧ - ١٣١٨ - ١٣١٩ - ١٣٢٠ - ١٣٢١ - ١٣٢٢ - ١٣٢٣ - ١٣٢٤ - ١٣٢٥ - ١٣٢٦ - ١٣٢٧ - ١٣٢٨ - ١٣٢٩ - ١٣٣٠ - ١٣٣١ - ١٣٣٢ - ١٣٣٣ - ١٣٣٤ - ١٣٣٥ - ١٣٣٦ - ١٣٣٧ - ١٣٣٨ - ١٣٣٩ - ١٣٤٠ - ١٣٤١ - ١٣٤٢ - ١٣٤٣ - ١٣٤٤ - ١٣٤٥ - ١٣٤٦ - ١٣٤٧ - ١٣٤٨ - ١٣٤٩ - ١٣٥٠ - ١٣٥١ - ١٣٥٢ - ١٣٥٣ - ١٣٥٤ - ١٣٥٥ - ١٣٥٦ - ١٣٥٧ - ١٣٥٨ - ١٣٥٩ - ١٣٦٠ - ١٣٦١ - ١٣٦٢ - ١٣٦٣ - ١٣٦٤ - ١٣٦٥ - ١٣٦٦ - ١٣٦٧ - ١٣٦٨ - ١٣٦٩ - ١٣٧٠ - ١٣٧١ - ١٣٧٢ - ١٣٧٣ - ١٣٧٤ - ١٣٧٥ - ١٣٧٦ - ١٣٧٧ - ١٣٧٨ - ١٣٧٩ - ١٣٨٠ - ١٣٨١ - ١٣٨٢ - ١٣٨٣ - ١٣٨٤ - ١٣٨٥ - ١٣٨٦ - ١٣٨٧ - ١٣٨٨ - ١٣٨٩ - ١٣٩٠ - ١٣٩١ - ١٣٩٢ - ١٣٩٣ - ١٣٩٤ - ١٣٩٥ - ١٣٩٦ - ١٣٩٧ - ١٣٩٨ - ١٣٩٩ - ١٤٠٠ - ١٤٠١ - ١٤٠٢ - ١٤٠٣ - ١٤٠٤ - ١٤٠٥ - ١٤٠٦ - ١٤٠٧ - ١٤٠٨ - ١٤٠٩ - ١٤١٠ - ١٤١١ - ١٤١٢ - ١٤١٣ - ١٤١٤ - ١٤١٥ - ١٤١٦ - ١٤١٧ - ١٤١٨ - ١٤١٩ - ١٤٢٠ - ١٤٢١ - ١٤٢٢ - ١٤٢٣ - ١٤٢٤ - ١٤٢٥ - ١٤٢٦ - ١٤٢٧ - ١٤٢٨ - ١٤٢٩ - ١٤٣٠ - ١٤٣١ - ١٤٣٢ - ١٤٣٣ - ١٤٣٤ - ١٤٣٥ - ١٤٣٦ - ١٤٣٧ - ١٤٣٨ - ١٤٣٩ - ١٤٤٠ - ١٤٤١ - ١٤٤٢ - ١٤٤٣ - ١٤٤٤ - ١٤٤٥ - ١٤٤٦ - ١٤٤٧ - ١٤٤٨ - ١٤٤٩ - ١٤٥٠ - ١٤٥١ - ١٤٥٢ - ١٤٥٣ - ١٤٥٤ - ١٤٥٥ - ١٤٥٦ - ١٤٥٧ - ١٤٥٨ - ١٤٥٩ - ١٤٦٠ - ١٤٦١ - ١٤٦٢ - ١٤٦٣ - ١٤٦٤ - ١٤٦٥ - ١٤٦٦ - ١٤٦٧ - ١٤٦٨ - ١٤٦٩ - ١٤٧٠ - ١٤٧١ - ١٤٧٢ - ١٤٧٣ - ١٤٧٤ - ١٤٧٥ - ١٤٧٦ - ١٤٧٧ - ١٤٧٨ - ١٤٧٩ - ١٤٨٠ - ١٤٨١ - ١٤٨٢ - ١٤٨٣ - ١٤٨٤ - ١٤٨٥ - ١٤٨٦ - ١٤٨٧ - ١٤٨٨ - ١٤٨٩ - ١٤٩٠ - ١٤٩١ - ١٤٩٢ - ١٤٩٣ - ١٤٩٤ - ١٤٩٥ - ١٤٩٦ - ١٤٩٧ - ١٤٩٨ - ١٤٩٩ - ١٥٠٠ - ١٥٠١ - ١٥٠٢ - ١٥٠٣ - ١٥٠٤ - ١٥٠٥ - ١٥٠٦ - ١٥٠٧ - ١٥٠٨ - ١٥٠٩ - ١٥١٠ - ١٥١١ - ١٥١٢ - ١٥١٣ - ١٥١٤ - ١٥١٥ - ١٥١٦ - ١٥١٧ - ١٥١٨ - ١٥١٩ - ١٥٢٠ - ١٥٢١ - ١٥٢٢ - ١٥٢٣ - ١٥٢٤ - ١٥٢٥ - ١٥٢٦ - ١٥٢٧ - ١٥٢٨ - ١٥٢٩ - ١٥٣٠ - ١٥٣١ - ١٥٣٢ - ١٥٣٣ - ١٥٣٤ - ١٥٣٥ - ١٥٣٦ - ١٥٣٧ - ١٥٣٨ - ١٥٣٩ - ١٥٤٠ - ١٥٤١ - ١٥٤٢ - ١٥٤٣ - ١٥٤٤ - ١٥٤٥ - ١٥٤٦ - ١٥٤٧ - ١٥٤٨ - ١٥٤٩ - ١٥٥٠ - ١٥٥١ - ١٥٥٢ - ١٥٥٣ - ١٥٥٤ - ١٥٥٥ - ١٥٥٦ - ١٥٥٧ - ١٥٥٨ - ١٥٥٩ - ١٥٦٠ - ١٥٦١ - ١٥٦٢ - ١٥٦٣ - ١٥٦٤ - ١٥٦٥ - ١٥٦٦ - ١٥٦٧ - ١٥٦٨ - ١٥٦٩ - ١٥٧٠ - ١٥٧١ - ١٥٧٢ - ١٥٧٣ - ١٥٧٤ - ١٥٧٥ - ١٥٧٦ - ١٥٧٧ - ١٥٧٨ - ١٥٧٩ - ١٥٨٠ - ١٥٨١ - ١٥٨٢ - ١٥٨٣ - ١٥٨٤ - ١٥٨٥ - ١٥٨٦ - ١٥٨٧ - ١٥٨٨ - ١٥٨٩ - ١٥٩٠ - ١٥٩١ - ١٥٩٢ - ١٥٩٣ - ١٥٩٤ - ١٥٩٥ - ١٥٩٦ - ١٥٩٧ - ١٥٩٨ - ١٥٩٩ - ١٦٠٠ - ١٦٠١ - ١٦٠٢ - ١٦٠٣ - ١٦٠٤ - ١٦٠٥ - ١٦٠٦ - ١٦٠٧ - ١٦٠٨ - ١٦٠٩ - ١٦١٠ - ١٦١١ - ١٦١٢ - ١٦١٣ - ١٦١٤ - ١٦١٥ - ١٦١٦ - ١٦١٧ - ١٦١٨ - ١٦١٩ - ١٦٢٠ - ١٦٢١ - ١٦٢٢ - ١٦٢٣ - ١٦٢٤ - ١٦٢٥ - ١٦٢٦ - ١٦٢٧ - ١٦٢٨ - ١٦٢٩ - ١٦٣٠ - ١٦٣١ - ١٦٣٢ - ١٦٣٣ - ١٦٣٤ - ١٦٣٥ - ١٦٣٦ - ١٦٣٧ - ١٦٣٨ - ١٦٣٩ - ١٦٤٠ - ١٦٤١ - ١٦٤٢ - ١٦٤٣ - ١٦٤٤ - ١٦٤٥ - ١٦٤٦ - ١٦٤٧ - ١٦٤٨ - ١٦٤٩ - ١٦٥٠ - ١٦٥١ - ١٦٥٢ - ١٦٥٣ - ١٦٥٤ - ١٦٥٥ - ١٦٥٦ - ١٦٥٧ - ١٦٥٨ - ١٦٥٩ - ١٦٦٠ - ١٦٦١ - ١٦٦٢ - ١٦٦٣ - ١٦٦٤ - ١٦٦٥ - ١٦٦٦ - ١٦٦٧ - ١٦٦٨ - ١٦٦٩ - ١٦٧٠ - ١٦٧١ - ١٦٧٢ - ١٦٧٣ - ١٦٧٤ - ١٦٧٥ - ١٦٧٦ - ١٦٧٧ - ١٦٧٨ - ١٦٧٩ - ١٦٨٠ - ١٦٨١ - ١٦٨٢ - ١٦٨٣ - ١٦٨٤ - ١٦٨٥ - ١٦٨٦ - ١٦٨٧ - ١٦٨٨ - ١٦٨٩ - ١٦٩٠ - ١٦٩١ - ١٦٩٢ - ١٦٩٣ - ١٦٩٤ - ١٦٩٥ - ١٦٩٦ - ١٦٩٧ - ١٦٩٨ - ١٦٩٩ - ١٧٠٠ - ١٧٠١ - ١٧٠٢ - ١٧٠٣ - ١٧٠٤ - ١٧٠٥ - ١٧٠٦ - ١٧٠٧ - ١٧٠٨ - ١٧٠٩ - ١٧١٠ - ١٧١١ - ١٧١٢ - ١٧١٣ - ١٧١٤ - ١٧١٥ - ١٧١٦ - ١٧١٧ - ١٧١٨ - ١٧١٩ - ١٧٢٠ - ١٧٢١ - ١٧٢٢ - ١٧٢٣ - ١٧٢٤ - ١٧٢٥ - ١٧٢٦ - ١٧٢٧ - ١٧٢٨ - ١٧٢٩ - ١٧٣٠ - ١٧٣١ - ١٧٣٢ - ١٧٣٣ - ١٧٣٤ - ١٧٣٥ - ١٧٣٦ - ١٧٣٧ - ١٧٣٨ - ١٧٣٩ - ١٧٤٠ - ١٧٤١ - ١٧٤٢ - ١٧٤٣ - ١٧٤٤ - ١٧٤٥ - ١٧٤٦ - ١٧٤٧ - ١٧٤٨ - ١٧٤٩ - ١٧٥٠ - ١٧٥١ - ١٧٥٢ - ١٧٥٣ - ١٧٥٤ - ١٧٥٥ - ١٧٥٦ - ١٧٥٧ - ١٧٥٨ - ١٧٥٩ - ١٧٦٠ - ١٧٦١ - ١٧٦٢ - ١٧٦٣ - ١٧٦٤ - ١٧٦٥ - ١٧٦٦ - ١٧٦٧ - ١٧٦٨ - ١٧٦٩ - ١٧٧٠ - ١٧٧١ - ١٧٧٢ - ١٧٧٣ - ١٧٧٤ - ١٧٧٥ - ١٧٧٦ - ١٧٧٧ - ١٧٧٨ - ١٧٧٩ - ١٧٨٠ - ١٧٨١ - ١٧٨٢ - ١٧٨٣ - ١٧٨٤ - ١٧٨٥ - ١٧٨٦ - ١٧٨٧ - ١٧٨٨ - ١٧٨٩ - ١٧٩٠ - ١٧٩١ - ١٧٩٢ - ١٧٩٣ - ١٧٩٤ - ١٧٩٥ - ١٧٩٦ - ١٧٩٧ - ١٧٩٨ - ١٧٩٩ - ١٨٠٠ - ١٨٠١ - ١٨٠٢ - ١٨٠٣ - ١٨٠٤ - ١٨٠٥ - ١٨٠٦ - ١٨٠٧ - ١٨٠٨ - ١٨٠٩ - ١٨١٠ - ١٨١١ - ١٨١٢ - ١٨١٣ - ١٨١٤ - ١٨١٥ - ١٨١٦ - ١٨١٧ - ١٨١٨ - ١٨١٩ - ١٨٢٠ - ١٨٢١ - ١٨٢٢ - ١٨٢٣ - ١٨٢٤ - ١٨٢٥ - ١٨٢٦ - ١٨٢٧ - ١٨٢٨ - ١٨٢٩ - ١٨٣٠ - ١٨٣١ - ١٨٣٢ - ١٨٣٣ - ١٨٣٤ - ١٨٣٥ - ١٨٣٦ - ١٨٣٧ - ١٨٣٨ - ١٨٣٩ - ١٨٤٠ - ١٨٤١ - ١٨٤٢ - ١٨٤٣ - ١٨٤٤ - ١٨٤٥ - ١٨٤٦ - ١٨٤٧ - ١٨٤٨ - ١٨٤٩ - ١٨٥٠ - ١٨٥١ - ١٨٥٢ - ١٨٥٣ - ١٨٥٤ - ١٨٥٥ - ١٨٥٦ - ١٨٥٧ - ١٨٥٨ - ١٨٥٩ - ١٨٦٠ - ١٨٦١ - ١٨٦٢ - ١٨٦٣ - ١٨٦٤ - ١٨٦٥ - ١٨٦٦ - ١٨٦٧ - ١٨٦٨ - ١٨٦٩ - ١٨٧٠ - ١٨٧١ - ١٨٧٢ - ١٨٧٣ - ١٨٧٤ - ١٨٧٥ - ١٨٧٦ - ١٨٧٧ - ١٨٧٨ - ١٨٧٩ - ١٨٨٠ - ١٨٨١ - ١٨٨٢ - ١٨٨٣ - ١٨٨٤ - ١٨٨٥ - ١٨٨٦ - ١٨٨٧ - ١٨٨٨ - ١٨٨٩ - ١٨٩٠ - ١٨٩١ - ١٨٩٢ - ١٨٩٣ - ١٨٩٤ - ١٨٩٥ - ١٨٩٦ - ١٨٩٧ - ١٨٩٨ - ١٨٩٩ - ١٩٠٠ - ١٩٠١ - ١٩٠٢ - ١٩٠٣ - ١٩٠٤ - ١٩٠٥ - ١٩٠٦ - ١٩٠٧ - ١٩٠٨ - ١٩٠٩ - ١٩١٠ - ١٩١١ - ١٩١٢ - ١٩١٣ - ١٩١٤ - ١٩١٥ - ١٩١٦ - ١٩١٧ - ١٩١٨ - ١٩١٩ - ١٩٢٠ - ١٩٢١ - ١٩٢٢ - ١٩٢٣ - ١٩٢٤ - ١٩٢٥ - ١٩٢٦ - ١٩٢٧ - ١٩٢٨ - ١٩٢٩ - ١٩٣٠ - ١٩٣١ - ١٩٣٢ - ١٩٣٣ - ١٩٣٤ - ١٩٣٥ - ١٩٣٦ - ١٩٣٧ - ١٩٣٨ - ١٩٣٩ - ١٩٤٠ - ١٩٤١ - ١٩٤٢ - ١٩٤٣ - ١٩٤٤ - ١٩٤٥ - ١٩٤٦ - ١٩٤٧ - ١٩٤٨ - ١٩٤٩ - ١٩٥٠ - ١٩٥١ - ١٩٥٢ - ١٩٥٣ - ١٩٥٤ - ١٩٥٥ - ١٩٥٦ - ١٩٥٧ - ١٩٥٨ - ١٩٥٩ - ١٩٦٠ - ١٩٦١ - ١٩٦٢ - ١٩٦٣ - ١٩٦٤ - ١٩٦٥ - ١٩٦٦ - ١٩٦٧ - ١٩٦٨ - ١٩٦٩ - ١٩٧٠ - ١٩٧١ - ١٩٧٢ - ١٩٧٣ - ١٩٧٤ - ١٩٧٥ - ١٩٧٦ - ١٩٧٧ - ١٩٧٨ - ١٩٧٩ - ١٩٨٠ - ١٩٨١ - ١٩٨٢ - ١٩٨٣ - ١٩٨٤ - ١٩٨٥ - ١٩٨٦ - ١٩٨٧ - ١٩٨٨ - ١٩٨٩ - ١٩٩٠ - ١٩٩١ - ١٩٩٢ - ١٩٩٣ - ١٩٩٤ - ١٩٩٥ - ١٩٩٦ - ١٩٩٧ - ١٩٩٨ - ١٩٩٩ - ٢٠٠٠ - ٢٠٠١ - ٢٠٠٢ - ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ - ٢٠٠٥ - ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧ - ٢٠٠٨ - ٢٠٠٩ - ٢٠١٠ - ٢٠١١

قال محمد لطفي جمعه « ارق شعوراً وادق احساساً وارهدف سمعاً وانفذ بصرأ من غيره فهو يشعر بمرارة الحياة في افواه الفقراء ويلبس مواقع سهام الزمن في احشاء المنكوبين والمنكودين والمظلومين والمحرومين . فاذا نظم او نثر او خطب او تحدث فانما يطلب عدلاً للمظلوم ورحمة للضعيف ونصفة للفقير والمسود وعزة للذليل وفرجاً للمكروب . وبهذا يؤدي بعض رسالته او كلها^(١) . وانك لتجد هذه الرسالة الادبية في كثير من المجلات والمؤلفات والخطب التي ظهرت خلال نهضتنا الحديثة كخطب ورسائل امين الريحاني في الريحانيات وفصول احمد الزيات وعلي الطنطاوي في الرسالة . ومن قول الطنطاوي في الطبقات المصرية « فما هذا التفاوت بين البشر في مصر ؟ ما هذا الوضع الذي يجعل من الناس واحدا يملك مليوناً ، ومليوناً لا يملكون واحداً ، والفا يشتغلون لرجل والرجل لا يعمل عملاً ، وانساناً يظن نفسه من الغني والكبر الهأ واناسي تحسب انها من الفقر والضعفة بهائم^(٢) »

اما الرسالة الشعرية فلها في كل اقليم صبغة خاصة . ولو راجعت نفثات العراقيين امثال الزهاوي والرصافي والشبيبي والدجيلي والصابي النجفي والهاشمي وعلي الشريقي وصالح بحر العلوم والجواهري والسماعي ونظرائهم لشرعت فيها بروح ناقمة على الاوضاع الجائرة شديدة الحملة على ترف الاغنياء وسوء تصرفهم ازاء الطبقات المحرومة التي تعيش عيشة الشقاء والانحطاط^(٣) . وقلما نجد مثل هذه النقمة الثائرة والحرارة الفائرة في دواوين شعراء مصر كشوقي وحافظ ومحرم واحمد نسيم والرافعي والكاشف وعلي الجارم وعلي محمود طه والعقاد وشكري وسواهم التي يغلب فيها الحز على الاصلاح ومناصرة الجمعيات الخيرية وملاجئ البائسين والدعوة للعطف على البائسين ولكنها دعوة على شدتها احياناً تؤمن بواقع الحال

(١) راجع مقال العناصر الانسانية في ادبنا الحديث - مجلة الكتاب (مصر) مج ٣ ص ٤٥

(٢) من مقاله انذار - الرسالة ١٥ - ٦٦٨

(٣) راجع لهم مثلاً - الباب (الزهاوي) ١٢١ - الفقر والسقام للصابي (ديوانه) وقصيدته معترك الحياة الهلال ٢٩ - ٣٩ - ديوان الشبيبي ١٠٩ - الامواج للصابي ٣١ و ٦٦ - قصائد شق في ديوان بحر العلوم - قصيدة للهاشمي في المورد الصافي ٧ - ٢٧٣ بعض مختارات الدجيلي في الادب المصري في العراق (بطي) .

فلا تطالب بثورة أو انقلاب وغاية ما ترجو ان تلين قلوب الاغنياء فيمدوا يد
الاحسان - كقول الجارم^(١)

ايها الاغنياء اين ندامكم بلغ السيل غاليات القلال
هم عيال الرحمن ماذا رأيتم او صنعتم لهؤلاء العيال

او ان تصف حال المحروم بكلمة ملأى بالشعور كقول رشدي ماهر^(٢)
الله للمعروم بات على الطوى وطوى ليالي البرد دون غطاء
يحيا على الوادي النضير بقفرة ويعيش بين الماء في صحراء

وقد تبلغ الدعوة حد الألم المر كما نرى في قصيدة لمصطفى الرافعي عنوانها
« صوت الفقير »^(٣) ينطق فيها بلسان عامل بائس متألم من ظلم الحياة فيصف
حاله في المعمل وما يلحقه من حيف فيه ثم منزله حيث البؤس والمرض والقذارة .
ولكن الشاعر لا يثور على هذا الوضع بل يعتمد الى ملاينة الاغنياء ملتسماً منهم
الرحمة والعطف على حال هذا الفقير المعيل .

فيا قريو العين في دهره عش ناعماً في جدك المقبل
وارحم صغاراً كفراخ القطا من نادب حولي ومن معول
أحسن اليهم بنجياتي وفز منهم باجر المنعم المفضل

وهو ككثيرين لا يرفع صوته بوجوب محو الفقر وافساد الغنى على اهله^(٤)
بل يرى تفاوت الطبقات من سنة الطبيعة . على انه يدعو الى الايمان الصحيح
القاضي على القادرين بالرحمة والمعونة والسخاء وعلى المحرومين بالصبر على الحرمان والبلاء
وبكاد العقاد يكون ثائراً في قصيدته التي القاها سنة ١٩٣٥ محبباً دار العمال
حيث يحض العمال على الاتحاد والجهاد لنيل الحقوق . ويقول لمواطنيه انه لظلم
فادح ان يعيش العامل عبثة الفقر والمذلة والاغنياء يتنعمون بعرق جبينه
وتعب يديه .^(٥)

(١) ديوانه ١ - ٨٠

(٢) ديوانه (١٩٤٩) ٢٩

(٣) الهلال ١٧ - ٢٢٠

(٤) كتابه المساكين (١٩٢٩) ٢٩

(٥) راجع القصيدة في ديوان العقاد (عابر سبيل) ٩٦

ومن تبرز في شعرهم الشكوى من ظلم المجتمع للفقير الدكتور زكي ابو شادي وله في هذا الميدان جولات تذكر^(١)، والشيخ امين الحداد (راجع مجلة مركب (٤٨٩ - ٢)

وقد كان جديراً بحافظ ابراهيم وهو ممن اختبروا الحاجة وانطوت اضلعهم على قلب طيب حساس ان يكون من حاملي لواء الثورة الاجتماعية في مصر ولكنه لم يتجاوز موقف المصلح الذي يستعطف الاغنياء واولي الامر داعياً الى تعليم الفقراء وتيسير سبل الرزق لذوي الخاصة حتى ينشأوا اقوياء الاجساد فيحسنوا خدمة وطنهم^(٢). وطبيعي ألا ينتظر من مثل شوقي ربيب النعم والرخاء ان يقف من قضية العامل الفقير غير موقف المشفق فقط الذي يسدي اليهم النصائح المفيدة « انما العامل من يجعل للدهر حساباً » فاذكروا يوم مشيب فيه تكون الشبابا - اقوال ثمينة ولكنها خالية من الم التأثر وحرارة الاختبار^(٣).

واذا التفتنا الى الشعر السوري اللبناني فاننا لا نحس بجمرة هذه الدعوة في الوطن كما نحس بها في المهاجر حيث كان المهاجرون يخوضون غمار البأساء فتسيل من اقلامهم نعمة على ارباب المال والاعمال (وسنرى ذلك في فصل نخصه لادب المهاجرين)

ولا نبعد عن الحقيقة اذا قلنا ان الشكوى وطلب الاصلاح لم يشتدا بين الادباء المقيمين في سوريا ولبنان الا ابان الحرب العالمية وبعدها^(٤).

(١) راجع له في ديوانه « عودة الراعي » حلم الغد - ١٣٣ - الثالث المقدس - ١٤١ الاحداث

١٤٣ وراجع له ايضاً قصيدة البؤس في الهلال ٣٧ ص ٨ - ١٠

(٢) راجع مقال احمد العجيان في الرسالة (مصر) ٣ - ١٢٢٧

(٣) راجع قصيدته في الشوقيات ٣ - ٧٩

(٤) واليك بعض الامثلة : الى الاغنياء الجائرين - الهلال ٢٨-٨٩١ - الحرب الكونية - ديوان الالهام لامين ناصر الدين ٦٦ - البائسة - للزركلي (ديوانه) ١-٣٢ - الريال المزيف - بشاره الخوري البرق ع ٣٤١٥ - بيروت في الحرب - لطانيوس عبده ديوانه ٩٧ - ايها المحتكر - الهلال ٢٧-٣٦٠ - امنا الارض - المورد ٤ - ٢٣٨ - قصائد شتى في ديوان القيثارة لالياس ابو شبكه راجع بعض نقات محمد الفراتي في ديوانه ومنها الداء الدفين ١-٢٢٧ التي يدعو فيها الى ثورة اجتماعية تتحطم بها النواميس الجائرة - وقصيدة الاغنياء لبولس سلامة البرق ع ١٨-٣٤

وبما اهتم له الادب الحديث في جميع الاقطار العناية باليتيم والشريد. والاقوال في ذلك كثيرة^(١)

وكما يتألم الادب الحديث لحال البائسين من الناحية الاقتصادية يتألم ايضاً لحالهم من الناحية الاجتماعية. واكثر ما يكون البؤس الاجتماعي في البيئات الحضرية ولا سيما المدن الكبيرة حيث تتوفر اسباب اللهو والملذات وتكثر التجارب والموبقات. فهناك يزخر تيار الخلعة حاملاً معه الشقاء الى كثير من الافراد والعائلات. وقد راينا ان نكتفي هنا بمثلين نرى فيهما ما يغني عن اكثر ما كتب ونظم في هذا الباب.

فالاول قصة شعرية لخليل المطران موضوعها « الجنين الشهيد » وهي كما يقول الشاعر تدور على حادثة جرت في مصر حضر وقائعها فوصفها بحقيقتها لتكون تذكرة وعبرة^(٢) وقد صاغها في نحو ١١٤ دوراً خماسياً. وملخصها ان فتاة حسنة فلاحية الاصل جاءت مصر مع والديها للارتفاق. وكان والداها بائسين ومن ذوي النفوس المنحطة فدفعها متنكرة باسم ليلي الى التسول ثم الى العمل في بعض الحانات التي يوتادها خلعاء الشبان.

ولم تخلُ في بدء عملها من خفر وحياء ولكنها لم تلبث ان فقدتها في الحانة اذ تعودت مباشرة الشاربين واغراءهم على التماذي في الشرب والانفاق. وشعرت يوماً ان احدهم واسمه جميل يميل اليها ويظهر الهيام بها. فظهرت له التودد علة يتزوجها فتترك خدمة الحانة وتعيش معه عيشة عائلية راضية. وفعلاً وعدّها

(١) من الامثلة الشعرية ما يلي

ام اليتيم لمعروف الرصافي - البرق ٢ - هـ (بيروت) وديوانه ٥٢

« يتيم » لعمر ابو ريشة ديوانه (مطبعة الكشاف بيروت) ٢٦٢

« اليتام » لفؤاد الخطيب جريدة الجمهور (بيروت) ٧ عدد ٢٦٣

« اليتيم » للدكتور سليم حيدر « الاديب » ٤ ج هـ

« اليتامي » لمصطفى الماحي ديوانه (مصر) ١٦٦

ومن النثر مسرحية الشريد لعملي بك حلمي التي تعالج مشكلة الطفولية المحرومة من عطف الآباء والامهات

الرسالة ١٥ - ٢٠

(٢) راجع القصيدة في ديوان المطران ج ١ - ٢٢٣

بذلك فاعرضت عن سائر الشبان وخصته بانسها وقربها . واثار ذلك غيظ احدهم
فاغلظ لها الكلام لكن جميلاً بارزه وانتصر عليه ثم حملها الى مكان آخر حيث
قضيا الليل بعد ان اتملها بالزواج العاجل
وقر الايام فاذا ليلي حامل وجميل لا يزال يخادعها ويماطلها وهي ترجو وفاءه بالوعد
يقول الشاعر :

وظل جميل لا يفي دين وعده وليلى ثبوت في صيانة عهده
وتهواه حتى في اساءة قصده وتحمل منه المثل خشية بعده
وتقبل منه ما يُمرُّ وما يجلي

ولما كاد امرها يفتضح تجلت لها الحقيقة المؤلمة ان جميلاً كاذب وقد خدعها .
فلم تر بداً من قتل جنينها . وها هي بحسرة شديدة تخاطب جنينها قبل القضاء عليه .

فيا ولدي المسكين فلذة مهجتي ويا نعمة عوقبت فيها بنعمة
ومن كنت ارجوه لسعدي ومهجتي وكان ينـاجيه ضميري بمنيتي
وأمل ان يحيا ويرجع لي بعلي
تموت ولما تستهل مبشرا تموت ولم انظر محبتك مسفرا
وتبرح قبراً فيه عُذبت اشهرا الى جدت منه ابـراً واطهرا
وتحيا صفار الطير دونك والنحل

وهكذا يقضى على ذلك الجنين البريء وتضطرب امه ان تعود الى حياة
الحانات للارتزاق . ثم تناست مع الزمان ما كان وما عوقبت على حد قول الشاعر :
« غير الطهارة والطفل »

اما المثل الثاني ف قصة نثرية لمحمود تيمور « موضوعها الى الحضيض » (١).
وهي تختلف عن الحادثة الشعرية الانفة الذكر في ان البائس شاب كان
هو الجاني على نفسه . وهذا الشاب كان من « ساقطي الابتدائية » في مصر وكان
يسكن القاهرة ويعيش على مرتب زهيد يرسله اليه والده المقيم في الريف .
ويلتقي يوماً في احد المقاهي بجماعة من الشبان فينخرط في سلوكهم ثم يرافقهم

(١) راجعها في مجموعته « ابو علي عامل اريست وقصص اخرى » ص ٩٠

- على كره منه في اول الامر - الى احدى حالات الفناء . وهناك لا يلبث ان يتدله بحب مغنية اسمها كوثر . فيتظاهر امامها باليسر وحسن الحال . ولكي يتمكن من اثبات ذلك يعتمد الى النصب والاحتيال . وهكذا يأخذ بالتدهور دركة دركة حتى يصل الحضيض . ويرينا الكاتب هذا الشاب وقد اصبح في آخر امره معتوهاً منبوذاً يلبس الاسمال القذرة ويستعطي الناس على ابواب المقاهي والملاهي .

ومن المفاهيم الجنسية التي اهتم بها الادب مسألة اللقطاء الذين يطرحون على ابواب الملاهي . ويظهر ان الادب المصري اكثر اهتماماً بها من سواء^(١)

والحياة الاجتماعية في الحواضر واسعة النطاق متشعبة الاطراف وقد ولج الادب جميعها وترك لنا منها رسوماً سوداء تعكس ما فيها من فساد والم وشقاء.

(١) راجع مثلاً قصيدة احمد محرم في كتاب شعراء العصر لحسين ٢٢٣

وقصيدة احمد رامي في ديوانه ١٤٠

وقصيدة ارشدي ماهر في ديوانه (١٩٤٩) ٧٠

ومقالة لمصطفى الرافعي موضوعه عربة اللقطاء في الرسالة (مصر) ٣ - ١٤٤٣

٤ - في مناصرة المبادئ والحقوق الانسانية

نشأ الادب العربي اصلاً في بوادي الجزيرة العربية . وبرغم ما يربط البدوي بقبيلته من نظم متعارفة وما يترتب عليه لشيخه او رئيسه من واجبات ترى فيه نزعة ظاهرة الى الحياة الطليقة . فالبدو لا تعرف هذه القيود السياسية والاجتماعية التي تجعل من الناس طبقات متباعدة واصنافاً متفاوتة، وهي تكره الاستعباد واحتمال الذل والضم . ولعل البيتين التاليين - وهما من لامية العرب المنسوبة الى الشنفرى - يعبران عن هذه النزعة البدوية افضل تعبير .

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى وفيها لمن خاف القلي مُتَعَزِّل
لعمرك ما في الارض ضيق على امرئ سري راغباً او راهباً وهو يعقل
كذلك كان العرب يوم خرجوا لفتح الامصار ، ومع تحول الخلافة الى ملك ايام معاوية وخلفائه من الامويين لم يتحولوا كثيراً عن بساطتهم الاجتماعية ولم ينفصلوا تمام الانفصال عن طبائعهم البدوية . والواقع ان النظام الملكي المطلق وما رافقه من تفاوت بين الطبقات لم يتوطد فيهم الا بعد ان اصبحت بغداد عاصمة الخلافة وبعد ان طغت عليهم امواج الاعاجم من فرس واتراك ومغول . وقد بلغت الملكية المطلقة اوجها في العهد العثماني حتى نهاية حكم عبد الحميد الثاني في مطلع هذا القرن . ومن المعلوم ان الغرب قد سبق الشرق في محاربة الحكم الاستبدادي واعتماد النظام الدستوري . بدأ ذلك جزئياً في بريطانيا ومنها حملته محبوا الحرية الى العالم الجديد حيث اسسوا الديمقراطية الاميركية . ثم انبثق متألقاً في الثورة الفرنسية التي اعلنت حقوق الانسان حاملة مبادئ الحرية الى اكثر البلدان^(١) .

فأخذ ادباء الغرب ومفكروه يلججون بحقوق الفرد والجماعات وما على الحكومات من واجبات وتبعات . وتسربت هذه المبادئ خلال القرن الماضي الى الشرق

(١) لمعرفة تأثير هذه الثورة في ادبنا راجع كتاب الفكر العربي الحديث لرثيف خوري وراجع نص حقوق الانسان كما اقرها الافرنسيون في دستور ١٧٩١ - في مجلة الطريق ١ ع ١٢ وفي البرق

العثماني فظهر لها بعض الاثر في بدء الحكم الحميدي (١٨٧٦) باعلان النظام النيابي. ولكن هذا النظام لم يطل امره فعادت السلطنة الى الحكم المطلق وظلت كذلك حتى حدث الانقلاب سنة ١٩٠٨ فاعيد الدستور ووطد الحكم النيابي. ومنذ ذلك الحين اخذ الادب في الشرق العربي يرفع صوته داعياً للمبادئ الديمقراطية متغنياً بالحرية الفردية والقومية.

ولا ينكر انه قد ظهر قبلاً في تاريخ الادب العربي افراد من دعاة الحقوق الانسانية ومن الناقمين على فساد بيئتهم السياسية والاجتماعية، وكان المعري ينطق بلسانهم اذ يقول: (١)

مُلّ المقام فكم اعاشر امة امرت بغير صلاحها امراؤها
ظلموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

على ان اصواتهم لم تتجاوز حد الشكوى ولم تصل الى مدى بعيد. كان الادب عموماً لا يزال تحت تأثير المعتقد السائد ان كل شيء مكتوب لا سبيل الى تغييره. اما اليوم فقد اصبح الانسان يشعر بمقدرته على تكييف احواله فهو يسعى الى اهدافه متكلاً بالاكثر على نظمه ومستنبطاته، لا على اقدار من وراء الكون تتحكم بحركاته وسكناته.

ولا شك ان هذا التحول الفكري ناتج عن احتكاكنا بالحضارة الغربية. وقد اصاب احد الباحثين اذ قال سنة ١٩٢٣ (٢) - « انه منذ ثلاثين سنة (من عهده) اخذت وسائل الترقّي تتسرّب من الغرب الى الشرق الادنى وبات من الصعب ان يقف الاستبداد حائلاً بين العلوم والعقول، والمواهب السامية والمشاعر الحية. فهبت الجماعات من كل حذب تسير الى الامام في سبيل الاصلاح والفلاح، واخذ ظل الاستبداد يتقلّص عن الشرق ويبدأ ويبدأ. » وقد وصف الدكتور شبلي شميل الارتقاء الذي حصل في المجتمع منذ منتصف القرن الماضي فقال (٣) « وكما انه حصل هذا الارتقاء في العلوم والتخترعات والصناعات حصل ايضاً في الافكار

(١) اللزومات (١٨٩٥) ١٠ - ٥٥

(٢) المقتطف ٦٣ - ٣٧٢

(٣) مجموعته ج ٢ - ٢٩٤ ومجلة الطريق ٢ ع ١٠

فتغيّر نظر الانسان في الشرائع والحقوق والواجبات . فعلم عن يقين ان حقوق الافراد لا يجوز ان تبتلع في جوفها حقوق الجموع، وان المنافع العمومية مقدّمة على المنافع الخصوصية، وان الشرائع التي لا يتوفر معها كل ذلك يجب ان تمزق تمزيقاً . فليس بغريب ان بعض الشباب المثقفين . - حتى في اواخر القرن الماضي وفي ابّان العصر الحميدي - يندفعون الى الجهر بحج الحرية والمساواة كما فعل الياس صالح اذ وقف سنة ١٨٨٨ على منبر الجامعة الاميركية في بيروت والقى قصيدة موضوعها « الحرية الادبية » وهي لا شك تعبّر عن شعور كان قد اخذ يسري في النفوس المثقفة ومطلعها . - (١) -

خلّ عنك الوقوف في دار ميّة واعتزل ذكر زينبٍ وأُميه
ومنها أنّ هذا الانسان لم يك عبداً اثبتته الشرائع المدنيّة
انت حرّ فاعلم بهذا وعلمت انت حرّ وهذه أوّليه
ولكم قد رأيت من حيوانٍ يقضم الجبل بغية الحرّيه
لست عبداً انا ولا انت مولى ايها اللابس الحلى الذهبيه
هكذا الناس ايها الناس طرّاً ما لزيدٍ على عُبيد مزّيه

وانه ليتراءى لنا من خلال الظلمات التي كانت تغشى البلدان العربية قبل عهد الدستور فئة من احرار الادباء الذين تبرز في ادبهم هذه النزعة الانسانية يمثّلهم اديب اسحق اذ يقول من فصل له (٢) مشيراً الى الثورة الافرنسية واثرها الاجتماعي - « تلك ثورة الفرنسيين برزت الى عالم الفعل عام ١٧٨٩ وصدمت قوة الاستبداد فضعضعتها ورفعت عن العيون نقابها، وعن النفوس حجابها، فأنتست من جانبها روح الحرية، وخلعت جلايب الرق والعبودية . ولما تصدى لها اعداؤها تلقّتهم « وهي ترى الموت في الحرية حياة والحياة في الرق موتاً، فلم يبلغوا منها قصداً، ورسخت في عالم الوجود قدماً وكثر الملا من حولها وادهشت الدنيا بشدة حولها . ويذهب الياس ابو شبكة الى ان ادباء الشرق ما تأثروا

(١) راجعها في المقتطف ١٣ - ٦٠٦

(٢) راجعه في كتاب الدور ١٠٣

بعامل اجتماعي كما تأثروا بمبادئ الثورة الفرنسية . تلك المبادئ التي « يُستنشق »
الروح الفلسفي والانساني في كل منها »^(١).

على ان فكرة الحق لم تنضج في الادب العربي ولم تصبح موضوعاً للاقلام
الا بعد ان شاعت في ابناء هذا القرن الحاضر حقائق العلوم الاجتماعية والطبيعية،
وبعد ان تفتحت العيون على النظم الغربية الحديثة من سياسية واقتصادية.
يقول عباس العقاد في مقال موضوعه « اثر الاجانب في نهضة مصر »^(٢) « ومتى
تحويلنا الى هذا الجانب (اي المجتمع والمظاهر الاجتماعية) فالذي نشاهده ان اهم
اثر للاجانب في نهضتنا هو تحرير المرأة اولا ثم تجديد النظم الحكومية ثانياً،
ثم عدد الذين تعلموا وكان لتعليمهم علاقة بالنهضة القومية لانه رشحهم لقيادتها
وحضتهم على طلب النهوض » . واذا اضفنا الى ذلك توجيههم نحو المثل الديموقراطية
والانسانية فان كلامه يصدق على كل قطر .

ولفكرة الحق في ادبنا الحديث وجهتان رئيسيتان - وجهة عامة ووجهة
خاصة . الاولى تتناول الحقوق الانسانية والثانية الحقوق القومية . فلنلق نظرة
على كل منهما .

الوجهة الانسانية العامة

ان الكلمات السحرية الثلاث - حرية - مساواة - اخاء - كانت شعار الثورة
في حملتها على الملكية المطلقة والارستقراطية الممتازة . على ان لها معنى انسانياً
عاماً هو عند التحقيق اساس كل مجتمع دستوري راقٍ . فالحرية هي حق الفرد
ان يفكر ويتصرف كما يشاء ضمن نطاق القانون . والمساواة ان يفتح للجميع
على السواء ابواب التقدم لا يعوقهم عن ولوجها عائق ولادة او مال او مقام .
والاخاء تضامن افراد الامة على تحمل التبعات خدمة لمصلحة المجموع . بهذا المعنى
العام تبرز هذه الكلمات في ادبنا الحديث . ومع ان في العالم العربي اليوم فئة

(١) المكشوف (بيروت) ع ٢٣٢

(٢) الهلال ٤٥ - ٨٤٤

من الادباء تميل الى الشيوعية وتناصرها باقلامها والسنتها^(١) فان الادب عموماً لا يزال كما كان منذ بزغ العهد الدستوري موالياً للنظام الديمقراطي محبذاً للاستقلال الفردي والتراث الروحي. على انه يطالب ان يطبق الدستور تطبيقاً حقيقياً، ويؤله ان يرى التقاليد المذهبية والاقطاعية والعناصر الاستغلالية عثرة في سبيل الحياة الوطنية.

وقد كان طبيعياً في هذا العصر الذي انتشرت فيه الثقافة الانسانية الحرة ومبادئ النشؤ العمراني ان يتحول الادب عن ابواب العظماء من ارباب السيف والمال الى خدمة الشعب والاهتمام بمصالحه. فما هو بعد وسيلة لاستنداء اكف الاغنياء او للتزلف الى الاسباء والحكام، بل هو - الا في زوايا قليلة - رسالة سامية تعكس لنا جمال الحياة.

وذلك لا يعني ان الروعة الفنية وقف على الادب المثالي لا توجد خارجه، بل يعني ان النزعة الانسانية قد اصبحت عامة في ادبنا الحديث، ومن السهل ان يراها كل مطلع على نفثات كتابنا وشعرائنا.

فمنهم من حمل لواء الثورة الاصلاحية كامين الريحاني، وما خطبه ومقالاته التي جمعها في «الريحانيات» الا نفثات مشبعة بالمبدأ الانساني^(٢). وهو يقف فيها، بل في سائر مؤلفاته وقفة المجاهد في سبيل الحق والعدالة والنور حاملاً على المظالم والتقاليد والخرافات مهيباً بانباء قومه الى السير قدماً نحو العلي. كقوله^(٣) «ان المرء يحتاج دائماً الى من يذكّره انه من ابناء اليوم لا من بقايا الامس - يحتاج دائماً الى من يريه الربة والقيود على روحه - يحتاج دائماً الى من يمس في اذنه ويصرخ في وجهه انك انسان حر لا آلة في يد هذا او ذاك يتصرف بها ساعة يشاء وكيف يشاء». وبعد ان يدعو الشرقيين الى الثورة الادبية والنهضة الروحية يقول - «اي اخواني اسمعوا التقيّة همس في اذن هذا الشيخ

(١) ويمثلها كتاب مجلة الطريق في بيروت ونظراؤهم في سائر الاقطار العربية

(٢) راجع مثلاً مقالاته التالية - على جسر بروكلين - الحرية والتهذيب - الثورة الادبية - الاخلاق - خطاب المسيح - المدينة العظمى - الحق والقوة.

(٣) الريحانيات - ٢ - ٥٣

حافظ على مركزك، والخوف يقول لذلك الصعافي حافظ على مصلحتك . اسمعوا
الذلة ترشد اخانا الفلاح قائلة اتق بطش سيدك، والجبانة تمس في قلب الراهب
اتق الفضيحة وحافظ على ثوبك . فالتقية والخوف والذلة والجبانة هي اعداء حرية
الانسان الحقيقية، وان لم يحرر نفسه منها بنفسه فمئة قانون ومئة دستور لا تحرره .
وفكرة الثورة الاجتماعية في نفس الريحاني قوية جداً وقد تتقد فيقذفها قلبه
شعراً منشوراً كقوله منذراً الطغاة والمستبدين^(١) .

هي الثورة وابناؤها الخفاة وصبيانها المسترجلون العتاة
ورجالها الاشداء الكماة ونساؤها المتتمرات
ويل يومئذ للظالمين

أنذرهم باغلالٍ وسعير بقبائل تنفجر ويوم عسير
يوم لا ينهون ولا يأملون ولا يطلقون فيهربون
ويل يومئذ للظالمين

وهكذا يجري في هذا النشيد وغيره مذكراً للناس بعقاة التاريخ وكيف
دكت عروشهم ونال المظلومون من الظلام حقوقهم .

(ومن الادباء الانسانيين من حمل لواء التمرد على الاوضاع والنظم الموروثة
ويمثلهم جبران جبران في اكثر ما كتبه بالانكليزية والعربية، ويكفي ان نذكر
له هنا «العواصف» فهي كاسمها عواصف تهب من اعماق نفسه لتسف المعقنات
والعادات القديمة التي تقيد حرية الانسان وبالتالي تحول دون سعادته . فالحياة
البشرية عنده مثقلة بقيود الذل والهوان، وما الانسان تحت الاوضاع الحاضرة
الا عبد لا يعرف نعمة الحياة الطليقة - عبد لتقاليد موروثة لا خير فيها -
عبد للماضي وسنن الجدود - عبد لما تتطلبه البيئة - عبد للشرائع الجائرة والمطامع
القاهرة . واذن فلا يرجى له صلاح الا بهدم ما بناه الماضي في حياة الانسان
واستئصال كل ناخر وفاسد من جسم العمران . وماذا عسى ان افعل بأيامي
وليالي لانفع الناس؟ اتخذ حفر القبور صناعة تريح الاحياء من جنث الاموات

المكرسة حول منازلهم ومحاكمهم ومعابدهم « هكذا يقول في مقاله الرمزي - حفار القبور - الذي يرمز به الى نفسه والى رسالته الادبية . وعلى هذا الفرار يجري في مقاله العبودية اذ يقول - « انما الناس عبيد الحياة وهي التي تجعل ايامهم مكتنفة بالذل والهوان ولياليهم مغمورة بالدموع » وبعد ان يستعرض لنا التاريخ والمجتمع يقول - اتبعت الاجيال من ضفاف الكنج الى شاطئ الفرات الى مصب النيل الى جبل سينا الى ساحات اثينا الى كنائس روما الى ازقة القسطنطينية الى بنايات لندن فرأيت العبودية تسير بكل مكان في موكب العظمة والجلال والناس ينحرون الفتيان والعداري على مذابحها ويدعونها الهاء، ثم يسكبون الخمر والطيب على قدميها ويدعونها ملكاً، ثم يحرقون البخور امام تماثيلها ويدعونها نبياً، ثم يخرون ساجدين لها ويدعونها شريعة، ثم يتعاربون من اجلها ويدعونها وطنية، ثم يجتدون ويجاهدون في سبيلها ويدعونها مالا وتجارة» (١).

ويظهر تمرد جبران كما ذكرنا آنفاً - في اكثر اقواله ولكنه تمرد يراى به نصرة الحق الانساني والحياة المثلى وهو يرسم لنا بصورة ادبية خلاصة (٢).

وما يدعو اليه جبران عن طريق الخيال الشعري يدعو اليه جملة صالحة من الكتاب عن طريق البحث الحر . فكتاب « في الادب الجاهلي » مثلاً لطف حسين - وان لم ينحصر للمباحث الانسانية - ينضح بروح جريئة تجاهر بما تعتقد وتطالب بحرية التفكير وحق الانسان ان ينظر في الامور - ماضيها وحاضرها - نظراً غير مقيد بتقليد او مذهب، وان يعرض نظره على الجمهور دون محاباة او وجل . وهذه الروح هي التي تظهر في وصفه للروح الجامعي اذ يقول (٣) « الروح الجامعي الذي يسمو على كل الفروق ويرتفع فوق كل لون من ألوان الخلاف هو الذي ميّز الانسان وسميّه من الكائنات الحيّة كلها، هو حب الحق والبحث عنه، هو الرغبة في المعرفة والحرص عليها، هو الاقبال على العلم من حيث هو لا من حيث ما قد يُنتج من الخير او يحقق من النفع » .

(١) راجع الفصلين الاولين من العواصف

(٢) راجع ايضاً الفصول التالية : الملك السجين - يا بني امي - ابناء الالهة - المخدرات والمباضع

(٣) الهلال ٤٦ - ٣٦٥

الارضاس المسوسة - العاصفة .

وما يقال عن كتاب «الادب الجاهلي» من حيث الروح الانسانية الحرة يقال عن عدد من الكتب والرسائل التي ظهرت في هذا العصر «كتحرير المرأة»، «والمرأة الجديدة» لقاسم امين، «وحرية الفكر» لسلامه موسى، «وثورة الادب» لحسين هيكل، «والغربال» لمخايل زعيمه، وسواها،

ولست العبارة في هل هذه الكتب جميعها تنطوي على حقائق لا تقبل المناقشة بل في الدوافع النفسية التي دفعت كتابها الى وضعها وتحمل تبعاتها.

واذا التفتنا الى الشعر رأينا لا يقل عن النثر تأثيراً بهذه الروح. ومن الشعراء الذين عرفوا بذلك جميل الزهاوي الذي شغف بالحرية حتى جعلها فتاة شعره وغاية مناه. وقد دفعه هذا الشغف الى مهاجمة الحجاب وعبث الاحكام وجود الرجعيين وغير ذلك بما كان يراه حائلاً دون التقدم. وهو يهاجم غير متروك او هيباب مفاخرأ بصبوره وثباته في ساحة الجهاد - يقول

يريدون ان يخفي الجريحُ أنينه ويسكت اهل الحق عن طلب الحق
ولكنني ابقى بحقي مطالباً الى ان يسد الموت في ساعة حلقي^(١)

ومثل الزهاوي محمود الخفيف (مصر) في قصيدة يذكر فيها ابطال الحرية في التاريخ وان الحرية مهما اخفق الزمان صوتها فهي تتجلى في الطبيعة وفي ارواح الشعراء اذ هي من روح الله هيئات ان توثق^(٢)

وقد تبلغ الحرارة ببعضهم درجة الثورة على الاوضاع السياسية السائدة. كما فعل محمد مهدي الجواهري في مطوّلته «عالم الغد»^(٣). حاملاً على النظام الديمقراطي الرأسمالي ويسميه تمكماً نظام الاحسان والصدقات. يقول فيها -

يانظام الاحسان والصدقات واقتطاع الاجراء والنفقات

من حساب الاسلاب والسرقات

واحتضان اللقيط في الطرقات

واحتيال القانون للطبقات

(١) ديوانه الباب ١٨٣

(٢) راجعها في الرسالة ١٥ - ١٣٥

(٣) راجعها في مجلة الطريق (بيروت) مج ٢ ج ٢٠ ومج ٣ ج ١

موبقاتٌ تَوَمُّ بالموبقاتِ
 يربأ الكون واثقاً مقداماً ماشياً - والآنوفُ رَغْمٌ - اماماً
 غازياً بؤرة العقول اقتحاماً
 تاركاً خلفه الرياءَ حطاماً
 أن ترى أنت للشعوب نظاماً

ومثل الجوهري كاظم السماوي في اغاني القافلة وهو يمثل الشباب المتنبه
لحقوقه النائم على الامتعمار والاستبداد

ومن الشعراء الانسانيين من يتخذ طريقة التأمل والاعتبار، كاسماعيل صبري
 مثلاً اذ يرى سنة ١٩١٠ مذهب هالي ويسمع ما يقال فيه ويشاع عنه فيفكر
 الشاعر في حياة الناس ويقول من قصيدة^(١)

والورى طارئة ازاء طريدٍ وعُقابٌ تُمسي تطارد صقرا
 وجيوش يغل من بعضها البعض وهضبٌ كبرى تناطح صغرا
 عبر كلهم الحياة ولكن اين من يفتح الكتاب ليقرا

واذا صحَّ ان الحق ضائع في الورى وان لا صلاح للكون في زعمه الا
 بالفناء فلا غرابة ان نراه يرحب بهذا المذنب الذي يزعمون انه سيصدم الارض
 ويُردي من عليها.

وبعد وقفة اسماعيل صبري لدى المذنب بعشر سنوات يقف متأمل آخر
 على نهر لندن وكانت بريطانيا قد خرجت ظافرة من الحرب العالمية الاولى واخذت
 توطد قوتها الحربية فيخاطب تلك القوة الجبارة بقوله من قصيدة^(٢)

ايها القوة مهلاً فاحذري ان في التاريخ للناس خبر
 والي اصغي قليلاً واذكري ومعى سيروى ترى فيه العبر
 كم هوت من قوة قبل الاجل

(١) ديوانه ١٤٢

(٢) مجلة الكلية ٨ - ٣٨ والمورد الصافي ٧ - ١١٠

وعروش وشعوب ودول
 بعدما صالوا بجندٍ وخول
 انهم بالسيف قاموا وعلوا وبه ايضاً من الاوج هـوا
 وهنا يلتفت بعين الخيال الى مدافن الامم في التاريخ فيرينا كيف طويت
 ايجاد القوى العاشمة ثم يختم القصيدة مشيراً الى هذه المدافن .

ههنا السيفُ سيعلوه التراب ههنا المدفع يصدا في الظلام
 ههنا الرمح سيلبى والخراب وبذل الفخر في جوف الرغام
 ليس للقوة سلطان الوجود
 ليس للسيف العلى او للجنود
 انما الحق سيعلو ويسود
 ايها القوة هـلا تعقلين هوذا الحكمة تدعو العالمين

وفي التاريخ كثير من العبر . والادب كثيراً ما ينظر الى وقائع المستبدين
 وما آل اليه امرهم . كما فعل خليل مطران في بضع قصائد له منها « مقتل
 بزرجمهر » و « الاهرام » و « نيرون »^(١) . وهذه الاخيرة تصف لنا في نحو اربعمئة
 بيت حياة نيرون واستبداده الجنوني ثم خنوع الناس لديه وتلفهم اليه . والشاعر
 يلوم الناس على هذا التصرف ويعتقد انهم هم الذين يسهلون طريق الاستبداد
 والفساد للمستبدين فيقول في مطلعها -

ذلك الشعب الذي آتاه نصرا هو بالسبّة من نيرون احرى
 اية شيء كان نيرون الذي عبدوه ؟ كان فظّ الطبع غراً
 انما يبطش ذو الامر اذا لم يخف ببطش الألى ولّوه امرا

ويختمها بقوله -

من يلم نيرون اني لائم امّة لو كهرته ارتدّ كهرا
 كل قوم خالفو نيرونهم قيصر قيل له ام قيل كسرى

(١) تجد جميع هذه القصائد في ديوانه ١٩٤٩ ج ١ - ١٢٠ و ١٠٤ وج ٣ - ٥٠

ومن هذا الشعر الانساني قصيدة لمحمد تيمور موضوعها «عقبي الظالمين» او خوفو^(١). وقصيدة لرثيف الحوري موضوعها «قمة الزمان»^(٢) وكثير مما لا يمكن حصره هنا. وكلها تعكس هذه الروح التي تدافع عن الحق وتتغنى بالحرية وتحمل على الاستبداد المادي والروحي فتصبح بلسان ابي القاسم الشابي التونسي^(٣).

الا ايها الظلم المصغر خذ رويدك ان الدهر يبني ويهدم
هو الحق يبقى ساكناً فاذا طغى باعماقه السخط العصف يدمدم
وينحط كالصخر الاصم اذا هوى على هام اصناف العتو فيحطم

الوجهة الانسانية الخاصة

واذا نعتناها بالخاصة فليس لانها تختلف عن العامة بروحها بل بمداها ومرماها. وذلك لانها ^{كانت} محدودة تنحصر في حياة الامة وتبرز في نفثاتها القومية. وليس غرضنا الآن ان نعود الى شرح العواطف التي رافقت تطور العرب القومي وتغير اوضاعهم السياسية قد تناولنا ذلك باسهاب في الجزء الاول من هذا الكتاب. وانما غرضنا ان نوجه النظر الى ما في هذه العواطف من نزعة انسانية، ومن نصرة لمبدأ الحق والعدالة. ولعل اهم العوامل الفعالة في تقوية هذه النزعة هي ما يلي:

- ١ - اعلان الدستور سنة ١٩٠٨ وقد بينا في غير هذا المقام كيف اهتزت له القلوب وكيف اعتبره الجميع اثبت ضمانا للحق وافعل وسيلة لازالة الفساد^(٤).
- ٢ - مبادئ الرئيس ولسون الاربعة عشر.
- ٣ - الميثاق الاتلانتكي سنة ١٩٤٢.
- ٤ - انشاء منظمة الامم المتحدة
- ٥ - اعلان حقوق الانسان

...

(١) المقتطف ٥١ - ٣٩٧

(٢) مجلة الطريق (بيروت) ٣ ع ٢٠

(٣) الرسالة (مصر) ٢ - ٢٠٦٧

(٤) الجزء الاول ٣٤

لما وضعت الحرب العالمية الاولى اوزارها بوز مبدأ تقرير المصير كما اعلن في مبادئ ويلسن المشهورة . فعرك ذلك الامم المستضعفة واحيا آمال النفوس الوطنية الحرة حتى جعلوا منه مصادر وحي لكثير من ادبهم القومي^(١) . فكان العرب مثلاً كلما سنحت فرصة ذكروا الرئيس الاميركي بالخير واثنوا على مساعيه كما فعل عبد المحسن الكاظمي في قصيدة القاها سنة ١٩١٩ - « نحية لرسول السلم » وهي طويلة وتتجسم لك روحها في البيتين التاليين منها :^(٢)

يا خيرة الرؤساء انت فضيلة سارت مسير النجم في الديجور
عمرت مجالسنا بذكرك وانحنى لرفيع قدرك سائر المعمور

وقد يقرنون الثناء عليه بالاسى لتغلب الدهاء السيامي في اوروبا على مثالية مبادئه كقول خيرى الهنداوي^(٣) في قصيدة :

فوعى ولسون الرئيس من القول نصوحاً قد نمتت تنميها
وتلا ملقياً على القوم آياً قبلوها واطهروا التصديقا

ولكنهم في الحقيقة لم يؤمنوا بها ولا طبقوها فذهبت ادراج الرياح وهكذا عم الانتداب معظم الاقطار العربية وذهب بأمانى العرب وآمالهم في تقرير مصيرهم .

ومن الطبيعي ان يثير ذلك في نفوس القوميين منهم شعوراً حاداً بالخيبة وان يرسخ في عقولهم المعتقد بانهم مظلومون مهضومو الحقوق حتى صرت تراثهم - رغم تكتلاتهم السيامية والاقليمية - مرتبطين معاً بروابط واحد من الاسى والمرارة النفسية ولسان حالهم يردد مع الرصافي قوله من ابيات نشرها سنة ١٩٢٠^(٤) .

وكم قد سمعنا سامة الغرب تدعي باشياء من بطلانها ضحك الحق
فهم منعوا رق الاسير وانما اجازوا لهم ان يشمل الامم الرق

(١) راجع مثلاً خطاب مكرم عبيد الثورة النفسية في الشرق الذي القاه في دمشق - تجده في جريدة الاخاء الوطني بغداد ع ٣١ اب ١٩٣١

(٢) راجعها في ديوانه ص ٢٢٦ وراجع مثلها قصيدة لمصطفى الرافعي في المقتطف ٤ - ١٧٠

(٣) راجعها في الادب المصري في العراق (بطي) ١ - ١٦٩

(٤) الهلال ٢٩ - ١٨

ولهذا الشاعر قصيدة تمكينية موضوعها « القوة تصف الحرية » يقول فيها^(١) :

يا قوم لا تتكلموا	ان الكلام محرم
فاذا ظلمتم فاضحكوا	طرباً ولا تنظلموا
او قيل هذا شهدكم	مرّ فقولوا علقم
او قيل ان بلادكم	يا قوم سوف تقسم
فتعبدوا وتشكروا	وتنحوا وتغوا

امثال هذه النفثات الشاكبة كانت ترتفع في جميع الاقطار العربية معبرة عن شعور عام بتقهقر الحق امام الباطل وتغلب المطامع الاستعمارية على الامال القومية وقد كان لهذا الشعور ابان الحرب العالمية الثانية عمل في صرف الفئة الكبرى من العرب عن الحلفاء.^(٢)

ولما اعلن الميثاق الاثلاثيني سنة ١٩٤٢ وقفت العواطف العربية موقف المتروك بين المعسكرين حتى أعلن استقلال بعض البلدان العربية وقبولها في جمعية الامم المتحدة ففضى ذلك على التردد وجعل العرب عموماً في جانب الديمقراطيات الغربية . على ان الاعتداء الصهيوني في فلسطين ومناصرة الديمقراطيات الكبرى له قد اوقف العرب موقف الريب والحذر ودفع كثيرين منهم الى هوة اليأس والنقمة ولا ندري ما ستلده الايام من تطورات تتبدل معها مجاري العواطف في الممالك العربية، ولكننا ندري ان تربتنا قد زرع فيها من البزور الفكرية ما سيكون له شأن في توجيه ادبنا الانساني . فالايان بالديمقراطية، ونشوء الفكرة بجامعة دول عربية ، والشعور بالاستقلال السياسي ، وقيام الاحزاب والمنظمات الشعبية — كل ذلك وان لم يكن بعد قد تأصل في حياتنا القومية سيجد فيه الادب مجالاً واسعاً لتعزيز الروح الوطنية ضمن إطار المبادئ الانسانية الحرة .

....

ونحن لا نزع ان تاريخ الامم العربية لم يكن سوى سلسلة من عهود خنوع

(١) راجعها في ديوانه (١٩٣١) ٤٢٦

(٢) راجع تركية لذلك ما كتبه مراسل ال Sunday Times في القاهرة الى جريدته وقد نقلته

جريدة البلاد البغدادية في عددها ٨ شباط ١٩٣٩

واستكانة، وان ادبهم لم يكن الا ادب تزلف وارتزاق. فمنذ ايام الجاهلية الى هذا اليوم يمر امامك على صفحات التاريخ الادبي ما يشير الى ان انصار الحق والحرية لم ينقطعوا في عهد من العهود. على انه من الانصاف ان نقرر انه لم يكن عهد تشرب ادبه روح الانسانية وادرك معنى العدالة الفردية والاجتماعية كهذا العهد الاخير. حتى ان بعض قادة الفكر بيننا يعتبرها الاساس الصحيح للتعليم العالي. وعلى ذلك يقول فيليب حتي^(١) - « ان غاية التهذيب يجب ان تكون الغاية الاجتماعية المقصود بها تأهيل الطالب لخدمة المجموع ولنفعه بني الانسان. فحري بنا ان ننعم النظر في كل درس نريد ان نعطيه في هذه الجامعة لتؤكد علاقته بالحياة ومشاكلها ولتتحقق ما اذا كان يساعد الطالب في المستقبل على العيشة الديمقراطية الاجتماعية الحرة ».

بل يذهب احمد امين الى ابعد من هذا فيطلب « ان يكون مبدأ الانسانية ديناً يبشّر به ويُعمل من اجله وتحوّر مناهج التعليم وقواعد الاخلاق على حسبه »^(٢) ومهما اختلفت نظريات الادباء في معنى الديمقراطية وفي علاقة الفرد بالمجموع فانهم متفقون على مناصرة الحق الانساني. ولا شك ان اعلان وثيقة حقوق الانسان كما اقرتها الامم المتحدة في اواخر السنة ١٩٤٨ سيقوي في ادبنا وفي ادب كل امة هذه الفكرة السامية التي هي ضالة الامم المنشودة.

ولا ينكر ان الغرب قد سبقنا شوطاً بعيداً في هذا المضمار فلم يظهر فينا بعد من بضاهي كارليل (Carlyle) ورسكن (Ruskin) وديكنس (Dickens) وكينسلي (Kinsgley) وموريس وروسو وهينغو وتولوستوي وامثالهم من امراء الادب الانساني الذين الهبوا شعور الناس فكان لهم يد تذكر في اصلاح المجتمع. على ان الشرق الجديد آخذ بالتقدم^(٣) وقد بدأ يتأثر بالحركات الشعبية التي تفعل فعلها اليوم في البلدان الراقية. وطبيعي ان ينعكس ذلك في ادبه وان يزيد مع الايام اهتماماً باحوال الشعب ووسائل اصلاحها^(٤).

(١) من خطبة القاها في بيروت ١٩٣١ (في حفلة الجامعة الاميركية) المورد الصافي ٧ - ١٢٢

(٢) من مقالة اكاذيب المدنية - الهلال ٤٥ - ٧٣٣

(٣) يكفي ان يكون احد واضعي وثيقة حقوق الانسان لبنانياً من ابناء العربية

(٤) راجع من هذا القبيل اراء الكتاب في الجزء الاول من الهلال مج ٤٥

٥ - القضية النسائية وراثها الادبي

إذا استثنينا بابي الرثاء والغزل فقلما نرى للمرأة في أدبنا القديم من أثر أو مقام يذكر. فهي في الرثاء قد شاركت الرجل فنظمت ما جادت به طبيعتها من شعر تحذر بعضه إلينا وأصبح جزءاً من تراثنا الأدبي^(١)

أما الغزل فنصيبها فيه نصيب الموحى فقط وذلك طبيعي إذ هي المقصودة والمطلوبة. لاجلها كان الرجل يبتّ عواطف الوجد ويتغنى باناشيد الهيام. وفي أدبنا العربي منذ عهد امرئ القيس إلى وقتنا الحاضر سلسلة من الغواني اللواتي تأثر الشعر بهنّ فوصف جمالهنّ ووجد النفس بهنّ. ولا يزال باب الغزل مفتوحاً على مصراعيه وسيظل الشعراء إلى ما شاء الله يصفون الجمال ولواعج الفؤاد ويعزّون إلى المرأة كل أسباب الهناء والشقاء.

(وبما يلاحظ هنا أنه برغم ما حاوله الشرع الإسلامي من تحسين حال المرأة العربية ظلت منزلتها في الأدب دون منزلة الرجل). وقد قام من النساء قديماً من أحرزن مكانة عالية في الحياة العمومية والأدبية كزنوبيا ملكة تدمر وكعائشة أم المؤمنين وسكينة بنت الحسين والعباسة بنت المهدي والسيدة زبيدة زوجة الرشيد والسيدة نفيسة وست الملك بنت العزيز الفاطمي وشجرة الدر وولادة بنت المستكفي وعائشة الباعونية وسواهن. على أن ذلك لم يغير نظر الأدب عموماً إلى المرأة فظلت منحة المنزلة ولا سيما بعد أن طفا على المجتمع العربي الفساد بانتشار الجوارح وذبوع الترف والانصراف إلى الملاهي. حتى أن أبا العلاء المعري، وهو الشاعر الحكيم الذي وقف أكثر شعره على التنديد بمعائب جيله لم يرتفع عن سواه في نظره إلى المرأة فوصفها وصفاً قائماً كما ترى في هذه الأبيات من قصيدة يحذر فيها الرجال من كيد النساء ويبيدي رأيه في صفاتهن وما يلزم لهن قال^(٢) -

فوارس فتنة أعلام غيِّ لقينك بالأساور معلمات

(١) راجع كتاب رياض الأدب في مرآتي شواعر العرب (شيخو) بيروت ١٨٩٧

(٢) اللزوميات ١ - ٨٨ (مصر ١٨٩٥)

فلا ترمق بعينك رائحاتٍ الى حمائم مكتمات
فما حفظ الحريدة مثل بعل تكون به من المتحرّكات
وحمل مغازل النسوان اولى بهن من اليراع مقلمات
وساوٍ لديك اتراب النصارى وعيناً من يهود ومسلمات

ولقد يكون المعري في نظره الى المرأة شديد التخرج ثقيل الوطأة ولكنه لم يكن نسيج وحده بل هو يعكس لنا المعتقد العام في جيله وفي اكثر الاجيال . والواقع ان المرأة كانت عند اكثر الامم القديمة مقيدة بقيود شديدة من العادات والشرائع . ولم تتحسن حالها في اوربا الا في عهود متأخرة وبطريقة تدريجية . على ان اوربا قد سبقت الشرق العربي في الاخذ باسباب الاصلاح الاجتماعي فلم تبزغ شمس النهضة النسائية عندنا الا في اواخر القرن الماضي . في ذلك الحين ادركت المرأة المتعلمة كما ادرك الرجل ان لها حقوقاً ضائعة وانه من الواجب ان تفتح لها ابواب التقدم^(١) . وقد نشأ عن هذا الشعور مع الزمن حركة ادبية ترمي الى رفع شأنها وتحريرها من قيود التقاليد الجائرة وهي تتجلى في ظاهرتين رئيسيتين - الاولى ما قام به انصار المرأة من الرجال والثانية ما قامت به هي في هذا السبيل . فلننظر في كل منهما .

انصار المرأة وامارهم الادبية

العلّ رفاعه الطهطاوي المتوفى ١٨٧٣ اول من ارتفع صوته في مصر بالدعوة الى تعليم المرأة^(٢) . اما في سوريا ولبنان فالمعروف ان بطرس البستاني صاحب محيط المحيط هو اول وطني اهتم بهذا الامر^(٣) . وقد توفي البستاني سنة ١٨٨٣

(١) راجع المقتطف ٧ - ١٧ و ٥٨٤ - وراجع مقال عبد الفتاح عبادة « نهضة المرأة المصرية والعربية » في الهلال ٢٧ - ٧٠٥ و ٨٤١ و ٨٨٢

(٢) راجع الهلال ٤٣ - ١١٣ مقال طاهر الطناحي . وراجع الثقافة ٥ ع ٢٣٥ ص ٩ حيث نجد ان اول مدرسة في مصر انشئت في عهد اسماعيل ولا يرضى الراي العام يومئذ عن ذلك فيقف الشيخ رفاعه الطهطاوي مدافعا عن ذلك مجبدا تعليم البنات

(٣) المقتطف ٨ - ٦

وفي تلك السنة يلقي ولده سليم خطبة موضوعها « ان التي تهز السرير بيسارها تهز الارض بيمينها » وهي طويلة وفي ختامها يقول^(١) « فان النساء اساس البناء التمدني ولا يشاد في امة الا على ذلك الاساس . والشعب الذي يحاول ذكوره التقدم دون النساء كالرجل الذي يحاول السفر برجل واحدة » . ولفارس الشدياق من هذا القبيل اقوال شتى في مجلته الجوائب .

والواقع انه منذ عهد الطهطاوي والبستاني قد توالى المقالات والخطب والمناظرات بشأن المرأة وحقوقها ومقامها في المجتمع بالنسبة الى الرجل . ولما كان كل الكتبة او جلّهم يومئذ من المسيحيين^(٢) لم يكن الحجاب من الامور البارزة في اقوالهم .

على انه لم يكذب ينشق فجر القرن العشرين حتى دوى في مصر صوت هز العالم الاسلامي العربي من اقصاه الى اقصاه . وهو صوت قاسم امين يدعو ابناء وطنه ومملته الى وجوب تعليم الفتاة وتخفيف الحجاب او رفعه وتنظيم الزواج والطلاق ومنح المرأة حقوقها الاجتماعية وحريتها الطبيعية مستنداً في كل ذلك الى النصوص القرآنية والنبوية محاولاً تفسيرها بما يلائم روح العصر . ولما طلع قاسم بحججه على الشرق العربي تصدى له المحافظون فعانى منهم ما يعاينه كل مصلح لا يأنس الى كلامه الراي العام^(٣) والى ذلك يشير شاعر النيل حافظ ابراهيم في قصيدته التي مطلعها - لحاظك والايام جيش نحارب^(٤) .

أقاسم ان القوم ماتت قلوبهم ولم يفقهوا في السفر ما أنت كاتبه
الى اليوم لم يرفع حجاب ضلّهم فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبه

بيد ان نفخته لم تكن في رماذ فقد حركت نفوس محبي التجديد والحرية

(١) المقتطف ٧ - ٧٠٩

(٢) امثال صروف في اماكن شتى من المقتطف وزيدان في الهلال ١٦ - ٢٣٩ و ٢٢ - ١٦٣ والطبيب شبلي شميل - المقتطف ١١ - ٤٠١ و ١٢ - ٥٠ والطبيب بشاره زلزل راجع خطابه في تقرير جمعية باكورة سوريا ١٨٨٨ . و خليل سعد - المقتطف ١١ - ٧٤٨ و وديع الحوري - المقتطف ٧ - ١٧

وجرجي بني - الباحث « طرابلس » ١ - ٢٩٥ وسوام

(٣) راجع كتاب تربية المرأة والحجاب لمحمد طلعت حرب ١٩٢٣ ، ٩ - ١٠ ومقال محمد حسين

هيكال « بعد قاسم امين » الهلال ٤٣ - ٢٥

(٤) الشعراء الثلاثة للسندوني (١٩٢٢) ص ٣٥٧

فاخذوا يلهمجون بهذه المسألة على صفحات الجرائد وفي المنازل والمنتديات^(١). ومن ذلك فصل لجرجي زيدان موضوعه المرأة الشرقية قال في مطلع^(٢) «كثير تحدث الناس في اوائل هذا العام (١٩٠١) في المرأة والحجاب^(٣) على اثر ظهور كتاب المرأة الجديدة لقاسم بك امين صاحب تحرير المرأة فراينا ان نفرد فصلا للبحث في المسألة الشرقية وما عانت من الاهوال في اثناء القرن الماضي. بعد ما طرأ علينا من عوامل التمدن ما لم يتفق للشرق في دور من ادوار عمرانه منذ الخليقة الى اليوم. ثم يتناول المرأة المسيحية في سوريا يومئذ فيذكر ما كانت عليه حتى السنة ١٨٦٠ من التأخر وسوء الحال. وانه بعد تلك السنة اخذت الارساليات الافرنجية بتأسيس المدارس للبنات وهكذا بدأت النهضة النسائية الحديثة ولكن ببطء وحذر. وقد قضت المرأة الجديدة في سوريا اعواماً وهي عرضة لانتقاد الجمهور.

وبواسطة الصحف والمنابر والمطابع تسقى لطلاب الاصلاح الاجتماعي ان يعلنوا آراءهم ويثبتوا خوالج نفوسهم فتروكوا لنا من آثارهم في هذا المضمار ما هو جدير بالدرس والاعتبار. وتبدو لنا هذه الآثار في ابواب ثلاثة هي: باب المباحث المتعلقة بالمرأة وحقوقها - نفثات العطف من الشعراء والمتوسلين - حملات المحافظين والمعارضين. واليك كلمة في كل من هذه الابواب

(١) النار (مصر) ٢ - ٣٦٩ و ٣ - ٨٥٠

(٢) الهلال ٩ - ٣٥٠

(٣) واجع مثلاً بحث محمد حسين هيكل في الهلال ٣ - ٢٨

أقوال الباحثين

من المتعذر ان نحصر هنا كل ما يدخل في هذا الباب من مباحث ورسائل ومحاضرات ومصنفات فنكتفي باختيار الامثلة التالية منها

- (١) كتاب تحرير المرأة وكتاب المرأة الجديدة لقاسم امين
- (٢) كتاب المرأة في الشرائع والتاريخ وكتاب المرأة في التمدن الحديث لمحمد جميل بيهم
- (٣) كتاب تحرير المرأة في الاسلام بقلم مجدي الدين ناصيف
- (٤) رسالة في نهضة المرأة المصرية والمرأة العربية لعبد الفتاح عباده
- (٥) كتاب اكليل غار على راس المرأة، والنسائيات لجرجي نقولا باز
- (٦) من عبقریات نساء القرن التاسع عشر ليوسف يعقوب مسكوني
- (٧) كتاب حول المرأة لنجوى جمال الدين وشهاده الخوري
- (٨) كتاب المرأة في عصر الديموقراطية لاسماعيل مظهر

اما كتابا قاسم امين فقد ذكرنا آنفاً ما أحدثاه من ضجة في العالم العربي وها نحن نثبت شيئاً منها تبياناً لروحها ولاسلوب كاتبها . قال في التمهيد الذي وضعه لكتاب تحرير المرأة - « سيقول قوم ان ما انشره بدعة . فاقول نعم اتيت ببدعة ولكن ليست في الاسلام بل في العوائد وطرق المعاملة » . ويذهب في كتابه الى ان انحطاط المرأة ملازم لانحطاط الامة^(١) . ولذا كانت حالة المرأة في بدء الحضارة لا تختلف عن حالة الرقيق . وكانت واقعة عند الرومان واليونان مثلاً تحت سلطة ابيها ثم زوجها ثم من بعده من اكبر اولادها . وكان المباح عند العرب قبل الاسلام ان يقتل الاباء بناتهم وان يستمتع الرجال بالنساء من غير قيد شرعي ولا عدد محدود ولا تزال هذه السلطة الان عند القبائل المتوحشة . ولو التفت الى البلاد المتمدنة وجدت ارتقاء النساء في امة مناسباً لدرجة ارتقاء تلك الامة . وليس ذلك بفعل الدين هناك كما انه ليس بفعله تأخر

المرأة عندنا . فليس في احكام الديانة الاسلامية ولا في ما ترمي اليه من مقاصدها ما يمكن ان ينسب اليه انحطاط المرأة المسلمة ، بل الامر بالعكس فانها اكتسبت مقاماً رفيعاً في الهيئة الاجتماعية^(١) . الى ان يقول - « ولكن هو الاستبداد الذي طغى وهو اذا غلب على امة اتصل من الحاكم بمن هو دونه ونفت روحه في كل قوي بالنسبة الى كل ضعيف . . . فمن طبيعة هذه الحالة ان الانسان لا يحترم الا القوة . ولما كانت المرأة ضعيفة اهتضم الرجل حقوقها واخذ يعاملها بالاحتقار والامتهان وداس بارجله على شخصيتها له العلم ولها الجهل . له العقل ولها البله . له الضياء ولها الظلمة والسجن . له الامر والنهي ولها الطاعة والصبر . له كل شيء في الوجود وهي بعض ذلك الشيء الذي استولى عليه »^(٢)

ويقول في مقدمة « المرأة الجديدة »^(٣) . « والمطلع على الشريعة الاسلامية يعلم ان تحرير المرأة هو من انفس الاصول التي يحق لها ان تفتخر بها على سواها . لانها منعت المرأة من اثني عشر قرناً مضت الحقوق التي لم تنلها المرأة الغربية الا في هذا القرن وبعض القرن الذي سبق . فاذا كانت شريعتنا قررت للمرأة كفاءة ذاتية في تدبير ثروتها والتصرف بها وحشت على تعليمها وتهذيبها ولم تحجر عليها الاعتراف باي صنعة والاشتغال باي عمل وبالف في المساواة بينها وبين الرجل الى حد ان اباحت لها ان تكون وصية على الرجل وان تتولى وظيفة الاقضاء والقضاء - اذا كانت شريعتنا تحامي عن المرأة الى هذا الحد وتمنعها هذه الدرجة من الحرية فهل يجدر بنا في هذا العصر ان نغفل عن مقاصد شرعنا ونهمل الوسائل التي تؤهل المرأة الى استعمال هذه الحقوق النفيسة ونضيع وقتنا في مناقشات نظرية لا تنتج الا تعويقاً عن التقدم في طريق اصلاح احوالنا »

« المرأة في الشرائع والتاريخ والمراة في التمدن الحديث » في هذين الكتابين يعتمد المؤلف العرض التاريخي . فيتتبع الحركة النسائية وتطورها عند مختلف الامم القديمة والحديثة وهو لا يتخذ فيها طريق الداعية للمرأة او المحامي المدافع عن حقوقها كما فعل قاسم امين . ولا يحاول مثله تفسير النصوص الدينية او تأويلها

(١) تحرير المرأة ص ١٣

(٢) ص ١٥ و ١٦

اثباتاً لما يؤمن به . ولكنه يقود القارئ بلطف في مسالك التاريخ فلا يصل الى حيث يلقي عصا الترحال حتى يكون قد امتلأ عطفاً على المرأة وقضيتها عطفاً قائماً على تفهم التاريخ وتطوراتها .

ويرى عبد الفتاح عباده في رسالته « نهضة المرأة المصرية » ما قامت به المرأة المصرية الحديثة من الاعمال الوطنية والاجتماعية فيحفزه ذلك الى درس الاطوار التاريخية التي مرت بها المرأة العربية . يحدثنا عن مقامها في التاريخ القديم ومكانتها الاجتماعية والعلمية . ثم يذكر كيف دار بها الزمان فانحط شأنها حتى بلغ الخضيض في القرنين الاخيرين . ويلتفت الى نهضتها الحديثة في مصر مبيناً اسبابها وما كان من اثر التطور الفكري والسياسي في اظهار مواهبها . « وان ذلك سيضمن ما اندرس من مجدها فتيباري الغربيات . ولا غرو ففضلها في المدينة سابق لفضلهن »

وهذا الالتفات الى التاريخ تراه ايضاً في رسالة « تحوير المواة في الاسلام » وهي ثلاثة فصول مستقلة يحاول الكاتب في الاول منها ان يتبين ان « استحقاق المرأة للنصفة والكرامة وتسويتها بالرجل ليس بدعة اليوم وانما هي امور نعرفها من التاريخ » . فيستعرض حالها في التاريخ وفي اقطار مختلفة وبأني بالشواهد على نبوغ الكثيوات من النساء قديماً وقيامهن بالتبعات الاجتماعية والعلمية كفضل الرجال . ويدعم آراءه في المرأة بشواهد من القرآن والحديث واقوال بعض المشاهير . اما الفصلان الآخريان فاحدهما ترجمة للملك ناصف « مؤسسة النهضة النسوية في مصر » والثاني ترجمة هدى شعراوي « زعيمة الحركة النسوية في مصر » وفيها حديث مفصل عن مساعيها في سبيل هذه الحركة .

ويتحدث صاحب « اكليل غار » حديثاً تاريخياً عن حسنات المرأة في الشرق والغرب ذاكرآ مساعيها في مناهي الحياة الاجتماعية كالدين والعلم والاختراع والصحافة والتمريض والطب والهندسة والمجالس الانتخابية والمناصب الادارية . وانما في كل ذلك لا تقل عن الرجل . وغاية الكاتب ان يزيل من النفوس تلك الخرافة القائلة « ان الرجل افضل من المرأة » وانما لا تستطيع القيام بالاعمال المنزلة . وله غير هذه الرسالة اقوال كثيرة في مجلته الحسناء ورسائل اخرى في هذا الباب .

وفي كتاب « من عبقریات القون التاسع عشر » عرض واف لمكانة المرأة في حياتنا الاجتماعية ثم بسط لسيرة كل من عائشة التيمورية ووردة اليازجي وزينب فواز مع شرح لشعرهن ومزايهن وهو اوفى ما كتب عن هؤلاء الاديبات .

اما كتاب « حول المرأة » الذي ظهر مؤخراً (دمشق ١٩٤٧) فيتناول مشكلة المرأة ويعالجها معالجة علمية تاريخية ويدعو الى مساواة الجنسين ورفع الحجاب واعطاء المرأة حقوقها السياسية والاجتماعية . وكذلك كتاب المرأة في عصر الديمقراطية (١٩٤٩) الذي يبحث في تطورها الاجتماعي وما بلغته المرأة بفضل الحضارة الاجتماعية والانقلاب الاقتصادي

ومن المباحث التي نوجه النظر اليها « اثر المرأة في تكوين الرجل » لمحمد مظهر سعيد^(١) « واثر المرأة » لفخري ابو السعود^(٢) « والرجل والمرأة في كفتي الميزان » لنقولا حداد^(٣)

وكنا نود ان نضيف الى قائمة المباحث كتاب السفور والحجاب لنظيره زين الدين (١٩٢٨) فهو من اهم ما ظهر في هذا الباب وقد شغل الناس كما شغلهم كتابا قاسم امين، ولكنه صدر باسم فتاة لا باسم رجل من انصار المرأة فهو خارج عن نطاق بحثنا الان وسنذكره في غير هذا المقام

نشاطات السعراء والفرسان

لهذه النفثات ظاهرتان رئيسيتان الاولى وصفية والثانية اصلاحية . فالاولى تنزع بالاكتر الى تصوير المرأة الفاضلة وتبيان اثرها الحمود في حياة الافراد والمجتمع . ومن هذا القبيل خطبة للامير امين ارسلان في المرأة وتأثيرها في الهيئة الاجتماعية^(٤) وخطاب لجرجي باز « تأثير المرأة في الارتقاء »^(٥) وخطبة للدكتور

(١) الهلال ٤٣ - ٦٩

(٢) الرسالة (مصر) ٥ - ٩٧٥

(٣) الهلال ٥٣ - ٢٤٢

(٤) نشرتها المطبعة الادبية في بيروت سنة ١٨٩٢ وتجددها في مجلة اللطائف (مصر) ٧ - ١٦٩

(٥) طبع على حدة ١٩٠٢

نقولاً فياض موضوعها « المرأة والشعر »^(١) وهي تعكس لنا اثر المرأة في الحياة ولا سيما حياة الادباء والفنانين . وقد ذيلها بمعاورة شعرية بين المرأة والشاعر ذكر فيها فضلها كأم واخت وزوجة وختمها بقوله :

ضلّ الذي ظن الحياة جميلة في البعد عنك ومن يطيق بعادا
الكون شعر انت بيت قصيده لولاك ما عرف الوري انشادا

ومثل هذا التغزل بمناقب المرأة قول عساف الكفوري من قصيدة^(٢)

ما عسى اخبركم عن فضلها وهو بحر زاخر لن ينضب
اي مغمم براه كربه لم تنفّس غمّه والكربا
او جبان قاعد واهي القوى لم تجدد منه عزماً قد نبا
او شحيح كفه قد جمدت لم تفجّر من يديه الذهبا

وعلى هذا الفرار قصيدة لفوزي المعلوف موضوعها عظمة المرأة^(٣)

والمتغزلون بالمرأة كثيرون . ولكن ليس كل متغزل يعد من انصارها . فشتان ما بين غزل يُعنى بجهاها واثرها الروحي في الحياة، وغزل لا يرى غير الجسد وما يثيره من شهوات . ان الغزل الجسدي وهو لغة الشعر منذ اقدم الازمنة لا ينظر الى المرأة كعضو حي في المجتمع لها ما له وعليها ما عليه . فسيان عنده الجوّاري المتبدلات والسيدات المصونات، بل كثيراً ما تراه يمدح خلقهن ويدمّ خلقهن فيصفهن بالانانية والطمع وعدم الوفاء والتقلب في الرأي . مثل هذا الشعر قد يبلغ الغاية في جمال الوصف ولكن لا شأن له في ما نحن بصدد

اما النزعة الاصلاحية فشائعة في ادبنا الحديث تشترك فيها جميع الافطار العربية^(٤) . على ان لكل قطر صبغة خاصة . فقد كان الادب المصري - برغم ثورة

(١) راجع كتابه (على المنبر) ٤٧ و ٢٨٥ وقد طبع على حدة ١٩٠٤
(٢) راجعها في المورد الصافي ٥ - ٢٦٤
(٣) راجعها في المورد الصافي ١٥ - ١٩٣
(٤) راجع مثلاً من النثر - المورد الصافي ٦ - ٩٧ و ٩٨ و ٨٠ - ١٥٨ ومجلة الكلية (بيروت)
السنة ١٩٢١ ص ٣٥٤ ومناهل الادب العربي (مكتبة صادر) ٤ - ٢٢ ومجلة لغة العرب ٢ - ٤٤٥

قاسم أمين - اميل الى الاعتدال والتعظيم . خذ شوقي مثلاً فهو مع رغبته في تنشيط الحركة التجديدية لا يقف موقف الداعية المطالب بتعظيم القيود والقضاء التام على سطوة التقاليد . يثني على هؤلاء المتجددات والناشرات من الجمود كأنه شبح المات^(١) ولكن ذلك لا ينفي حذره وخوفه من ان يصيب المرأة شر من جراء الحرية المطلقة . ويعبر عن ذلك بمخاطبته لطائر في قفص جعله رمزاً للمرأة فيقول بشيء من الاسى والشفقة :

بالرغم مني ما تعالج في النحاس المقفل
حرصى عليك هوى ومن يحرز ثميناً يبخل

وهو يحس بتشوق الطائر الى الحرية وبما يشعر به من مرارة العبودية - وان مشهد الحياة مشوبة بالرق مثل الحنظل ولكنه يرى الصبر على الحبس اولى فقد يكون في انطلاق الطائر سبب هلاكه ولذا يناشده بعطف الواقى المشفق

صبراً لما تشقى به او ما بدا لك فافعل
ان طرت عن كنفى وقعت على النسور الجهل

ومثل هذا الموقف يقف حافظ ابراهيم . فهو في قصيدته « كم ذا يكابد عاشق ويلاتي^(٢) » يصرح ككل مصلح ان تأخر الشرق ناجم عن تأخر المرأة

من لي بتربية النساء فانها في الشرق علة ذلك الاخفاق
الام مدرسة اذا اعدتها اعدت شعباً طيب الاعراق

ولكنه محاذر لا يدعو الى الحرية الكاملة بل يرغب في السير المتشد ولهذا يقول مستدر كاً

انا لا اقول دعوا النساء سوافرا بين الرجال يجلن في الاسواق
يدرجن حيث اردن لا من وازع يحذرن رقبته ولا من واق
كلا ولا ادعوكم ان تسرفوا في الحجب والتضييق والارهاق
فتوسطوا في الحالتين وانصفوا فالشر في التضييق والاطلاق

(١) - ٧٧ - ٧٨

(٢) - ١٢٦ - ١٢٧

(١) من قصيدة في ديوانه ١ - ١٠٤

(٢) راجعها في ديوانه ١ - ٢٧٩

وهذا الحذر يبدو في قصيدة لعبد الحليم المصري^(١) حيث يرى ان الحجاب لا يمنع المرأة من التقدم . وفي فصل المنفلوطي يطلب فيه^(٢) « ان تنفّس عنها من ضائقة سجنها لتفهم ان لها كياناً مستقلاً وحياة ذاتية وانها مسئولة عن ذنوبها وآثامها امام نفسها وضميرها لا امام الرجل » على انه لا يريد لها « ان تتخلع وتستتر وتهم على رأسها في مجتمعات الرجال وتمزق حجاب الصيانة . » بل هو ينهى باللائمة على من يقولون برفع الحجاب^(٣) . وغاية ما يتمناه ان يهتم الرجل برفعها الى مستواه ليستطيع ان يجد فيها الصديق الوفي والعشير الكريم .

وعلى هذا الفرار احمد حسن الزيات الذي يطلب لها الحرية والتربية الصحيحة « على ان لا تندفع في اتون الحياة المستعر »^(٤) ، ومحمد فريد وجدي في مقال له موضوعه « المرأة تهدم »^(٥)

تلك كانت العاطفة الغالبة في الادب المصري على ان نزع الحرية في مصر ما زالت تقوى حتى تغلبت على نزع التحفظ فلم يكدم ثلث قرن على صرخة قاسم امين حتى تبدلت الاحوال فنالت المرأة المصرية حريتها المنشودة وبما يلاحظ ان انصار المرأة من شعراء العراق كانوا اكثر جرأة من زملائهم في مصر .

✕ معروف الرصافي مثلاً يعزو ذل الشرقيين الى نشوئهم في احضان الذليلات - يقول الم توهم امسوا عبيداً لانهم على الذل شبّوا في حجبور اماء^(٦)

وهو يهاجم الرجعيين المتعصبين من زعماء ورؤساء مصر كما ان داء الشرق من كبوائه وان لا صلاح يرجى الا على ايدي الشباب^(٧) . ويكفي ان نشير الى قصيدته المعروفة « هي الاخلاق تنبت كالبنات » حيث يشتد في الدعوة الى تعليم

(١) راجعها في المقتطف ٢ - ٦٢

(٢) مقالة احترام المرأة في النظرات ج ٣

(٣) مقالة الحجاب في النظرات ج ٣

(٤) مقالة في المرأة - الرسالة ١ ع ٩

(٥) الهلال ٤٣ - ٣٧

(٦) ديوانه (١٩٣١) ص ٣٢١

(٧) راجع قصيدته المرأة في الشرق في ديوانه ٣٢١ او الهلال ٣٠ - ٧١٤

المرأة ورقع مستواها مبرئاً الاسلام من تهمة التضييق عليها. (١)
وعنده ان الجهالة لن تكون حصناً للمرأة وان حبسها في المنزل احتقار لها
لا مسوغ له. وفي بعض اقواله يندد بالطلاق ويدعو الى تقوية ربط الزواج
والحياة العائلية (٢)

على ان الرصافي لم يتعرض لمسألة الحجاب تعرض زميله جميل الزهاوي الذي
ينفث في قصيدته «الحجاب والسفور» نفثاتٍ من نار اذ يصيح :

مزّقي يا ابنة العراق الحجابا واسفري فالحياة تبغي انقلابا
مزقيه واحرقيه بلا ريث فقد كان حارساً كذاباً

وفيها يشير الى النزاع القائم بين المحافظين والمجددين فيقول مدافعاً عن هؤلاء :

ان هذا الحجاب ان كان يرضي الشيب فاليوم ليس يرضي الشباب
زعموا ان في السفور سقوطاً في المهاوي وان فيه خراباً
كذبوا فالسفور عنوان طهر ليس يلقى معرةً وارتياباً

وكل القصيدة على هذا المنوال. وقد لقي الشاعر من المتعصبين نقمة شديدة
ومتاعب جمة (٣) ولم تقف حركة التجدد في العراق بل ظلت منذ نهاية الحرب
العالمية الاولى تتقدم على ايدي الجيل الجديد ولكنها برغم تحمس دعايتها لم تبلغ
المرأة فيه من الحرية بعد ما بلغته في مصر وبعض الاقطار الاخرى.

اما في سوريا ولبنان فقد كان ادب المناصرة للقضية النسائية ابرز في البيئات
المسيحية. وفي هذه البيئات لم تكن المشكلة مشكلة الحجاب والانزعاج الجنسي،
ولذا ترى الاقلام اميل الى النظر في حقوقها الاخرى كحرية الحياة في اختيار
الزوج والحفاظ على حقها الشرعي وحماتها من ظلم الوالدين والاخوة. فقد ظلت
الى عهد قريب تفرض عليها الطاعة العمياء لارادة ابها او زوجها ولا يحق لها
ان تتصرف او تعمل كاخوها. والى ذلك يشير جبران جبران في مقالته «العبودية» (٤)

(١) الديوان ٣٢٧

(٢) المقتبس ٢ - ٤٩٨

(٣) الرسالة ٥ - ٤٠٢

(٤) راجعها في مجموعته «العواصف» ١٠

اذ - يقول - « دخلت منازل الاغنياء الاقوياء واكواخ الفقراء الضعفاء فرايت الاطفال يرضعون العبودية مع اللبن ، والصبيان يتلقنون الخضوع مع حروف الهجاء ، والصبايا يرتدين الملابس المبطنة بالانقياد والخنوع ، والنساء يهجمن على اسرة الطاعة والامتثال » . وله ولسواه اقوال كثيرة من هذا القبيل بدأت في اوائل النهضة بالدعوة الى تعليم الفتاة وانتهت بطلب الحرية الكاملة لها^(١) . وقد جارى الشعراء الكتبة فنظموا القصائد القصصية وغير القصصية تقييماً لظلم الوالدين وقسوتهم في امر الزواج والميراث كما فعل شبلي الملاط في قصيدته « بين العرس والرمس »^(٢) و خليل مطران في تمثيليته « الطفلان »^(٣) ويوسف مراد الخوري في « القبيص الخضب بالدم » وهي حادثة جرت في لبنان^(٤) . وامثال هذه الوقائع الشعرية غير قليلة في ادبنا الحديث^(٥) .

ولاشك ان ما بلغته المرأة من التقدم والحرية لم يبق مجالاً واسعاً لمثل هذا النوع من الادب . وقد بدأت المناصرة تتحول الى المطالبة بحقوق المرأة السياسية ووجوب مساواتها للرجل في جميع انحاء الحياة العمومية .

ملاحظات المعارضين

اثار حركة المعارضين امور شتى اهمها ثورة الانصار على الاوضاع القديمة وحسبانهم ذلك خطراً على المجتمع ، ثم تطرّف بعض العصريات في توخي اسباب الحرية والتجدد . فالمعارضون فريقان ، فريق يدافع عن التقاليد الموروثة ، وفريق يخشى عواقب الامراف وسطوة الازياء .

وطبيعي ان يكون معظم الفريق الاول من الغيورين على ما يعتبرونه فرضاً دينياً وواجباً اجتماعياً لا يجوز التساهل فيه^(٦) ولهم في ذلك اقوال

(١) وقد تطرّف جبران فوضع في ذلك روايته الاجنحة المنكسرة

(٢) راجعها في ديوان الملاط ٣٢٩

(٣) الهلال ٢٧ - ٥٠٨ وديوانه ٢ - ٦١

(٤) كتاب تثار الافكار (نيويورك) ٢ - ٦٨

(٥) راجع ديوان المنقود لاسكندر الخوري البيتجالي ص ٦٤ - ٦٧

(٦) راجع اسماء بعضهم في الباب الرابع من كتاب الفتاة والشيوخ لنظيره زين الدين

كثيرة^(١). ويجري مجراهم عدد من الشعراء مثل حسين الظريفي و ميجت الاثري و عبد الحسين الازري و عبد الرحمن النبا^(٢) و جواد الشيبني^(٣) في العراق ، و امين ناصر الدين^(٤) و علي الحوماني في لبنان^(٥) و ابراهيم الدباغ^(٦) و محمد حسن النجمي في مصر^(٧) و سواهم في سائر الاقطار

اما الفريق الثاني فقد قصر همه على ذم التطرف في التبرج والازياء محاولا ان يحدّر الناس من عواقبه الوخيمة . والواقع ان الخوف من هذه العواقب كان يشغل بال الادباء منذ اوائل النهضة . ففي سنة ١٨٧٢ نسّمع الاديب الحلبي فرنسيس مراث يدعو الى تعليم المرأة ولكنه يرى ان يحصر مدى علمها بالقراءة والكتابة وشيء من الحساب والجغرافيا وقواعد اللغة - يقول - ^(٨) « ولا عجب من جملي تربية النساء مقصورة على ابسط العلوم لان توغلن في عباب العلوم ينتهي الى عكس المطلوب » . ويقصد بعكس المطلوب اندفاعها نحو الحرية « بحيث تحذو حذو الرجال وتصبح غير مكترثة لالتزاماتها نحو البيت والعيال ورب عن لها » ان تضع نفسها فوق الرجل ،

ذلك ما كان ينجشاه الادب في اواخر القرن الماضي وقد ظل كذلك الى عهد قريب جدا . وعن هذه الحشية التي ثارت في نفوس الرجال منذ اخذت

(١) للاطلاع على امثلة من اقوالهم راجع كتاب مختارات في الحجاب والسفور لجامعة مصطفى عبد الجبار القاضي وهو مجموعة مقالات لكتاب مختلفي الغرض . منها تفنيد مزاعم السفوريين واظهار المصائب الناجمة عن مخالفة الشرع الحكيم والعرف المتبع . وكذلك كتاب خلاصة الادب لحسين محمد الرفاعي وكتاب نظرات في السفور والحجاب للشيخ مصطفى الفلايني وكتاب « قولي في المرأة » لمصطفى صبري ورسالة الشيخ مصطفى نجا في مشروعية الحجاب ورسالة الفتى والفتاة لعبد الرحمن الحص وما الى ذلك من المصنفات والمقالات .

(٢) راجع بعض نفاثاتهم في كتاب مختارات في السفور والحجاب لمصطفى القاضي بغداد صفحة ١٢٠ الى ١٣٣

(٣) مجلة الاعتدال العراق ٦ - ١٧٧

(٤) ديوانه صدى الخاطر ١٩٠

(٥) ديوانه ١٩٢٧ - ٧٤

(٦) ديوانه الطليعة ٨٧

(٧) كتاب قولي في المرأة ٨٦

(٨) مجلة الجنان « للبستاني » سنة ١٨٧٢ ص ٧٦٩ و ٧٧٠

المرأة تسير في موكب التقدم نشأ في عصرنا الحديث نوع من الادب يصح ان نطلق عليه اسم « ادب الشكوى » من تطرف المرأة . فلا غرابة ان يعد « التفرنج » عند بعضهم مرادفاً للتقليد المعيب وان تكون الازياء الجديدة مدعاة لكثير من التهمك اللاذع والنظر المريب^(١)

والكلام في ذلك شائع شعراً ونثراً ولا يخلو احياناً من ذم « فني العصر » لتعلقه بسخائف الحياة واندفاعه في سبيل التقليد والتبذير^(٢)

على انه لا بد من القول ان النقد والشكوى اللذين ظهرا في ادبنا الحديث واشتداً جداً على اثر الحرب العالمية الاولى لم يغيرا الحال كثيراً ولم يوقفا تيار التطور الاجتماعي فظل التجدد يقوى ويعم حتى طفت النزعة المصرية على معارضة المعارضين وندب الناديين ونقمة الناقمين وقلمنا ترى اليوم من ادباء العصر من يشور على الزمي العصري او يتعرض لوسائل التجميل والتزيين او يحارب اجتماع الجنسين في معاهد العلم والمنتديات والملاهي العامة والخاصة . فكل ذلك اصبح مألوفاً يستحسنه المصريون ويفضي عنه المحافظون بل لقد صار بعضهم يمدحون الازياء على انها نمو فني يستحق التقدير والاعجاب^(٣)

وبما لا ريب فيه انه قد كان لحركة التجدد التي قام بها في تركيا مصطفى كمال اتاتورك واعوانه اثر بعيد في مختلف البيئات الشرقية . فقد شجعت انصار الحرية على المضي قدماً في سبيلها . وها نحن اليوم نرى شمس الحضارة الجديدة قد علت في سماء الشرق العربي مرسلتها اشعتها الى جميع الطبقات . وبرغم المعارضة التي لا تزال حية في بعض الجهات متأهة للوثوب فان المتقفين في مصر والعراق وسوريا ولبنان هم بناة المجتمع العربي الجديد وعلى تعاونهم معا كرجال ونساء يقوم صرح المستقبل المجيد

(١) راجع مثلاً مجلة الزهور مصر ١ - ٤٥٧ - المورد الصافي بيروت ٨ - ٣٦٩ - ديوان مشاهد الحياة للبيتي جالي ١٢٩ و ١٤٥ - تغاريد الصباح لمحمد الاسمر ٢٠٥ - الموضة ومذهب التفرنج لغريده بستاني الهلال ٩ - ٣٦٦ - المدخات لعلي الجندي مجلة الكاتب ١ ج ٧ ص ١٢٢

(٢) راجع ديوان وديع عقل بيروت ٩٧ وديوان مصطفى الرافعي ١ - ٦٤ والالهام لامين ناصر الدين ١٧٥

(٣) مجلة الطريق بيروت ١ ع ١٧ ص ٢٠

المرأة في الميدان الأدبي

في هذا المعترك الذي احتدم فيه النزاع بين انصار المرأة من الرجال وخصومهم لم تقف هي مكتوفة اليدين تنظر من بعيد نظرة المتفرج . بل نزلت الى الميدان واشتبكت مع الفرسان . وقد ادركت منذ بدء النهضة في القرن الماضي انها في حالة متأخرة جدا وان سبب ذلك جهلها وعدم الاهتمام بتربيتها . ففي سنة ١٨٧٤ نسمع صوت امرأة يرتفع محرّضاً النساء على طلب المعرفة لتكون في ايديهن وسائل التربية الصحيحة لانشاء جيل راق وللحصول على مكانة في المجتمع ومن كلامها ما نصه^(١) - « ان ارتفاع درجة الافراد والامم انما تكون بالمعارف . والبرهان القاطع الفرق بين حالة اوروبا في زمان ظلماتها في القرون المتوسطة وهذا الزمن . ولما كانت المرأة ذات قابلية لجميع ما يجمعه الرجال ولادراك ما يدركونه من سلك الادب والمعارف كان لا بد من ان تكون الواسطة الرافعة لشأنها والمتفقة لعقلها نفس وسائط تقدم الرجال . وبرهانه ما يجري في البلدان المتقدمة في هذه الايام مما يدل على تقدم النساء ونفعهن للهيئة الاجتماعية . »

وفي سنة ١٨٨٢ نرى الحركة النسائية في لبنان وسوريا تظهر في جمعية علمية ادبية يجتمع فيها عدد من النساء المهندبات « لترويض عقولهن بالخطب والمباحث العلمية ولتنظر في حالتهم الاجتماعية »^(٢) . على ان النهضة الحقيقية لم تشتد او تنتشر الا في قرننا الحالي . ففيه ألفت الجمعيات النسائية ثم تنظمت هيئات لاتحاد النسائي الاقليمية والعامة واقبلت الفتيات على التحصيل العلمي العالي وعلى منافسة الرجل في ميادين الحياة المختلفة^(٣) .

فمن الطبيعي ان يكون للمرأة مساهمة واسعة في الحقل الادبي . واكثر ما يظهر ذلك في الابواب التالية - الصحافة - الترسل والخطابة - الشعر - القصص .

(١) مدام منصور شكور - الجنان ٥ - ٢٧١

(٢) المقنطف ٤ - ٢٤٩ (ولعلها باكورة سوريا في بيروت ١٨٧٩ - ١٨٩٣)

(٣) راجع مقال النهضة النسائية لهدى شعراوي - الهلال ١٩٤٢ - ومقال طاهر الطناحي - الهلال

مج ٤٣ - ١١٢ - ومقال يوسف مظهر - الهلال ٤٥ - ٦٩٩

وقد شرعت منذ دخلت الجامعات تباري الرجل في ميدان المباحث والنقد . على انها لا تزال قليلة الاثار في العلوم الطبيعية والرياضية والتشريعية والفلسفية . وهاك شيئاً من آثار المرأة في الحقل الادبي .

الصحافة

لم تكن المرأة بالصحافة اليومية بل انصرفت بالاكثـر الى المجلات المختصة بالشؤون العائلية والاجتماعية فظهر منها منذ ١٨٩٢ الى الوقت الحاضر عشرات^(١) . وها نحن ننشر ما استطعنا تحقيقه منها حسب تاريخ ظهورها

المجلة	منشئتها	تاريخ ظهورها	محلها
الفتاة	هند نوفل	١٨٩٢	القاهرة
الفردوس	لويزا حبالين	١٨٩٦	"
انيس الجليس	الكسندره افرينو	١٨٩٨	"
العائلة	استير ازهري موبال	١٨٩٩	"
شجرة الدر	سعدية سعد الدين	١٩٠١	الاسكندرية
المرأة	انيسة عطا الله	١٩٠١	القاهرة
السيدات والبنات	روز انطون	١٩٠٣	الاسكندرية
السيدات والبنات	ماري فرح	١٩٠٣	"
السعادة	روجينا عواد	١٩٠٣	القاهرة
فتاة الشرق	ليبيه هاشم	١٩٠٦	"
العروس	ماري عجمي	١٩١٠	دمشق
الجميلة	فاطمه توفيق	١٩١٢	القاهرة
العالم الجديد	عفيفه كرم	١٩١٢	نيويورك اميوكا
فتاة النيل	ساره المهيبة	١٩١٤	القاهرة
الكرمه	سلوى سلامه اطلس	١٩١٤	سان باولو (البرازيل)

(١) ويقدرها جرجي باز في النشرة مج ٨٢ ع ١ ص ٧٠ بنحو ٨٠ مجلة

المجلة	منشئتها	تاريخ ظهورها	محلها
فتاة لبنان	سليمه ابو راشد	١٩١٤	بيروت
فتاة الوطن	مريم الزهّار	١٩١٩	زحله
الفجر	نجلا ابو اللمع	١٩١٩	بيروت
الحدر	عفيفه صعب	١٩١٩	الشويفات وعاليه
نور الفيحاء	نازك عابد بيهم	١٩٢٠	دمشق
المرأة المصرية	بلسم عبد الملك	١٩٢٠	القاهرة
المرأة الجديدة	جوليا طعمه دمشقيه	١٩٢١	بيروت
فتاة مصر الفتاة	املي عبد المسيح	١٩٢١	القاهرة
الحياة الجديدة	حبوبه حداد	١٩٢٢	باريس وبيروت
السيدات والرجال	روز انطون حداد	١٩٢٢	القاهرة
ترقية الفتاة	نبويه موسى	١٩٢٣	القاهرة
ليلي	بولينا حسون	١٩٢٣	بغداد
مورد الاحداث	امينه الحوري المقدسي	١٩٢٣	بيروت
مينرفا	ماري بني	١٩٢٣	»
الحسان	فريده فوزي	١٩٢٥	القاهرة
الامل	منيوه ثابت	١٩٢٥	»
دوحة الميلاس	ماري شقرا	١٩٢٨	حمص
مجلة المرأة	نديه المنقاري	١٩٣٤	حماء فحلب فالشام
المستقبل (سياسية)	الفيرا لطوف	١٩٣٨	طرابلس شام
صوت المرأة	جامعة نساء لبنان	١٩٤٤	بيروت
بنت النيل	درية شفيق	١٩٤٥	القاهرة
صدى الشرق	دلال الصفدي	١٩٤٦	اميركا
المرأة والفن	جانيت ابراهيم	١٩٤٨	بيروت
مجلة الاتحاد النسائي العراقي			بغداد

والذي يلاحظ انّ ما ظهر منها في مصر يفوق سواء عدّاً . على ان اكثر

منشآت الصحف ومحرراتها هنّ من لبنان وسوريا^(١). وهذه المجلات قد طواها الزمان وليس منها حيّاً للآن غير ثلاث أو أربع من حديثات العهد. ولا يعني ذلك ضرورة ان المرأة قد تأخرت في الميدان الادبي لا تزال جادة ومندفعة الى الامام ولكن جهودها قد اخذت تتحول الى غير الناحية الادارية من الحقل الصحافي.

بالنسبة الى الرسائل الكتابية والخطابية

او التعبير الفني عن الحواطر والحوالج ويتناول المقالات والخطب الادبية والاجتماعية. ولو اردنا ان نتحدث بتفصيل عن جميع اللواتي ضربن بسهم في هذا الباب وعن آثارهن فيه لاحتجنا الى مجلد ضخم او اكثر من مجلد - فمن المترسّلات والخطيبات بعض زعيمات النهضة في شتى الاقطار. ومنهنّ منشآت الصحف المار ذكرهنّ وقد تركن من آثار اقلامهنّ ما يؤلف مكتبة كبيرة^(٢) - . وانما غرضنا هنا ان نشير الى ما بلغته المرأة من التقدم في هذا السبيل. وبكفي لذلك ان نذكر بعضاً ممن نشرت آثارهن الادبية وشهدن بطول الباع في الترسّل الادبي. ولعلّ المعهنّ مي زياده (المتوفاة ١٩٤١). فقد كانت تتقن بضع لغات وتوكت وراءها اثني عشر كتاباً مطبوعاً وعدّة مخطوطات. وكانت خطيبة ممتازة وكاتبة قديرة.

ومن المترسّلات اللامعات - غير من ذكرنا من منشآت الصحف - سلمى صايغ وسمير قلمايوي وعائشة عبدالرحمن وجميلة العلايلي وعنبره سلام الخالدي ووداد سكاكيني وروز غريب وسواهنّ ممن سيذكرن تحت موضوع آخر.

(١) راجع مقال النهضة النسائية في المورد الصافي ٧ - ٣٦٣. وراجع ايضاً

Hartmann, the Arabic Press Egypt.

(٢) ذكر جرجي باز ان لديه من ذلك مجموعات اربعين مجلّة ومئة كتاب - مقاله في النشرة (بيروت)

الشعر

ليس للمرأة في هذا الباب ما للرجل . فالشاعرات الحقيقيات قليلات العدد ودواوينهن أقل . وإذا استثنينا من الشعر النسائي الحديث بعض المنظومات الجديدة امكننا القول انه عموماً ينقصه روعة التعبير وبعد مرامي الخيال . ولعل ذلك لانه لم يمرّ عليها سوى عهد قصير في ممارسة هذا الفن الجميل . وقد عرف بنظم الشعر منذ بدء النهضة جملة من الاديبات كوردة اليازجي ووردة الترك وعائشة التيمورية وزينب فواز ومريانا المرّ ومريانا مرّاش وامية نجيب وملك حفني ناصف وماري عجمي وجميلة العلايلي ومنيرة توفيق وفدوى طوقان ونازك الملائكة وعاتكة الحزرجي ورباب الكاظمي وفتاة غسان^(١) وسواهن

والذي يظهر من مقابلة الشعر النسائي اليوم بما كان ينظم في اوائل النهضة يرى تطوّراً واضحاً في الاسلوب والموضوع فالجديد عموماً اكثر رواء وماء واوسع نظراً في الحياة ، ومنه ما لا يقل عن الجيد من شعر الرجال

الفن القصصي

لم تبلغ المرأة بعد في هذا المضمار من ادبنا الحديث ما بلغه الرجل . على انها تتقدم باطراد ولها عدد غير قليل من القصص والروايات الموضوعية والمترجمة ونذكر منها على سبيل التمثيل ما يلي -

بين عرشين (١٩١٢)	} فريدة عطية	} مصرع القيصر الابن الضال	} اسماء طوي
بهجة المخدرات			
ايام بومباي الاخيرة			

حسناء مالونيك (١٩٠٩)	} ليبيه صوايا صدقه	} المفقرة البائسة الفقلة	} منيرة طلعت
حسن العواقب (١٨٩٩)			
زينب فوار			

(١) راجع سيرة بعضهن وامثلة من شعرهن في كتاب «الشعر النسائي المصري» لمحمد محمود - وفي مقال للدكتور صفا خلوصي في شاعرات العراق الهلال مايو ١٩٥٠ - وفي مقال في مجلة ابولو مج ٢ ص ٢٧٠

شيرين ١٩٠٧ } لبيبة هاشم
قلب الرجل ١٩٠٤ } بين رجلين
الشيخ حمدي وقصص اخرى } وداد سكا كيني
مرايا الناس

بدیعة وفؤاد }
غادة عمشيت } عفيفة كرم
فاطمة البدوية } صائبة - ادیل بطرس بستانی

احاديث جدتي وقصص اخرى - شهير قلمايوي
راعية الغنم - جميلة العلايلي
رجعة فرعون وقصص اخرى - عائشة عبدالرحمن
الرداء وروايات اخرى (ترجمة) - تمام داود
وهناك عدد غير قليل من الحكايات والمسرحيات لكاتبات مختلفات وكلها
تشير الى تقدم المرأة في هذا المضمار

المباحث العلمية

ذكرنا آنفاً ان المرأة حديثة العهد بالثقافة الجامعة العالية فمن الطبيعي ان
لا يكون لها حتى الآن الا القليل من الدراسات العلمية سواء اكان ذلك في
حقل الادب والتاريخ او حقل العلوم الطبيعية والاقتصادية . ولا ينكر ما ظهر
لبعض الكاتبات من مؤلفات تاريخية او اجتماعية ككتاب الدر المنثور في طبقات
ربات الحدور لزينب فواز، وبلاغة النساء في القرن العشرين لفتحمة محمد، والنسائيات
لملك ناصف، وباحثة البادية وعائشة التيمورية لمي زياده، وكتاب السفور والحجاب
لنظيره زين الدين^(١)، وكتاب الامومة لروز عطالله شحفه . وبعضها من الطبقة
العالية ولكن معظمها من باب العرض التاريخي او التوسل الاجتماعي

فلما صارت الفتاة تؤم الجامعات للتحصيل العالي والتخصص اتسعت لديها
آفاق الحياة الفكرية وصارت تتقدم لنيل الشهادات العليا بوسائل او اطروحات

(١) في هذا الكتاب مباحث خطيرة وقد ذكرنا آنفاً انه احدث ضجة كبيرة في البلدان العربية فانتصر
له كثيرون وقاومه كثيرون (راجع المورد الصافي ١٣ ص ٣١١)

تتبع فيها منهاج البحث العلمي الصحيح - وفي ما نشر من ذلك حتى الآن^(١) ما يدل على ان المرأة ليست دون الرجل اذا تيسرت لها اسباب التقدم

...

فاذا وقفنا قليلا نستعرض وسائل التقدم الثقافي التي اصبحت المرأة اليوم تتمتع بها وكيف رفع ذلك مستواها الاجتماعي فحطمت اكثر القيود التي كانت تحول دون اندفاعها الى الامام لم نستغرب ما نراه فيها من طموح الى مساواة الرجل في جميع الحقوق والواجبات العمومية ومجاراته في مضمار الحياة السياسية فالمنظمات النسائية في كل قطر عربي راق تسعى الى هذه الغاية، وهي على ما يظهر جادة في هذا السبيل ولن تهدأ دون الوصول الى هدفها المنشود^(٢). على ان الناس في ذلك فريقان - فريق محاذر لا يرى في المساواة الجنسية المطلقة ما تحمد عقباه - وفريق متساهل يراها نتيجة طبيعية لسنة التطور في الحياة. وسبق الاختلاف بين هذين الرأيين قائماً حتى يعطي الزمان قوله الفصل في هذا الشأن. والذي يبدو ان الحياة العربية متجهة نحو الحرية الاجتماعية المطلقة وليس من طبيعة الادب الجديد ان يعارض هذا الاتجاه.

- (١) باقلام بعض الخريجات من جامعة فؤاد بصر والجامعة الاميركية في بيروت
(٢) خطت سوريا منذ ٣ سنوات خطوة في هذا السبيل اذ منحت المرأة حق التصويت في الانتخابات
النيابية على ان تكون من حاملات شهادة الكفاءة (بروفه)

المهاجرة وأثرها الأدبي

ولئن كان اتصال الشرق بالغرب عن طريق المهاجرة يمس جميع اقطار الشرق العربي، فما لا ريب فيه ان للسوريين عامة وللبنانيين خاصة النصيب الاوفر من هذا الاتصال. فمنذ منتصف القرن الماضي (او قبل ذلك) اخذوا يركبون البحر زرافات ووحدانا الى المهاجر الاميركية وسواها، حتى انك قلما تجد في لبنان اسرة ليس من اعضاءها احد هناك، بل ان بعض هذه الاسر قد نزح اكثر اعضاءها او كلهم.

ومع اننا نرى الكثيرين اليوم يؤمنون اوروبا واميركا طلباً للعلم او للتخصص في فرع من الفروع، فان ذلك لم يتسع نطاقه الا في عهد متأخر. اما الحافز الاول والاهم الى المهاجرة فقد كان طلب الرزق، وبتلوه الهرب من الظلم والفساد. ولم يخطئ صاحب كتاب «المهاجر السوري» اذ قال - «وكان الباعث الاكبر على المهاجرة اختلال الاحوال الاقتصادية في السلطنة العثمانية بفساد الحكومة الاستبدادية التي جرت على مذهب فرق تسد. حتى تضعف الامن وسادت الفوضى ودرس العلم ونقلت المعيشة».

«وما بشتر الناس بخيرات اميركا، حتى هرع الكثيرون الى البواخر تحملهم الى شواطئ العالم الجديد حيث افلتوا من عقل التقاليد، وانفكوا من قيود الفقر والمظالم وتنفسوا الصعداء»^(١)

وفي اضطرار اللبنانيين الى الهجرة يقول الشاعر اللبناني^(٢)

امسي بنوك وما في الحي مرتق لهم ولا لأبي منهم شغل
فازمعوا البعد عن اوطانهم حذراً من فاقة اهلها بين الوري همل

(١) عن مجلة الزهور (مصر) ١ - ٤٤٥. ومثله قول المؤرخ جرجي بني في مجلته المباحث ١ - ٨٣٩ حيث يمزو الهجرة الى سوء ادارة البلاد وعسف كبرائها واولي الامر فيها مما جعل العمل عسيراً والرزق صعباً. وقول توفيق ضعون في كتابه ذكرى الهجرة ص ١٢

(٢) امين ناصر الدين في ديوانه الالهام ١٠٦. ومثله قول الشاعر اللبناني

مضوا وقد حملتهم كل جارية تفري العباب وفيها النار تشتعل
لم يبرحوك اختياراً بيد انهم ضاقت بهم جنبات العيش فانتقلوا
ويصل ذلك بوصف حال البلاد وتقاعس اغنيائها عن تأسيس الاعمال النافعة.
ثم يصف اميركا وعظمتها وما فيها من فرص سانحة لاهل العزم والايمان.
وكان هم المهاجرين اولاً جمع المال وارساله او العودة به الى اهلهم وانسابهم،
فتدفقت ملايين الريالات على هذه البلاد وظلت كذلك حتى الى ما بعد الحرب
العالمية الاولى ولا تزال نوعاً ما الى الان.

والذين عادوا الى الوطن حملوا معهم فضلاً عن المال روحاً جديدة وآمالاً
جديدة، كان لها اثر في ترقية الحياة المعنوية لا في قطرم فقط بل في الاقطار
المجاورة ايضاً.

ولا ينكر ان القسم الاكبر من المهاجرين قد استوطنوا ديار غربتهم، وهناك
نشأت منهم اجيال ضعيفة الصلة بالوطن الاحلي. على انهم برغم ذلك لم يفقدوا
شخصيتهم المعنوية. فقد حملوا الى شتى المهاجر لغتهم وادبهم فانشأوا الصحف
والنوادى وشاركوا العالم العربي في نهضته الفكرية، فنبغ بينهم جماعة من كبار
الكتاب والشعراء. والى ذلك يشير شاعر النبيل حافظ ابراهيم في قصيدته «لمصر
ام لربوع الشام تنتسب»^(١) اذ يصف اقدامهم ومساعدتهم المادية وخدماتهم الادبية.

لم تبد بارقة في افق منتجع الا وكان لها بالشام مرتقب
ما عابهم انهم في الارض قد نثروا فالشهب منشورة مذ كانت الشهب
سعدوا الى الكسب محموداً وما فتئت ام اللغات بذاك السعي تكتسب
فأين كان الشاميتون كانت لها عيش جديد وفضل ليس يحجب

والذي يطالع آثارهم الفكرية يلمس ما للبيئة من تأثير فيها. وهذه الآثار
تتجلى لنا في بعض نزعات نفسية ترجع عند التحقيق الى اثنتين رئيسيتين هما -
حب الحرية - والحنين الى الشرق. وغرضنا فيما يلي ان نحلل هاتين النزعتين ونتبين
اثرهما في ادب المهاجر الاميركية.

حب الحرية

ويرادفه حب التجدد او التخلص من كل ما يعيق المرء عن السير في سبيل التقدم وهي النزعة الانسانية التي تسود ادب المهجر . وقد سعى الادب المهجري في هذا السبيل سعي المجاهدين وغرس لنا في حقول الوطن والدين واللغة غروساً طاب جناها للآكلين . وتظهر الحرية فيه بثلاثة مظاهر - الحرية الوطنية والحرية الدينية والحرية اللغوية . وها نحن نمرّ عليها مرّاً سريعاً ونعرضها بما يكن من الاجاز.

الحرية الوطنية

ترك المهاجرون اوطاناً ترهقها المظالم ويفشاها الفساد الاجتماعي والاداري . فلما استنشقوا نسيم الحرية في المهجر وتذوقوا لذة الادارة المنظمة شعروا بغبطة لم يعهدوها من ذي قبل ، فاخذوا يتغنّون بالحرية ويشيدون بمجاسنها . على ان لهذا التغني في كل من الاميركتين طابعاً خاصاً . فالشاليون عموماً اميل الى المثالية العامة : يلتفتون الى اوطانهم القديمة وفسادها الاداري ويقابلونها باوطانهم الجديدة وحياتها الراقية فيقولون مع رشيد ايوب^(١) .

الا لا ارانا الله عوداً لدولة نكون لها اسرى واموالنا نهبى
السنا الى عافوا الحياة بظلمها وجابوا بلاد الله واستوطنوا الغربا

واقوالهم في هذا المعنى كثيرة يضيق دونها هذا المقام . وكلهم يشعر في دار هجرته شعور الاسير 'فك' من اساره . وكلهم - فقيرهم وغنيهم - يتنعم بكرامة لم يعرفها قبلاً في عقر داره . على ان ذلك لم ينسهم اوطانهم الاولى فهم يدعون لها بالخير ويتمنون ان تحظى بالحرية والعدالة ، ولسان حالهم يردد مع امين الريحاني اذ وقف على جسر بوركين مواجهاً تمثال الحرية القائم على مدخل مرفأ نيويورك فقال مخاطب تلك الالهة^(٢) .

(١) من قصيدته - بلادي - الايوبيات ٤٠ .

(٢) الريحانيات ١ - ٥٦ .

« مني نحوّين وجهك نحو الشرق ابتها الحرية ؟ ابتأني ان يرى المستقبل مثلاً للحرية بجانب الاهرام ؟ اممكن ان نرى لك مثيلاً في بحر الروم ؟ ابتها الحرية مني تدورين مع البدر حول الارض لتنيري ظلمات الشعوب المقيدة والامم المستعبدة ». ثم يلتفت الى البواخر المقلّة خيرات اميركا الى الشرق فيقول : « خذي معك ولو زجاجة صغيرة من هذا الماء المقدس ورشي سواحل مصر وسوريا وفلسطين والناضول . والى كل جزيرة تمرّين بها وكل بلاد تقصدينها وكل شعب تحيّي سواريك قباب كنائسه ومآذن جوامعه ، احمل سلام هذه الآلهة التي تنير طريقك في الخروج من العالم الجديد » .

هذا الشغف او هذا الايمان بالمثالية الديمقراطية يبرز في ادب المهاجرين الشماليين وقد يتحول عند بعضهم الى دعوة للاستراكية تمزج فيها النقمة على ارب المال والاعمال بالعطف على الفقراء من العمال . ولا غرو فلادب حسّاس مرهف الشعور واكثر الادباء كما سنرى ممن عضهم الدهر بنابه وحرّمهم من اكثر اسبابه .

اما الجنوبيون فيمتازون بما تصطبغ به نفثاتهم من حماسة قومية ونزعات عربية ويزكيّ ما نذهب اليه شهادة الذين زاروهم وخبروا احوالهم . وهاك من ذلك هذه الكلمة التي نقتبسها من مقال للدكتور خدّوري ممثّل نادي القلم العراقي وقد بناه على اختباراته خلال رحلته الى اميركا الجنوبية لحضور مؤتمر نوادي القلم الذي عقد في بونس ايرس صيف ١٩٣٦ . قال (١) : « اما الشعراء والكتاب فارواحهم دوماً في البلاد العربية واجسادهم فقط في المهجر . وهم يتتبعون بدقة زائدة تطور القضية العربية . وينظمون الشعر ويتلون الخطب الحماسية خدمة للبلاد العربية . ومنهم الامير امين ارسلان بجريدته « الاستقلال » ، والسيد موسى يوسف عزيزه بجرائده اليومية والاسبوعية ، والدكتور جورج صوايا بمجلته « الاصلاح » ، والسيد موسى كريم بمجلته « الشرق » والشاعر الياس قنصل بمجلته « المناهل » . وعلى هذا الاساس تجد الجالية العربية في اميركا الجنوبية تشعروا وتتحمّسن بما يشعروا ويتحمّسن به العرب في كافة البلاد العربية » (٢) .

(١) راجع مجلة العلم الجديد (بغداد) حزيران ١٩٣٩ .

(٢) نضيف الى قائمة المجلات المذكورة اعلاه « العصبية الاندلسية » فان لها يدا تذكر في خدمة العربية

وقد طالعنا بانفسنا اكثر هذه المجلات عندهم وقرأنا اقوال شعرائهم وكتبتهم كقصر وفوزي وشفيق المعلوف والشاعر القروي وابي الفضل الوليد وعقل الجر وشكر الله الجر والياس فرحات والياس قنصل وجورج صوايا وحبيب مسعود وتوفيق ضعون وحبيب اسطفان وتوفيق قربان وسوام ، واطلعنا على اعمال نواديهم وجمعياتهم وما كانوا يقيمونه من حفلات تعزيراً لقوميتهم . وهو الذي يحدونا ان نقرر لهم هذا الطابع القومي الخاص .

ولعل الفرق بين الطابعين الشمالي والجنوبي راجع الى عدة اسباب من اهمها اختلاف البيئة . فالمهاجرون وجدوا انفسهم في الجنوب بين اقوام لا يفوقونهم رقباً وعزماً فكان ذلك من اسباب بروزهم كعنصر يفاخر بماضيه ومآثيه . ولم يتيسر لهم ذلك في الشمال حيث هالتهم الحضارة الاميركية بنظامها وتفوقها المادي فدفعتهم برغم اكبارهم لها الى التنديد بالمادية والتفاخر بروحانية الشرق ، كما سيحيى بعد .

الادب المهجري

الحرية الدينية

وكما كره الادب المهجري الظلم وسوء النظام منادياً بالحرية الانسانية او داعياً الى الاستقلال القومي . كره التعصب الديني والنعرات الطائفية التي مزقت وحدة اوطانهم وجعلت منها فرقاً متعادلة ومذاهب متضاربة .

احتك المهاجرون ولاسيما في الشمال باقوام يعظمون الجامعة الوطنية ويرفعونها فوق كل شيء ولا يرون في اختلاف العقائد ما يحول دون تألفهم في سبيل المصلحة القومية وتعاونهم على ما فيه الخير العام . وقابلوا ذلك بحال اوطانهم الاصلية وما يسودها من شقاق وتحاذل فتعركت في نفوسهم عاطفة النفور من التعصب المذهبي حتى قام منهم من اخذ ينادي بالدين الانساني وبالايمان الشامل ، او على الاقل يدعو الى حرية المعتقد وعدم التعرض بسوء لمن يخالفنا في رأي او مذهب . كقول احدهم^(١) : « عرفت قوماً يفضلون شعر المتنبي وآخرين يفضلون المعري او الشريف الرضي ولكنهم لا يتباغضون من اجل ذلك . اما اتباع

(١) ولیم کاتسفلیس فی بلاغة العرب فی القرن العشرين (رضا) ٢٥٣ .

موسى وعيسى ومحمد فلا يكتفون بالتفضيل « ثم يتساءل متهمكماً . « سبحانه الله امن المعقول ان ابغض اخي لانه رفض ان ينجو من النار على يدي ؟ اما كفاه قصاصاً ما سيلاقه من عذاب الآخرة لرفضه اعتناق عقيدتي ؟ »

ولو جئنا نضرب الامثلة على ما جاشت به صدورهم من ذلك لآخرجنا مجلداً يضم طائفة كبيرة من الخطب والمقالات والقصص والقصائد . والحق يقال ان ادباء المهجر الا القليل منهم عصرى التفكير والشعور - على ان لكل منهم لوناً خاصاً يميزه . فهناك المصلح الاجتماعي كامين الريحاني، والمتمرد الروحي كجبران جبران، والمفكر الانساني كمخايل نعيمه، والفنان العاطفي كإيليا أبو ماضي، والمتحمس القومي كرشيد الحوري (الشاعر القروي) . وكلهم يحفزهم شعور واحد وكلهم يرمي الى غاية واحدة، بل كلهم يصرح مع محبوب الشرطوني^(١) :

كل شعب فشا التعصب فيه هان والموت من وراء هوانه

ويتساءل في حيرة مع الريحاني^(٢) - « اليس في وسع المرء ان يعيش في هذا العالم دون ان تطبع روحه بطابع الملة وتصنع بصبغة الطائفية » . وادب الريحاني من اوله الى آخره ينضح بهذه الروح الانسانية الواسعة التي لا تعرف من الدين الا نقاوة الضمير وحب الخير . فان الدين في نظره هو « ما اثار القلب . ومتى كان ضمير جاري كنور الشمس حياً نقياً وقلبه كوردة تتفتح في الفجر لتستقبل ندى السماء، فلا فرق اذ ذاك عندي ان ذكر بين الدراويش او سجد مع اليسوعيين او اغتسل في نهر الكنج مع البوذيين ، فهو المؤمن الحقيقي - هو الصادق في دينه - هو رجل الله الامين^(٣) » .

وهذه الروح تشع في اقوال الكثيرين منهم . وقد تتقد في صدور البعض ولا سيما من كان منهم كالشاعر القروي بحسب التعصب الطائفي ضربة قاضية على وطنه وقوميته فتجمع به الحماسة الى مثل قوله من قصيدة في عيد الفطر^(٤) .

(١) ديوانه ١٢٠ .

(٢) الريحانيات ١ - ٣٤ و ٣٧ .

(٣) الريحانيات ١ - ٢١٦ .

(٤) الاعاصير ١١١ .

هبوا لي عبداً يجعل العرب أمة وسيروا بجثاني على دين برهم
فقد مزقت هذي المذاهب شملنا وقد حطمتنا بين ناب ومنسم
سلام على كفر يوحد بيننا واهلاً وسهلاً بعده بجهم
ولم يكن القروي كافراً وإنما هي مرارة نفس حساسة تتألم لحال الوطن
وتطغى عليها الحماسة فتخرجها ساعة عن حد الاعتدال . فقد عرفت هذا الشاعر
وقرأته ولا أحسبه يرمي الى غير التساهل وتعظيم المثالية على انه عنيف في
عباراته حاد في تصريحاته .

الحرية اللغوية

والادب المهجري نفور من التقاليد اللغوية او الانشائية التي يحاول بعض
النصوصيين تقييد الادب بها . ولا نقصد هنا الخوض في مسألة النزاع بين المحافظين
والمجددين فتلك مسألة قديمة ولها مقام غير هذا المقام . وإنما يهمنا ان نقرر
موقف المهاجرين منها واثروهم فيها . والواقع ان لهم في ذلك بدءاً تذكر واخص
بالذكر منهم اعضاء الرابطة القلمية في نيويورك . فهؤلاء قد تذوقوا الادب الغربي
واشربوا الروح الرومانتيكية . فلما التفتوا الى الحركة الادبية في الشرق ورأوها
تسير ببطء نحو التجديد وقد وقف لها بالمرصاد المتشددون المنتطسون ، هالهم
ان يكون الادب خاضعاً لاحكام هؤلاء ، مقيد الخطى بقواعدهم . ولعلمهم خافوا
ان يؤدي ذلك الى رجعية تغنى بالقشور دون اللباب فرفعوا الواء الثورة وهاجموا
المحافظين هجوماً عنيفاً . وهاك على سبيل التمثيل شيئاً من اقوال جبران ونعيمه .

قال الاول على طريقته الشعرية او الخطابية من مقال موضوعه « لكم لغتكم
ولي لغتي »^(١) - « لكم منها القواميس والمهجيات والمطولات ولي منها ما غربلته
الاذن وحفظته الذاكرة من كلام مألوف مأنوس تتداوله السنة الناس في افراحهم
واحزانهم . لكم من لغتكم البديع والبيان والمنطق ولي من لغتي نظرة في
عين المغلوب ودمعة في جفن المشتاق وابتسامة على ثغر المؤمن وإشارة في يد

(١) راجعه في بلاغة العرب في القرن العشرين ٥٠

السموح الحكيم . . لكم منها الفصيح دون الركيك والبليغ دون المبتذل، ولي منه ما ينتميه المستوحش، وما يفصّ به المتوجع وما يلشغ به المأخوذ - وكله فصيح وبليغ . لكم منها القلائد الفضية ولي منها قطر الندى ورجع الصدى وتلاعب النسيم بأوراق الحور والصفصاف . . . لكم منها الترصيع والتزويل والتنميق وكل ما وراء هذه البهلوانيات من التلفيق، ولي منها كلام اذا قبل رفع السامع الى ما وراء الكلام واذا كتب بسط امام القاريء فسحات في الاثير لا يجدّها البيان»

اما نعيمة ففي « غرباله » كثير من هذا الباب . ونشير بنوع خاص الى مقاله « نقيق الضفادع » . ويعني بالضفادع الرجعيين من الكتاب المتمسكين باهداب التقليد السائرين وعيونهم الى الوراء . يقول - « ان الافة التي هي مظهر من مظاهر الحياة لا تخضع الا لقوانين الحياة . فهي تنتقي المناسب وتحتفظ بالاناسب فعلام وقوة الموقفين في كل الاقطار العربية ؟ . تكاد لا تفتح جريدة او مجلة من جرائد سوريا ومجلاتها الا وتجد فيها باباً للوقفة يدعونه تهذيب الالفاظ . فالفقوم هناك في حرب عوان - ذاك يقول ان التعبير كذا وكذا خطأ ويستشهد بالثعالبي وذاك يقول انه جائز ويستند الى الزمخشري . وهم يحسبون ان الحياة باسرها انحصرت فيما ينفون وما يشبتون . ولم يعدوا في مصر اخواناً لهم يتوسّدون القواميس ويتلون عليها صلواتهم . وكل غايتهم في الحياة ان يقفوا من قصيدة او مقالة على كلمة او تركيب لم تألفها اذواقهم ولا رضيت عنهما قواميسهم واذا ذاك يسمعونك نغمتهم العذبة واق واق ! »

ولم ينحصر حب التجديد عندهم في الثورة على النصوصيين والمتنطسين بل تجاوزها الى تجديد المواضيع الادبية والتفنن في اخراجها . ويبرز ذلك اكثر في ادب الشماليين وخصوصاً الشعر منه ولا ريب انهم متأثرون باساليب الادب الانكليزي والاميريكي وفي طريقة نظر الغربيين الى الحياة والطبيعة .

ولا ينكر انهم بذلك قد ساهموا مساهمة فعالة في توسيع الافق الخيالي وفي توليد افانين من النظم التوشيعي وسنشير الى ذلك ونمثل عليه في الكلام على الاتجاه الفني

الحنين الى الشرق

الانسان بطبيعته ميال الى ما يألفه فاذا غاب عنه افتقده وشعر بدافع قوي يدفعه اليه . وقد عبّر عن ذلك المتنبي بقوله :

خلقت الوفاً لو رجعت الى الصبا لفارقت شبي موجه الراس باكياً

وهو قول يصدق على الكثيرين من ادباء المهجر . ففي نفثاتهم الادبية نراه شديدي التحنن الى ربوعهم الاولى يذوبون شوقاً الى مراياها كأنّ البين قد محا سيئاتها ولم يبق لتذكّركم غير حسناتها^(١) .

وبما ساعد على اثاره الحنين في نفوسهم احوال لازمتهم في ديار الغربه وآلمتهم . واكثر ما يظهر ذلك في ادب المهاجر الجنوبية . فكم من شاب غض الاهداب ترك ذويه واحباءه وركب البحر متجشماً المتاعب والاعطار وهو يأمل ان يوفق في مسعاه ثم يعود الى وطنه مثقلاً بالنضار . ولكن الاقدار خانته فعاش في غربته حزين النفس يقيمه الشوق ويقعده اليأس ، وكأنّ الشاعر المهاجر ١
نعمة الحاج قد نطق بلسانه اذ قال من قصيدة^(٢) -

تذكرت اهلي في النوى وبلاديا وقد طال شوقي للحمى وبعاديا
تذكرت هاتيك الربوع واهلهما ويا حبذا تلك الربوع زواهيها
تطير لها نفسي من الوجد والجوى ويمسى لها دمعي على الخد جاريا

وكم من مهاجر كان يحسب العالم الجديد منبعاً للخير ومرتعاً للهناء ، وسرعان ما وجد انه معترك هائل وجهاد عنيف وان عليه ان يكسب اضعاف ما كان يفعل في وطنه ليكسب الرزق - اضنته حياة المعامل ونهكته الاسفار حاملاً بضاعته على ظهره ، او ثقل عليه تحكّم اصحاب المال وارباب الاعمال فتذكّر اذ ذاك قريته المتواضعة وحياتها الهنيئة وثار فيه تحنن اليها . ولكن انى له الرجوع وبينه وبينها الوفا الاميال وفراغ الجيب من المال ! هكذا يصوّر مسعود

(١) راجع هنا قصيدة (هل يا ترى نعود اليك يا لبنان) لرياض مملوف في ديوانه خيالات ٢٦

(٢) ديوانه ١٧٧

سماعة حال المهاجر وقد قذفه سوء الطالع الى دار الغربة حيث صدمته النواذب
وعار كته الشدائد فيقول من قصيدته « المهاجر »^(١)

كم طويت القفار مشياً وحلي فوق ظهري يكاد يقصم ظهري
كم قرعت الابواب غير مبال بكلال وفرّ فصلٍ وحر
كم ولجت الغابات والليل داجٍ ووميض البروق شمسي وبدري
كم توسدت صخرة وذراعي تحت رأسي وخنجري فوق صدري

وهذه صورة صادقة لحال كثيرين من المهاجرين ولا سيما بعض ادباء منهم
اذ يحدّثوننا عن اختباراتهم المرة ويشرحون لنا خوالجهم الشخصية كالشاعر الآنف
الذكر، وكزميله القروي (رشيد الحوري) في قصيدته « السوري التائه »^(٢). وهو
يستهلها بالحنين الى الاوطان ثم يصف لنا حاله وبيئته البرازيلية وما كانت
تقتضيه مهنته (مهنة بائع متجول) من اسفار ومكابدة ومشاق. وفيها يقول :

دفنت ربيع عمرك في بلاد بها طالت لياليك القصارُ
اذا لم تحو تربتها حجاراً فبين خلوع اهليها الحجار
ثمّارك من طوافك سعي نخل وحظّ صراصر، بشّ الثمار
فكم من بقطة لك في الدياجي تقضى قبلها نوم غرار
وفي اذنيك صوت مستمر « رشيد » افق لقد صفر القطار

وهكذا نرى الشاعر يطوف المدن والقرى راكباً اليها البحر والبر ولكنه
لا يلقى من ذلك الا العناء والقهر. فهو اسير بيئة يود التخلص من نيرها وقرين
هموم لا نجاة منها -

هموم لا ازال لها اسيراً وشر مصائب الحر الاسارُ
متى يارب ينزع غلثها عن يدي ويفكّ عن نفسي الحصار
اروم الى ربي لبنان عوداً ويمسكني عن العود افتقار
ولو خيّرت لم اهجر بلادي ولكن ليس في العيش اختيار

(١) ديوانه ٣٣ .

(٢) القرويات ٥٣

وهذا الشعور الاليم لترك الوطن والاضطرار الى الاقامة في دار غربة لا
تقدّم للمقيم بها سوى العناء والشقاء تحس بحرارته في نفثات ابي الفضل الواليد
وخصوصاً في قصيدته « تأمل وتأمل » التي يقول فيها^(١) -

فديتك يا ارض الشام فمنك لي ثراء على فقر وسكر بلا خمر
منى اطأ التراب الذي هو عنبر واملأ من ارواح تلك الربى صدري

وهو يعود بالذكرى الى ايام صباه في لبنان ويحدثنا عن رغبته الشديدة
في التغرب والحاحه على اهله ان يسمحوا له بذلك، وبذلك يعتبر عن شعور
كثيرين من الفتيان الذين اندفعوا في تيار المهاجرة بالرغم عن نصائح الاصدقاء
والعارفين -

فكم قبل لي اجل رحيلك يا فتى لئن تدخل الدنيا رمتك على عسر
فلم انتصح حتى اذبت حشاشتي وعانيت ما عانى الشجاع من الاسر
لقد كنت ظمأ فاصبحت راضياً بأيسر شيء اذ غلبت على امري

ومن رسموا شقاء المهاجر واسمعونا نغمات اساه وانات شوقه الى ربوعه القديمة
رشيد ايوب في ذكرى لبنان^(٢) وقبصر المعلوف في قصيدته « الهجرة »^(٣) وفرحات في
قصيدته « حياة مشقات »^(٤) وانشودته « وطني »^(٥) ومحبوب الشرتوني في « خطرات
مفترب »^(٦) ونعمة قازان في « معلقة الارز »^(٧) وندرة حداد في ذكرى الغريب^(٨)
وابو ماضي في قصيدته « تأملات » و « لبنان »^(٩) . وفي هذه الاخيرة يقول معبّراً
عن عواطف الجميع .

(١) ديوانه اغاريد في عواصف ٧٠ .

(٢) ديوانه هي الدنيا ٤٢ .

(٣) تذكّر المهاجر « ديوانه » ٢٠ .

(٤) راجعها في ديوانه وهو القائل في « احلام الراعي » (١٩٥٢) ٦٦ واصفاً احوال المهاجرين
- لنا ألفة في النوى واخرى بذكر الوطن .

(٥) مجلة البرق « بيروت » ٣٤٣٦ . والمجلة (لسعاده) ٨ - ٧٢

(٦) ديوانه ٧٨

(٧) نشرتها دار الطباعة بالبرازيل ١٩٣٩

(٨) ديوانه اوراق الخريف ١٢٠ .

(٩) ديوانه الخائل ٧٩ و ١١٢ .

اثنان اعياء الدهر ان يبليهما لبنان والامل الذي لذويه
نشاته والصيف فوق هضابه ونجبه والثلج في واديه
ولغيرهم كثير من هذا القبيل .

ولقد نلاحظ ان هذا الحنين كان منشأه في اول الامر شعور المهاجرين بالم
الغربة . على ان هذا الشعور لم يبق على حاله بل اخذ يخف مع الزمان حتى
كاد يتلاشى . وما يصلنا الآن من شوق المهاجرين الى الشرق او ميلهم الى
الاتصال به فعن طريقين مختلفين : طريق سياسية وطريق روحية . فالسياسية
تحمل الينا اهتمام اخواننا في المهاجر المختلفة باحوالنا السياسية ومشاطرتهم ايانا
آامنا وآمالنا . ولست بمبالغ اذا قلت ان منهم من هو في مقدمة الذين
جاهدوا في سبيل استقلالنا وعنوا اشد العناية بالدعاية لاتحادنا والمحافظة على
كياننا . وقد ظهر لهم من الشعر والنثر ما لا يقل عن افضل ما ظهر في
الشرق العربي نفسه .

ومنذ اعلان الدستور العثماني ١٩٠٨ الى الثورة العربية ١٩١٦ الى اعلان الملكية
العربية بدمشق ١٩١٨ الى واقعة ميسلون ١٩٢٠ - الى الثورات الوطنية في العراق
والشام وفلسطين ومصر الى الحرب العالمية الاخيرة وما عقبها من الاعتراف
باستقلال اكثر الاقطار العربية وما يتصل بذلك من مفاوضات ومصادات - كان
للادب المهجري شعراً ونثراً يد تذكّر في المدافعة عن حقوقنا واذكاء نار الحمية
في نفوسنا .

هذا فضلاً عما قامت به الصحافة العربية في الجنوب والشمال مما يطول
بنا شرحه .

اما الطريق الروحية . فيظهر الحنين المهجري فيها بشكل نفور من المادة
الغريبة والتجاء الى الروحانية الشرقية . فقد سُحر المهاجرون في اول امرهم
بعظمة الغرب العمرانية وتفوقه العلمي والصناعي على انهم بعد ان خاضوا غمرات
الجهاد هناك وذاقوا الامرّين في سبيل الرزق ظهرت لهم الناحية السوداء من
المدنية الحديثة - هذا الكفاح المضي لاجل المال . وهذه الحياة الميكانيكية الخاصة

من الجمال . هالتهم مدنية الآلات والمعامل - مدنية السرعة والزحام والتكالب والخصام، فاخذ الادباء منهم يصورونها للناس تصويراً ينفرهم منها ويحبب اليهم جمال الطبيعة وبساطة الروح . ولكن اين يحظى الانسان بذلك؟ سؤال كان جوابه عندهم او عند اكثرهم : في لبنان - في تلك القرى الجميلة حيث يخف الزحام على الرزق وحيث يسود السلام بين الخلق . هناك غبطة القناعة وجمال التواضع وسكينة النفس .

وهكذا نسمع فرحات يقول في نشيده « موطني » المار ذكره

فازح افعده وجدّ مقيم	في الحشا بين خمود وانتقاد
كلما افتقر له البدر الوسيم	عضّه الحزن بانياب حداد
يذكر العهد القديم	فينادي
اين جنات النعيم	من بلادي ^(١)

او ليس ذلك ما يرسمه جبران لنا في مقاله « مناجاة ارواح »^(١) اذ يقابل بين طلوع الصباح على اكبر مدينة اميركية وطلوعه على جبال لبنان - فيقول - « قد جاء الصباح يا حبيبتي وانبسحت فوق المنازل المكروسة اكفّ النهار الثقيلة . فازيحجت الستائر عن النوافذ وانفتحت مصاريع الابواب فبانّت الوجوه الكالحة والعيون المعروكة . وذهب التعساء الى المعامل وداخل اجسامهم يقطن الموت بجوار الحياة . وعلى ملاحظهم المنقبضة قد بان ظل القنوط والخوف كأنهم منقادون قهراً الى عراقك هائل مهلك . ها قد غصت الشوارع بالمسرعين الطامعين وامتلا الفضاء من قلقلة الحديد ودوي الدواليب وعويل البخار . واصبحت المدينة ساحة قتال يصرع فيها القوي الضعيف ويستأثر الغني الظلوم باتعاب الفقير المسكين » .

هذه صورة الصباح في الحاضرة الاميركية اما في لبنان فقد - « استفاقت القرى المتكئة بهدوء وسكينة على كتفي الوادي . وترنمت اجراس الكنائس وملأت الاثير نداء مستجيباً معلنة بدء صلاة الصباح . وقد غادرت العجول مراتبها

(١) بلاغة العرب في القرن العشرين « رضا » ٤٩ .

وتركت قطعان الغنم والماعز حظائرها وانثنت نحو الحقول ترتعي رؤوس الاعشاب المتلحمة بقطر الندى . ومشى امامها الرعاة ينفخون الشبّابات ووراءها الصبايا المتأهلات مع العصافير بقدوم الصباح .

وللشاعر القروي كثير من هذه الحملات على مادية الحياة الغربية وهو يقرنها عادة بذكر الحياة الهنيئة في لبنان حيث يجد راحة النفس من متاعب الزمان . ومن ذلك قصيدة يقول فيها^(١) -

يا برازيل لو أفضت عليّ المال فيضاً ما طاب فيك المقام
 اين فصل الربيع فيك واين الشمس - اين الهلال - اين التمام
 انت نعم البلاد جوداً وخصباً غير ان الهناء فيك حرام

وسبب ذلك عنده وحشية الناس في تكالبهم على حطام الدنيا .

وكان الوري وحوش بأجام وتلك الشوارع الاجام
 منكبٌ حكٌ منكباً وجبين شجّ رأساً . علام هذا الزحام ؟

ومثل اختبارات القروي اختبارات زميله الياس فرحات . ففي شعره ما يشعرك بنفس ذاقت الامرّين في معترك الحياة . ولا تحتاج الى اكثر من نظرة في قصيدته « بين الطفولة والشباب »^(٢) لتري خواجه الحساسة الثائرة على المادية بين الناس . وفيها يقابل بين حاله وهو فتى في منزل والديه بكفرشيا (لبنان) وحاله في المهجر يجاهد ويعارك في سبيل الارتقاء فيقول :

واهاً على هاتيكم الليالي واهاً على ساعاتها الغوالي
 وحبذا « الغدير والحيّالي » وما لدى النهرين من جمال
 وما لتلك الارض من جلال

...

فانني منذ غبت عن لبنان ما زلت امشي تائماً حيراناً

(١) القرويات ٥٩ .

(٢) بلاغة العرب في القرن العشرين ٢٠٧ .

عليّ ان احالف الحصرانا او لا فان احتمل الهوانا
والنفس لا تقبل ان تهانا

...

امشي من الاحزان والالوجاع كأنّ صنين على اضلاعي
احاذر الذئاب والافاعي والناس عند الذهب اللعاع
شرّ من الحيات والسباع

وعلى هذه الوتيرة قصيدته «عجل الذهب»^(١) وسواها حيث يرينا .

انلساً تدوس اله الضمير ونحني الرؤوس لعجل الذهب

وكل البلاء عنده كما عند سواه من ادباء المهجر راجع الى هذا التكالب
على الاصفر الرنان . وما تقتضيه «المادية» من تنازع وظلم وبهتان !

ومن اجل الرسوم الفنية في هذا الباب مشهدان بقلم مخايل نعيمه^(٢) يقابل
فيهما بين الحياة الهائلة في مدينة نيويورك وينعتها بالتنين ، وحياة قريته الوداعة
القائمة على صفح صنين . وفي المشهد الاول «التنين يتنفس» نراه جالساً على مقعد
في حديقة عمومية وسط تلك المدينة الجبارة وهو يرسم لنا ما يراه من مختلف
اشكال الناس واعمالهم . ثم يتساءل -

« من هؤلاء الناس ؟ من اين اتوا - لماذا اتوا وماذا يعملون في جهنم الارض ؟
أطرح عليهم هذه الاسئلة بعيني فتجيبني وجوههم المجبولة من توبة كل ارض
بكل السنة الارض : ومن انت - ومن اين اتيت - ولماذا اتيت - وماذا تعمل
في جهنم الارض ؟ فاصمت حائراً واعود اقلّب نظري في جماهيرهم المتألّبة . . .
وبعد ان يعرض علينا مشاهد المدينة المختلفة يقول - « الشمس في السماء . ولكن
من في الحديقة لا يشعرون بها ولا يرونها لانها مقنعة بقناع اغبر كثيف ليس
ضباباً ولا سحباً . ان هو الا انفاس التنين المتصاعدة من الوف المداخن وملايين
النوافذ، وجبال متراكمة من الحديد والحجر والقيور والاسفلت، وقوافل لا يدرك
اولها من آخرها من العجلات المسيرة بالغاز والمسيرة بالبخار والمسيرة بالكهرباء .

(١) بلاغة العرب في القرن العشرين ٢٠٨ .

(٢) المراحل ٦٥ .

تتصاعد هذه في الهواء فينوء تحتها الهواء . ترفعها الارض بكل قواها الى فوق فتشمز منها السماء وتضغط بها الى اسفل فتظل عالقة بين الارض والسماء ، خاطفة من الشمس حرارتها ، خانقة من النسيم انفاسه ، ضاغطة بصفائح من حديد محمية في نار جهنم على صدر التنين المتمدد بين نهري^(١) الفاجر فاه ليشرب البحر ويبتلع البر دون ان يرتوي يوماً او يشبع .

وتحمله الذكري وهو على تلك الحال الى عهد حدائته في لبنان - الى مزرعة في سفح صنين حيث السماء الصافية والمياه الجارية والاعشاب الزاهية والطيور المفردة . وبعين الخيال يرى نفسه هناك مستلقياً على صخرة بيضاء فيعيد لنا بعض ذكرياته -

« عن يساري شاب سقاء صنين العافية والعزم والامل . هو مكبٌ على بقعة من سنابل القمح يقطعها بمنجله قبضة قبضة . اراه ينتصب ثم ينحني . . اسمع رنات منجله تندمج بنبرات صوته الفتي المتزوج -

من هون لارض الدير	من هون لارض الدير
والسر اللي بيننا	اش وصلو للفير
ون كانت ما في ورق	لكتب عجنح الطير
ون كانت ما في حبر	بدموع عينيا . . .

ثم اراه يجمع ما يقطعه من السنابل كوماً كوماً حاملاً منجله على ذراعه وماسحاً عرق جبينه بيديه . ويختم وصفه بقوله -

« صنين يتنفس ويحلم احلامه (قابل ذلك بتنفس التنين) ، والحاصد عن يساري يقطع سنابله ويحلم احلامه ، والبقرة عن يميني تجتر وتعلم احلامها . . . العصافير في البلوطة تسدي الخالق شكرانها والمكاري في الوادي يرفع الى الله صلاة حبه . النهار يتقلص والازلال تستطيل ، وعلى الصخرة الدهرية البيضاء صبي (يعني نفسه) يحلم بجنات مدينة غريبة قصة .

مشاهد حقيقية - حياة التنين وحياة صنين ! المدينة الجبارة التي لا تنام والقرية

(١) مدينة نيويورك واقفة بين نهر الهدسون والنهر الشرقي .

الوديمة الغارقة في لطيف الاحلام - هناك الدخان والضجيج والجهاد والزحام والعناء
والناس تحرق على مذابح الاصنام . وهنا الهناء والقناعة والجمال والحرية تتصاعد
بمخوراً الى اله السلام .

نظرات سوداء يلقيها الادب المبهري على الحياة في مدن الغرب، ولا عجب
فالادباء مجبولون على رقة الشعور ومرة الانفعال لا يشبع نفوسهم غير التمتع
بالحرية والجمال . فهم صوت واحد في الدعوة الى البساطة الطبيعية والابتعاد عن
شقاء المدينة . وفي هذه الدعوة كما رأينا يتجلى حنينهم الصادق الى الشرق الفتنان
وخصوصاً الى وطنهم الحبيب - الى موئل الارز - لبنان .



(١) يقول الشاعر اللبناني في قصيدته "الحرية" :
 (٢) الراسل ١٠

الاتجاه الى التأمل الفكري

الأدب التأملي

نوطه

يراد بالأدب التأملي ما ينعكس عن تأمل الانسان في الحياة والطبيعة وما بعدهما . وليس ذلك بجديد في تاريخنا الادبي فان للقدماء منه نثرأ وشعراً ما لا يخفى على الباحث المطلع . على ان الذي يدقق النظر لا يسعه الا ان يلاحظ ان في الادب العربي الحديث من هذا القبيل اتجاهاً خاصاً يميّزه عن سواه . وهو ما نحاول بسطه تحت الابواب الرئيسية التالية -

(١) التفكير الجديد في الحياة الروحية - (٢) الالتفات الى المواضيع المجردة - (٣) النظر المعنوي الى الريف والطبيعة

التفكير الجديد في الحياة الروحية

كان الانسان قديماً اذا فكّر في علاقته الروحية بخالقه وبمجتمعه فانّ تفكيره عادة يدور حول نظام معيّن من التعاليم والعبادات يرى فيه الطريق الاوحد او الامثل للتمتع بسعادة الدنيا والآخرة . وكثيراً ما يقترون هذا الاعتقاد بعصبية طائفية يعكسها لنا ادب جماعة من الجماعات او عصر من العصور، كما يعكسها في ادبنا القديم مثلاً شعر ابي تمام والبحتري وابي فراس والمتنبي وابن الساعاتي وابن عبدون والرّندي وسواهم بمن ادركوا الحروب الرومية او الصليبية او الاندلسية . ولم تنحصر هذه العصبية في طائفة دون طائفة او في قوم دون قوم، بل كانت عامّة عرفها الغرب كما عرفها الشرق . وقد تحدّثت الى عهد قريب ممّا بل بلغت عهدنا فكانت في الشرق العربي من اهمّ عوامل التفريق والتخاذل ولا يزال بنوه يعانون مرارتها ويودّون التخلص منها .

على انه منذ اواخر القرن الماضي (التاسع عشر) اخذت النظريات القديمة تتقلّص امام نور العرفان والحضارة، حتى ليندر اليوم ان تجد في البيئات الادبية من تروقه المناظرات الكلامية والمباحكات الجدلية التي لم تكن غريبة عن

عصر جدودنا الاقربين^(١). بل قلنا ترى اليوم اديباً او مفكراً لا يدعو الى الوثام وحسن التفاهم والقضاء على النعرات الهدامة.

ومن اقدم الدعوات الى ذلك ما جاء لسليم البستاني في مقال موضوعه « الغد »^(٢)، اذ قال « قد فتحنا الكلام بطلب قتل العصبية الدينية ومنعته بها لانه بدون ذلك لا امل لنا من نوال المرغوب . واذا قال احد ان ذلك ضرب من الحال اقول له ان العصر الذي قتل التعصب الديني في اوروبا سيقتل عنصر التعصب من بلادنا الخ » .

ولقد كان من هذه الحملة على التعصب الطائفي ان بعض المتحمسين من الكتاب والشعراء اخذوا يهاجمون رؤساء الدين ملقين على عواتقهم تبعة هذا الامر متهمين اياهم بالعمل على التفرقة بين الطوائف والوقوف في سبيل التجديد . كقول جبران جبران « ماذا تطلبون من الحياة يا بني امي ؟ ماذا تطلبون من الحياة والحياة لم تعد تحسبكم من ابناءها . ارواحكم تنتفض في مقابض الكهان والمشعوذين واجسادكم ترتجف بين انياب الطفاة والسفاحين . فماذا ترجون من وقوفكم امام الشمس ؟ »^(٣) . واكثر منه تحمساً وتطرفاً قول احد شعراء العراق^(٤)

ورجال الاديان اصنام شركٍ باسم تدليسها المستغر تُعبَدُ
بعث الدين للوثام بشيراً فامتغلّوه للخصام المؤبّد
واراد الاله بالخلق يُسرّاً فابادوه بالعناد المشدّد

ومثل هذين القولين كثير شائع في مطلع قرننا الحالي وما يليه^(٥) . واكثره من باب التعميم العاطفي الذي لا يصح تطبيقه على جميع الرؤساء وقد عُرف منهم كثيرون من الساعين في سبيل الحياة الفضلى والخير العام . على انه يشير الى ثورة فكرية

(١) للاطلاع على شيء من روح ذلك العصر راجع ما كان بين بطرس كرامه وصالح التميمي في مجلة الزهور ١ - ١٨٨ - وما كان بين البازجي والاياري في النبذة الاولى من ديوان ناصيف البازجي ٩٣ وما نشر من كتب ومقالات دينية جدلية بين الطوائف المختلفة .

(٢) الجنان (١٨٧٠) ص ٦٧٦

(٣) العواصف ١٥

(٤) صالح بحر العلوم - ديوانه ٦٥ . راجع له اشدّ من ذلك ص ٧٧

(٥) واعنف من كل م ذكر قول الرياني في الريانيات ٢-٣ ؛ حاملاً على الكهان ورجال الدين

اخذت تنتشر بين الطبقات العربية المستنيرة على نحو ما سبق من انتشارها في اوروبا . وكما نشأ في الغرب طبقة من ارباب الاعلام تدعو الى طرق جديدة في التفكير هكذا نشأ في البلدان العربية كتبة وشعراء يدعون الى ذلك ومعظمهم ممن تأثر بالحضارة الغربية - كشيلي شمبيل ويعقوب صروف وقاسم امين وولي الدين يكن وجبران وامين الريحاني وفرح انطون وطه حسين وحسين هيكمل واحمد امين ومخايل نعيمه وسلامه موسى^(١) وكثيرين سواهم من سترد امماؤهم مع ما نستشهد به من اقوالهم . وانك ستجد فيهم المبدع والعادي والمعتدل والمتطرف والعميق والضحاح . وهم بمجموعهم يمثلون لنا الاتجاه الروحي العام في ادبنا الحديث . ومن مطالعة اقوالهم وغربة افكارهم تتجلى لنا في النزعات الرئيسية التالية -

١ - مسيرة العلم الحديث

لم تكن حياتنا الفكرية حتى اواسط القرن الماضي قد تأثرت تأثراً بيتناً بالنضال المحتدم في الغرب بين الطبيعيين والالهيين فظل التأمل الادبي محصوراً ضمن نطاق الايمان الموروث يستمد وحيه من الكتب السماوية ويعتبر العالم الروحي حقيقة لا تقبل مناقشة ولا تحتاج الى برهان . فلما انتشر كتاب دارون في اصل الانواع واخذ مفكرو الغرب يبحثون في نظرياته بين مناقش ومدافع لم يستطع العالم العربي ان يبقى طويلاً بمغزل عن هذه الموجه الفكرية العامة . وهكذا قام فيه جماعة من الباحثين الذين أخذوا بهذه النظريات فاقبلوا على اقوال دارون وسواه من دعاة التطور الطبيعي فدرسوها ثم نشروها باللغة العربية فكانت مثاراً لصراع عنيف اشتبك فيه نخبة من كتاب العربية^(٢) . منهم من وقف في صف المدافعين عن الايمان والنصوص الدينية كبرهم الحوراني . وفي

(١) يمثل فكرة التجدد المقالات التالية لسلامه موسى الدين والتطور - الهلال ٣٤-٣٣ - الشباب

وناموس التحول - الهلال ٣٤ - ٣٥١ - الحضارة الجديدة - الهلال ٣٦ - ٦٩٠

(٢) راجع مثلاً المقتطف ٨ ص ٧١٢-٧١٩ - والمقتطف ٩-٧٠٤ - ومجلة الزهور ١-١٢٦

وقفاته يستند الى المنطق اللاهوتي حيناً والى الادلة الخطابية حيناً آخر^(١) ويتجلى لك موقفه في القصيدة التي رثى بها الشيخ ابراهيم اليازجي حيث يتناول مسألة الخلود ويفهم من قناة اهل الشك والجهود فيقول^(٢) -

يا ذا اليقين غداً اراك فما بنى اهل الشكوك علي سوى المتزعزع
قالوا الممات من الحياة وما دروا ان الحياة من الممات المفجع
ان الخلود حقيقة ازليّة نفى النفاة لها هباءً زعزع
لم ينفها العلم الحديث وأثبتت في مجمع العلم القديم الجمع

ومن امثلة الدفاع عن المبدأ الالهي كتاب «على اطلال المادية» لفريد وجدي. فالماديون عنده ضالون يبنون احكامهم على افتراضات واهية. وهم على حدّ قوله^(٣) «يدّعون انهم تحرّروا من ربقة الايمان بالغيب وما دروا انهم وضعوا في اعناقهم اغلالاً من الايمان بالطبيعة ينوؤن بحملها وفي ارجلهم قيوداً يرسفون في سلاسلها. وزعموا انهم ترفعوا عن القول بالله خلق العالم بقدرته وادارته وما علموا انهم تسفلوا الى القول بالهية المادّة. ونخلوها بخيالاتهم من القوى والقدّر ما لا يمكن تحقيقه بحجّة فاهضة ولا يتأتى شهوده بتجربة حاسمة». وقد راج مثل هذا الدفاع في اوائل القرن الحاضر ولم تنقطع المناقشات الجدلية في حقيقة الانسان والوجود حتى وقتنا الحاضر. على ان العلم لا ينقضه غير العلم ومذهب دارون لا يحققه او يفنّده اقوال الخطباء والبيانين. «فكما ان المسائل الفقهية» يقول يعقوب صروف^(٤) «لا تحل بالبواهي الهندسية ولا القضايا الفلكية بالقواعد النحوية هكذا مذهب دارون لا ينقض بالبواهي اللاهوتية ولا بالاقيسة الشعرية والنكت البيانية»^(٥)

(١) راجع كتابه «حق اليقين في الرد على بطل دروين». وفصوله المعروفة بالرقم في النشرة الاسبوعية السنتين ١٩٠٢ و ١٩٠٨

(٢) راجعها في المورد الصافي ٢ - ٧٣

(٣) كتاب احسن ما كتبت (دار الهلال) ١٩

(٤) المقتطف ١٠ - ٣٩١

(٥) راجع من الاقيسة الشعرية قصيدة خواطر في العلم لمحمد الحليوي (الرسالة مصر) ٣ - ٨٢٧

وبما لا شك فيه ان النضال الروحي قديم العهد عند الامم . ومهما يكن تاريخه فالواقع انه قد احدث في ادبنا الحديث هزة عنيفة تزعزعت من جرائها تقاليد وتطوّرت معتقدات . ويصف هذا التطور علي عبدالرزاق في مقال له موضوعه « الدين واثره في حضارة مصر الحديثة . »^(١) حيث يحاول ان يرجع سببه الى اتصال الشرق بالحضارة الاوروبية ذلك الاتصال الذي نجم عنه جيل جديد من الناس ونوع جديد من الثقافة - يقول - « نشأت مع هذا الجيل الجديد وتلك الحضارة الحديثة ظروف وتطوّرات اجتماعية كان لا بد ان تتأثر بها الحياة الدينية في مصر . وقد تأثرت بها الحياة فعلاً فكان من ذلك ما رايتم من الخلاف الشديد بيننا وبين اجدادنا في مظاهر الحياة الدينية ومناهجها »

على ان هذا الكاتب المفكر لا يرى ان هذه التغيرات تتصل بجوهر الدين (الاسلام) او انها تؤثر في اركانه وقواعده . بل بالعكس هي ناشئة عن روح حية متجددة تحاول ان تحرر الدين من كل ما يعوقه عن التقدم .

وهذه النظرة التجددية في الدين تحارب من جهة النزعة المادية التي كانت يدعو اليها في ادبنا الدكتور شبلي شميل ومن ذهب مذهبه . ومن جهة اخرى تأبى التقيد بقيود الجمود التقليدي الذي يحول دون النمو الروحي والذي لا يحسب حساباً للتفكير العقلي الصحيح . ومن رجالها الذين احدثوا اثراً يذكر في الفكر العربي الحديث جمال الدين الافغاني^(٢) . والشيخ محمد عبده^(٣) وعبدالله فكري^(٤) وغيرهم ممن ذكرهم في اول هذا الفصل .

فالعلم لم يهدم الدين ولكنه كما قال بعضهم نقله الى ميدان آخر^(٥) . فنشأ عن ذلك ادب روحي جديد - ادب يقف خاشعاً لدى النظام الازلي مقدساً للقيم الالهية التي هي مثل الانسانية العليا . واذا كان اساس تقدمه الحرية المطلقة

(١) راجعه في كتاب حضارة مصر الحديثة (مصر ١٩٣٣) ١٥١

(٢) راجع خاطرات الافغاني للخزومي (١٩٣١) ١١١ و ١٨٥

(٣) راجع مقال الدين والفلسفة في المقتطف ١٠٥ ومجلة الطريق مج ٢ ج ١٧ ص ٢٠

(٤) المقتطف ١ - ٢١٧

(٥) الرسالة (مصر) ٤ - ٩٩٣

التي يرى طه حسين انها « تعلو به عن ان يعتبر علما دينياً او وسيلة دينية »^(١). والتي تدعو الى التساهل وطلب الحق رافضة ما يغفل العقل عن التقدم فليس ذلك عن طريق الاحاد كما قد يتبادر الى الذهن بل عن طريق الايمان المبني على اشرف ما اختبره البشر في تطوّرهم . « فلا شيء » يقول يعقوب صروف^(٢) « افسد من هذا الوهم ولا اقبح منه تهمة على العلم لان العلم والكفر مستقلان كل الاستقلال، فكم عالم من اشدّ الناس تدنيّاً وكم كافر يجهل مبادئ العلم ».

على هذا الاساس يحاول المفكّرون ان يوجّهوا الادب العربي الجديد . فمنهم من يرى في العلم والدين والفن ثالوثاً على انسجام عناصره المذكورة واندماجها تقوم سعادة الانسان^(٣)

ومنهم من يوازن بين نظريات العلماء في الاخلاق الانسانية العالية ويخلص من هذه الموازنة الى القول ان مصدر الاخلاق ليس بيولوجياً او اجتماعياً كما يذهب بعض العلماء ولكنه راجع الى ذلك النبيل الروحي المتأصل في طبيعة الانسان الذي يستمدّ حياته من حياة علوية مجهولة ابدية خالدة هي اصل الكمال كله والذي ما يفتأ يغري البشرية بالتطلع اليه والاندماج فيه^(٤).

ومنهم من يرى ان تطوّرنا العلمي سيزيد شوقنا الى معرفة صلة الانسان بالكون كله ، وسيتغير شعورنا بهذه الوحدة الروحية التي حبا الانسان منذ بدء حياته الى الاحاطة بها . وبمقدار اتصالنا بالكون ستندفع دائرة علمنا الوجداني وبالتالي سنرى لزماً علينا ان نعيد نظام حياتنا على اساس هذا الاتصال وذلك العلم، وستكون تلك هي المدنية الحقة . وعلى اساس تنظيم العمل ان الغرب قد انصرف الى بناء العمران المادي فليس من ريب ان يكون الوقت قد آن لتلقي المقادير على كاهل الشرق حظّه من تقسيم العمل لتنظيم وحدة الكون

(١) في الادب الجاهلي (١٩٢٧) ٥٦

(٢) المقتطف ٧ - ٥٦٥

(٣) امير يقطر في الهلال ٤١ - ٣٦

(٤) راجع مقال ابراهيم المصري (بين العلم والدين) الهلال ٣٦ - ١١١٩

على الاساس الذي آمن به الشرق دائماً والذي تتابعت رسائل الوحي فيه على
رسله وانبيائه^(١).

وصفوة القول ان الادب العربي الحديث قد تأثر تأثراً عميقاً بالنظريات العلمية
الجديدة ولم ير مندوحة عن مسايرة العلم والخروج في ميدان التفكير عمّا ألفه
الادب القديم. على ان مسايرته للعلم لم تطوّح به في مهامه المادية بل فتحت امامه
آفاقاً جديدة من الايمان وانارت له سبيلاً لم يعرفها من قبل لادراك وجوده وعلاقته
بالحق الاعلى وبأخيه الانسان^(٢).

٢ - الاتجاه بقيمة الحياة

بما لا ينكر ان في ادبنا الحديث ما يدلّ على تأثره بروح ابي العلاء المعري .
وللروح العلائية ظاهرتان رئيسيتان . احدهما الاستسلام للتشاؤم حتى لا ترى في
الوجود غير الشقاء . والثانية الاعتماد على العقل دون سواه في نظرنا الى الحياة .
اما التشاؤم فلا نرى اليوم من يتخذه مذهباً كما اتخذ المعري في لزومياته
ولكنه يظهر من آن الى آخر في حياة البعض منا فتصطبغ به بعض اقوالهم
كقول الرصافي مثلاً

ارى الخير في الاحياء ومض سحابة بدا خلباً والشر ضربة لازم
جهلت كجهل الناس حكمة خالق على الخلق طراً بالتعاسة حاكم^(٣)

وسنرى بعد لغير هذا الشاعر ما يرجع الى هذه النزعة العاطفية . وقد يكون
للطريقة الرومانتيكية التي حلّت محل الكلاسيكية في مطلع هذا القرن والتي
تستعذب الالم الوجداني يدً في تقويتها عند بعض ادبائنا .
واما النظر العقلي فقد رأينا آنفاً انه نزعة عامّة في الادب الحديث ولا

(١) بتصرف عن مقال لمحمد حسين هيكل الهلال ٤٢ - ٣٩٧

(٢) راجع بهذا المعنى مقالا لسلامه موسى في الهلال ٣٥ - ٨١٣ وراجع ايضاً مقال الشيخ

عبدالرازق في مجلة المكشوف ٢٠٥٤

(٣) ديوانه (١٩٣١) ١٦٤

نعتقد انه يرجع الى تأثير المعري بقدر رجوعه الى استنارة الازهان بنور العلم وتشبع النفوس من روح الحضارة الجديدة .

وبرغم ما نلمسه من اثر التشاؤم العلائي في ادبنا الحديث فالواقع ان التفكير الادبي الحديث يتجه في طريق اخرى وهي الايمان بعظمة الحياة وقدر قيمتها^(١) واذا كانت النزعة الروحية في القرون الوسطى قائمة على توجيه النفس الى العالم الآخر والتاس السعادة عن طريق امتنان الجسد ورغائب النفس ، والى تحقير الطبيعة البشرية على انها دنسة غير قابلة للاصلاح فان بين ادباء هذا العصر نزعة تكاد تكون معاكسة لتلك . فقد حوّل الزمان اهتمامهم الى الحياة الحاضرة ورفع في اعينهم قدر الانسان والقي على الوجود المادي مسحة من الجمال يعكسها لنا كثير من اقوالهم . حتى الذين نراهم احياناً ينفثون نفثات التشاؤم العلائي يجارون المتفائلين في هذا الامر ويؤمنون ايمانهم بقابلية الانسان للسير في طريق التقدم .

هناك شيء نسميه الحياة الكريمة وهي في الادب الجديد ممكنة فليس الوجود مجرد عبث او شقاء وفساد بل هو امر جدي له معناه وله قيمته . فمنهم من يرى ادراك هذه القيمة بواسطة الجهاد المستمر . وعلى ذلك قول عبدالرحمن شكري^(٢) -

أَنْضُ عَنْكَ الْحَذَارَ مِنْ حَدَثِ الدهر فليس الحذار يُغني قتيلاً
أما العيش ان تكون جريئاً ليس ترضى الحياة غمراً ذليلاً

وقد يتخذ الجهاد شكل التمرد على القديم البالي . وهنا تتجلى لنا روح جبران جبران ومدرسته . فهو يدعو الى تحطيم كل قيد يعوق الانسان عن النمو نحو الافضل . ان الشقاء عنده هو وليد العبودية - يقول^(٣) - انما الحياة عزم يرافق

(١) مما يذكر هنا انه في سنة ١٩٤٧ ظهر ديوان سماه ناطمه احمد خمير «الزوميات» وقد عارض فيه لزوميات المعري بتفاؤل واقبال على الحياة وايمان بالخلود

(٢) ديوانه ج ٣ - ٤

(٣) راجع مقاله «يا بني امي» في المواصف (١٩٥٠) ٣٨

الشبيبة وتجد يلاحق الكهولة وحكمة تتبع الشيخوخة . اما انتم يا بني امي فقد ولدتكم شيوخاً عاجزين ثم صغرت رؤوسكم وتقلصت جلودكم فصرتم اطفالاً تتقلبون على الاوحال وتترامون بالحجارة . هذا ما يقرّره متأماً ثم يصيح بالناس « فلنتمرد على كل ما يجعلنا عاجزين ولنسر الى الامام بقلوب ملؤها العزم واليقين . نحن ابناء الآلهة ، كنا بالامس العوبة بيد القضاء فاصبحنا نقوده فينقاد . كنا نخضع ونلوي رقابنا امام السلاطين فصرنا لا ننحني الا للحق ولا نتبع غير الجمال . كنا نحرق نفسنا امام الاصنام فصرنا لا نحرق بخوراً الا لانفسنا لان اعظم الالهة قد جعل هيكله في صدورنا »

والتمرد في عرف جبران هو الخروج عن الذات الى ما هو اعزّ واسمى . لان في هذا الخروج مهما كانت عواقبه ما يتمم قصد الحياة فينا . وذلك ما يرمي اليه في حديث « البنفسجة الطموحة »^(١) حيث يرينا في الحديقة بنفسجة وضیعة كانت دوماً تشتهي ان تتحوّل الى وردة زاهية شاحخة الراس . ورات الطبيعة ان تتم لها هذه الرغبة . ولكن ما كادت تصبح وردة تزهى بجهاها وسموها حتى هبت عاصفة شديدة نثرت اوراقها وحملت الموت الى عروقها . على ان ما اصابها لم يجعلها تندم على تركها حياة البنفسج الوضع الآمن اذ ادركت بذلك ان حقيقة الحياة انما هي ترك القديم والتحوّل الى الجديد . وهاك ما يضعه الكاتب على لسانها - « انما القصد من الوجود الطموح الى ما وراء الوجود . وما زلت اتمرد على نفسي واتشوق الى ما ليس لي حتى انقلب تمردني الى قوة فعالة واستعال شوقي الى ارادة مبدعة . فطلبت الى الطبيعة ان تحوّلني الى وردة ففعلت » . وتجري على هذا النحو الى ان تقول - « انا اموت الان - اموت وفي نفسي ما لم تكنه نفس بنفسجة من قبلي . اموت وانا عالمة بما وراء المحيط المحدود الذي ولدت فيه . وهذا هو القصد من الحياة . هذا هو الغرض الكائن وراء عرضيات الايام والليالي . »

وقد تجد بين ادبائنا من يرى في البنفسجة وتمردا غير ما رآه جبران فيقول مثلاً مع الشاعر^(٢) -

(١) راجعه في المواصف ١٧٧

(٢) الدكتور فياض في مجلة الزهور ٣ - ٢٦٠

مسكينة قد غرّها كُفْرٌ هو كالسرّاب لكل مغترّ
ظنّت بان لها العلاء غنى فاذا به فقرٌ على فقر

ولكن هذه الفكرة لا تمثل الاتجاه الروحي الجديد كما تمثله الفكرة الاولى التي قد اصبحت شائعة يكاد لا ينجو من تأثيرها قطر مهما نأى عن مركز النهضة الادبية . ففي الحجاز نسمع الشاعر احمد قنديل يقول^(١) -

ان الحياة تدافع وتسارع والموت في لونه شيمته الركود
لم يدر الوان الحياة وطعمها من بات منزويّاً يرافقه الجود
يخشى التمرّد والتمرّد لم يزل باباً الى طرق المفيد من الجديد

وفي تونس يُنطق ابو القاسم الشاذلي الارض فتقول^(٢) -

ابارك في الناس اهل الطموح ومن يستلذّ ركوب الخطر
وألعن من لا يماشي الزمان ويقنع بالعيش عيش الحجر
اذا طمحت للحياة النفوس فلا بدّ ان يستجيب القدر

وتشارك جميع الاقطار العربية في هذه النزعة التقدمية المشبعة بالايان

ومن لوازم الايمان بقيمة الحياة هذا التفاؤل المتزن الذي يقينا من جهة مغبة السقوط في مهاوي القنوط ومن جهة اخرى يساعدنا على تأويل الواقع تأويلاً راضياً . على ان فكرة الرضى في الادب الحديث هي غير فكرة الرضى عند بعض القدماء .

فالشاعر الجاهلي طرفة مثلاً يرى الحياة « كنزا ناقصاً كل ليلة . » ولكنه يرضى بهذا الكنز لينفقه في سبيل لذاته .

ولولا ثلاثٌ هنّ من لذة الفتى وربك لم احفل متى قام عودى^(٣)

وهذه الثلاث هي الخمر والنساء وركوب الخيل . وكذلك رضى ابي نواس اذ يقول :

(١) (قريباً القمحا) ص ٢٢٢

(١) كتاب وحي الصحراء (١٣٥٥ هـ) ١٢٤

(٢) الهلال ٣ - ٣٠٢

(٣) راجع معلقته شرح الزوزني

رايت الليالي مرصداً لمدّتي فبادرت لذاتي بمبادرة الدهر
رضيت من الدنيا بكاس وشادن تمخير في تفصيله فطن الفكر^(١)

وليس في رضى هذين الشاعرين واضرابها شيء من الايمان بقيمة الحياة بل
هو بالعكس استهتار بها وازدراء لها. ومن هذا الباب رضى الزهاد والنسّاك
الذين يتجنبون خوض الحياة لانها في نظرهم عرض زائل لا يستحق عناء الجهاد
بل لم توجد الا كمر لدار المعاد.

اما في الادب الجديد فالرّضى قائم على الاعتقاد باسباب الرقي ونظام التطور
الازلي. فما لذة الحياة ان نغمرها بالتحدرات او ننفقها جزافاً في سبيل الشهوات.
ولا ان تتهرب منها فنقع حيث نكون بنجوة من همومها ومصاعبها. تلك
فكرة تشاؤمية قديمة اصبحت الآن تتراجع امام فكرة اخرى هي ان نرضى
بالواقع على انه سلم لما هو افضل فنجاهه غير وجلين واثقين انه بالتغلب على الصعاب
يتم لنا ما ننشد من غمّ وسعادة.

والى هذا يشير الشاعر المهجري نسيب عريضة اذ يقول من قصيدة^(٢)

يا اخي يا اخي. المصاعب شتى وبعيدٌ مُرادنا والمواردُ
فلنسر في الظلام في القفر في الوحشة في الويل - في طريق المجاهد
فلنسر أغزلين الا من الحق سلاحاً، والفكرُ هادٍ وقائد
فكفانا انا ابتدأنا وانا ان عجزنا فقد بدانا نشاهد

وقريب من هذا قول حسين محمود البشبيشي^(٣)

خذ من حياتك ما ترى ودع المذاهب للمورى
مر في طريقك واثباً تجتاح آفاق الذرى

فما الحياة الا ما تتحرك به نفسك وما تدركه بارادتك
وحياة يومك بنت فكرك بنت روحك والشعور
فدع الخافوف وانطلق فالعمر وثاب المسير

(١) ديوانه (المطبعة الرشيدية) ٢٢٣

(٢) راجعها في ديوانه الارواح الخائفة (١٩٤٦) ١١١ (٥٥٠)

(٣) الثقافة ٩ ع ٤٥٨ ص ٣

فالسير المتواصل في سبيل الحق والنور هو الكفيل بان يروي ظمأ نفوسنا. نعم اننا مهما حاولنا ومهما جاهدنا فلن نصل الى آخر الطريق - الى هدف الاهداف الاقصى . ولكن الوجود يفقد معناه دون السعي والاقدام ودون الرضى بمجابهة الايام .

ومن الانصاف ان نقول ان في ادباء العصر من ينظر الى الحياة نظرة ابي العتاهية فلا يرى فيها الا الخراب والتباب والمصير الحتم الى التراب . ولكن النزعة الجديدة غير ذلك، فان للحياة برغم نوائبها وغيرها جانباً وضاء يستهوي الادب الحديث . وقد حاول مصطفى صادق الرافعي ان يرسمه لنا في قصيدته « الهموم » فقال في التوطئة لها (١) - تتدفق حياة الانسان بين شاطئين يمتدان من غياهب الماضي الى غيب المستقبل . احدهما شاطئ الانسانية والاخر شاطئ من رحمة الله . وبينهما تجري الحياة الى غايتها متغيرة متدافعة متجددة لا تثبت منها قطرة على قطرة . متى قرّر الانسان ذلك في قلبه عرف ان ما يُلمّ به من اكدار الحياة انما هو سبب من اسباب الحياة وان هذه الاكدار يحملها عنه النهر فيما يحمل .

ويرى اقدمهم ان الهموم والبلايا هي سبيل الرقي والحياة (٢) -

كان الفكر العام عند القدماء ان الحياة الارضية ناقصة ولذلك فهي ستظل شقية حتى تصل الى الكمال في العالم الثاني . على ان الفكر العام اليوم ان الحياة ليست ناقصة وشريرة وبالتالي شقية بل انها متطورة والتطور اساس جمالها وسعادتها . وما على الانسان الا ان يجاري ناموس التطور وان يستقبل الحياة مستبشراً مؤمناً بانه يستطيع ان يجد فيها اسباب الكمال والجمال . والى هذا يشير باحث اذ يوازن بين نظر القدماء ونظر المحدثين في قوله (٣) - « هم حسبوا الكمال مستحيلاً على الارض ونحن نحسب اننا على طريق الكمال . هم عدوا التنافر بين مصلحة الانسان ومحيطه من نواميس الطبيعة التي لا يطرأ

(١) المقتطف ٨٣ - ٣٨٥

(٢) راجع قصيدة انشودة السلوان في الثقافة مج ١٠ ع ٨٥

(٣) من مقال لموسى ناصر موضوعه الى الكمال - المقتطف ٤٥ - ٦٠

عليها تغيير . ونحن لا نعدّ هذا التنافر الا عَرَضِيّاً لا بدّ من زواله في المستقبل .
هم توقّعوا الحياة السعيدة بعد الموت . اما نحن فنسعى لجعل حياتنا سعيدة على
الارض قبل الموت . هم حسبوا الشرّ من طبيعة الانسان ونحن نحسبه نتيجة
عدم التآلف بين الانسان ومحيطه . ومتى حصل هذا التآلف فلا نعوّد نسمع بالشرّ .

وتتضح هذه النزعة في قصيدتي ايليا ابو ماضي « فلسفة الحياة »^(١) « والغبطة »^(٢)
وفلسفة الحياة عنده انها جميلة ولكنّها لا يدركه الا ذور النفوس الجميلة
فشرّ النفوس واشقاها من يلتفت الى الورد فلا ترى فيه الا الاشواك . واسمدها
من ترى ما حولها بعين الرضى فتسرّ وتسرّ الآخرين - يقول

والذي نفسه بغير جمال لا يرى في الحياة شيئاً جميلاً
ليس اشقى ممن يرى العيش مرّاً ويظنّ اللذات فيه فضولاً
أحكم الناس في الحياة أناس علّوها فاحسنوا التعليلاً

وفي هذه القصيدة يخاطب الانسان قائلاً له - كن كالنهر المغرّد
لا غراباً يطارد الدود في الارض وبوماً في الليل يبكي الطلّولاً
كن غديراً يجري فيروي الحقول ويُنعش النفوس -

لا وعاء يُقيّد الماء حتى تستحيل المياه فيه وحولاً
كن نسمة الفجر وكوكب الليل لا ربح السحوم وداجي الظلام . وهكذا
يستمر الشاعر في نصحه حتى يختم القصيدة بقوله -

أيهاذا الشاكي وما بك داء كن جميلاً تر الوجود جميلاً

والحياة فوق ذلك ذات منطق رائع وان كنّا لا نفهمه احياناً . ويعبّر
عن ذلك احمد امين في مقال له موضوعه « ما نعلم وما لا نعلم »^(٣) - « وقد
دلّتنا الدلائل كلها على ان العالم خاضع للمنطق وان له غرضاً يسير اليه وليس

(١) المورد الصافي ١٦ ص ٢٩٦ ومطلعا ايهاذا الشاكي وما بك داء - ٢٨ ملاحظاً (١)

(٢) الجمائل ٩٧ وراجع ايضاً قصيدته « ابتسم » ص ٣٧ ملاحظاً (٢)

(٣) فيض الخاطر ج ١ ص ٢١١ - ملاحظاً (٣)

يسير حسبما اتفق» الى ان يقول متمثلاً بحياة العلماء - «فحياة الكفاح العلمي التي يحياها العلماء الذُّ حياة عُرفت بل لا اظن ان حياة العلماء تكون سعيدة لو ان كل شيء انكشف لهم من غير بحث ومن غير عناء . فالقليل ينال بعد التعب خير من كثير ينال من غير نصب . وما الذُّ منظر العالم يحار ثم يحار ويدور حول الشيء ويدور . ويتجه يمينا فلا يُفلح ثم يتجه يساراً فلا يُفلح حتى يُعمى عليه الامر . ثم يبدأ بالبحث مرّة اخرى لا يكل ولا يمل . واخيراً يدرك منه الشيء القليل فيغتنب به الاغتباط العظيم ويرى الدنيا بخذا فيراها ولذا انها وسعادتها لا تساوي شيئاً بجانب ما ناله من المعرفة ولو بالشيء القليل بعد الجهد .»

وليس الكون اضغاث احلام او فوضى دون نظام، بل هو حركة تجددية ذات غرض يبعث على الاستبشار ويملأ النفس بالجمال . حركة يصفها مخايل نعيمه بقوله^(١) - من الجهل الى المعرفة من الخير والشر الى ما فرق الخير والشر، من الجزئيات الى الكليات، من الحق الذي لا يقوم بغير القوة الى القوة التي لا تقوم بغير الحق، من الغريزة المخلوقة العمياء الى الارادة الخلاقة المبصرة

ومثل هذا الوصف تجده في فصل لاحد امين موضوعه «غاية العالم» يقول فيه - «وتاريخ الانسانية من بدئها الى الآن ليس الامراحل للتقدم الى الامام» . والذي ينظر اليه نظرة شاملة يرى «انه يسير الى الامام دائماً وانه على حد قول ارسطو يسير نحو تحقيق العقل»^(٢)

والمهم ان يدرك الانسان جمال النظام الكوني فيسعى لاتمام التآلف بينه وبين نفسه . وقد يتم له ذلك بان يقابل الواقع بنفس خيرة تتغلب على افانيتها بمساعدة الآخرين على رؤية الجانب الوضاء من الحياة . ولعل هذا ما يقصد اليه العقاد بقوله^(٣) -

شكوت من بعض الحياة الاذى وما لها عندي شكاة تشين

(١) راجع مقاله «في موكب التجدد» - كتابه النور والديجور (بيروت ١٩٤٧-٤٩) ١٦٩

(٢) راجع المقال في مجلة الثقافة (مصر) ٣ ع ١٢٩ ص ٦

(٣) ديوانه عابر سبيل (١٩٣٧) ١٠٦

ان القَ منها الشرَّ لقيتْها خيراً وان خانت فاني الامين

وهنا لا بدّ لنا من القول ان فكرة الخير قديمة في كل ادب وعند كل الامم . وطالما كان الانبياء والحكماء حريصين على الدعوة اليها والعمل في سبيلها . على ان لها في الادب الحديث صبغة خاصّة . فقد كانت قديماً مقتونة بغاية دينيّة هي ارضاء الآلهة طمعاً بثواب الآخرة . اما اليوم فالدافع اليها انساني محض . هو الطمع بالحياة نفسها - بل هو الايمان ان وجودنا الارضي هو الوجود الهامّ وان قيمة هذا الوجود اعزّ من ان نعتبره زائلاً لا خير منه . واذن لم يبق لنا الا ان نرضاه ونكافح مصاعبه لتتقدّم نحو الافضل . وأن نساعد الآخرين في كفاحهم لان في ظفرهم ظفراً روحياً لنا وسعادة لا ننالها باليأس والانكماش على الذات .

ولا ينكر ان توالي المحن السياسية على الشرق العربي وما نشأ فيه منذ نهاية الحرب العالمية الاولى من صراع بين الروح القومية والقوى المستعمرة، وخصوصاً بعد التوسّع الصهيوني في فلسطين، قد اثار في الادب العربي موجة من السخط والتشاؤم مما اضعف الايمان بالعدل الانساني وحدا كثيرين الى التماس الخير عن طريق القوى الماديّة . لكن ذلك لم يرجع الادب العربي الى سبيل القدماء الذين كانوا عقب النكبات يلجأون الى ما وراء الطبيعة بل زاده تحوّلاً الى هذه الحياة وتوخي ما يعزّزها ويستغلّ القوى الكامنة فيها .

٣ - التفسير الماتيرياليستي للغيبات

ان الادب اليوم - وقد انصرف كما راينا الى الحياة الحاضرة - اصبح قليل الوقوف امام العالم الثاني . وهو اذا وقف لا ينظر اليه بنفس العين التي ينظر بها من يعتقد بظواهر النصوص المنزلة - هناك الاتجاه الى تفسير الغيبات تفسيراً روحياً معقولاً يزعم اصحابه انهم يتخلّصون به من الجدليّات الكلامية العقيمة والنظريات اللاهوتية القديمة، وهكذا يوجهون النفس في سبل الحياة الفضلى . ولننشل على ذلك بتصوير بعض المجدّدين لطبيعة الله وصفاته - فنقول

ان الله لا يزال له في حياتنا الادبية المقام الاسنى . وبرغم الاحاد الذي اخذ يشيع مع بعض المذاهب الاقتصادية ترى الادب العربي عموماً اميل الى الاعتقاد بقوة عليا توجه البشرية للامام وتهدى خطاهم وسط الظلام . يقول عباس العقاد في ختام كتابه « الله » - « وخاتمة المطاف ان الحسّ والعقل والوعي والبدية جميعاً تستقيم على سواء الخلق حين تستقيم على الايمان بالذات الالهية ، وأن هذا الايمان هو خير تفسير لمرّ الخليفة بفعله المؤمن ويدين به المفكر وبطلبه العقل السليم » . ومثل ذلك ما نراه من اقوال اكثر الكتبة في هذا القرن (١) .

ولا يقصّر الشعر في تبيان عظمة الله وعجز الانسان عن ادراكها -
كقول احدهم

حارت عقول الباحثين وقصّرت وسواك كلّ عاجزٌ ومقصّرٌ
لم يعثروا الا بـها اوحيته وأذعنه لهم ولما يعثروا (٢)

وقول الآخر في الانسان الذي لا يدرك نفسه ويحاول ان يدرك خالقه
بواسطة العلم

لم يدرك من هو وهو يطمع باحثاً بالعلم فيمن عاش في آلائه
واري العقول تعود بعد جهادها للعلم بالخلق عودة تائه (٣)
وفي الشعر الحديث كثير من مثل هذه الخواطر (٤)

على ان ادبنا الجديد يشهد اليوم بعض التطور في تفسير الطبيعة الالهية .
فيجبر ان يتحدث عن الله كضمير العالم ويسمّي اقانيمه الثلاثة - الحب والتمرد

(١) راجع مثلاً قول جرجي زيدان في الهلال مج ١٥ - ٩٥ ومج ٤٥ - ١٩ .

وقول الطنطاوي في الرسالة (مصر) ٦ - ٩ .

(٢) ديوان مسعود سماحه ٧٦ .

(٣) ديوان خير الدين الزركلي ٥٤ .

(٤) راجع مثلاً قول اسماعيل صبري في ديوانه ١٩٤ - وقصيدة « الله » لشوقي في ديوانه وفي

الهلال ٣٢ - ٧٨٨ - وقصيدة لفواد الخطيب في المقتطف ٧٢ - ١٤٥ - وقصيدة « الله » لحمد اليومي

في الثقافة ١٠ ع ٥٢١ .

والحرية^(١). وأبو ماضي يجعله - الفكر المبدع والشعور الفيّاض^(٢). ويناجي أمين
الريحاني الله قائلاً - «انك الهى ولا اله الاك». فيجيب الله «اني نبض الحياة
وروح الحب فيك ونور الحكمة. كن عليها اميناً فهي الالهية ديناً وبقيناً»^(٣).
وانك لتلمس الصوفية بل الحلولية في قول مخايل نعيمه - «ما كان الانبياء
ليعرفوا الله لو لم يكن الله فيهم لانه يستحيل على الانسان ان يدرك ما كان
خارجاً عن نطاق وجوده. ولو لم يكن الانبياء واثقين من وجود الله في
كل انسان لكان اقل سخافة ان يكرزوا بالله على الحبر منه على خلائق
خالية من الله. اما النور وحده يفهم النور، واللامتناهي يستوعب اللامتناهي
اما الله وحده يستطيع ان يعرف الله - هو الكائن في الانبياء الذي عرف وكشف
اله الانبياء - هو ذلك الاله نفسه الكائن في كل انسان الذي في قدرته ان
يعرف الله في كل شيء وفي كل انسان»^(٤).

تلك نزعة جديدة في ادبنا الروحي، واصحابها لا يتعرضون نفياً او اثباتاً
لما يقرّره الايمان من حقيقة «ذاتية» الهية وراء الكون ولكنهم لا يجعلون ذلك
نقطة ارتكاز لملاتهم العنيفة على المادية في حياة البشر.

وكذلك موقفهم من النفس البشرية وحالها بعد مفارقة الجسد والنفس اكثر
تعرّضاً في الادب الحديث لسهام المشككين او اللادريين. فمن الادباء من يذهب
فيها مذهب ابن سينا في قصيدته «هبطت اليك من المحل الارفع» فيتخيّلها روحاً
كانت عند الخالق ثم هبطت ودخلت جسم الانسان - كشوقي في قصيدته «خمتي
قناعك يا سعاد او ارفعي» - وفيها يقول -^(٥)

يا نفس مثل الشمس انت اشعة في عامر واشعة في بلقع
فاذا طوى الله النهار تراجع شتى الاشعة فالتقت في المرجع

(١) العواصف ٩٦. راجع ايضاً قوله في الهلال ٤٢ - ٩١

(٢) المقتطف ٩١ - ٤٨

(٣) الريحانيات ٤ - ٤

(٤) زاد المعاد (١٩٣٦) ١٠٩. ومثل هذه النزعة الصوفية قصيدة «انت» لبدر احمد - الثقافة

٩ ع ٤٣٧ ص ٢٣

(٥) نشر المقتطف هذه القصيدة مع قصيدة ابن سينا وعلق عليها في المجلد ٦٤ ص ٤

وعلى هذا النسق قصيدة لشاعر عصري آخر مطلعها « غدرت بكسرى في الزمان وتبّع »^(١)
ومنها - يا نفسُ موطنك الخلود واتّما هذا القدوم على رحيل مُزْمَع
على أنّ منهم من يقف موقف الشك والحيرة فيتساءل مع الزهاوي -^(٢)
يحركُ روحي الجسم وهي تحلّهُ فمن ذا لهذا الروح فيّ يحركُ ؟
وقبل وجودي أين كان مكانه فهذا هو الشيء الذي لست أدرك
وقد يحمل التشاؤم بعضهم الى درجة الجحود^(٣) . ومنهم من يدفعه الشك
الى عدم المبالاة بما وراء الحياة الدنيا فيدعون الى اغتنام المسرات على طريقة
عمر الحيام او ابي نواس^(٤) ، او الى تفضيل هذا الوجود وما فيه من حبّ وشقاء
والم على خلود لا نصيب فيه للشعور بل هو راحة لا غبطة فيها . وعلى ذلك
ما وضعه شفيق المعلوف على لسان جنية في عالم الارواح^(٥) - ويحي من يشبع
فيّ النّهم

اكلّمَا استلقت على معصمي روحٌ فقرّبتُ اليها فمي
تلمّصت ولم أقبل ولم
اضمّ الا عدماً في عدم

ومثل هذا الشعور تلمسه في قصيدة لبدوي الجفل مطلعها « اطلّ من حرم
الرؤيا » . وهي وان تعكس روح الشباب الظمآن الى الحياة تشير الى عدم ارتياح
النفس لمصيرها بعد الموت - اليس الرائع في جنان الخلود كما نجده في القصيدة -
ينادم الحور لكن غير مغتبطٍ ويشرب الراح لكن غير ظمآن^(٦)

(١) راجعها في المقتطف ١٠٠ - ٨٠ - وقصيدة لعادل الغضبان القاها في المهرجان الالفى لابن
سينا في بغداد اذار ١٩٥٢

(٢) المكشوف (بيروت) ٤١ - ١٧١

(٣) راجع معارضة قصيدتي ابن سينا وشوقي في المقتطف ٦٤ - ٢٦٢ . وراجع قصيدتي الصافي

النجفي « الخلود المزيف » « والحرية الخالدة » في ديوانه الامواج ٣٤ و ١١٣

(٤) راجع قصيدة لامجد الطرابلسي في الرسالة (مصر) ٣ - ٧٤٨

(٥) عبقر (١٩٤٩) ١٧٣

(٦) راجعها في المكشوف ٢ ع ٧٧

على ان ما نجده في ادبنا الحديث من مثل هذا الشك او عدم الارتياح الى مصير النفس لا يحملنا على الحكم انه متبعه نحو الاحاد والاقرب ان نقول انه انساني يؤمن بالجمال الروحي الاسنى . فالغرض من وجود الانسان عنده ان ينمو في الحياة الفضلى .

وما الخطيئة الا ان نلهو او نتمسك بما يعيقنا عن هذا النمو . اما الايمان الحقيقي فهو شعور الانسان بخشوع لدى القوة الازلية التي تسيطر الوجود في سبيل الارتقاء ، منزهاً عن التعصب ، خاضعاً للحق ، متوخيماً كل نبيل وجميل في الحياة .

وكانت تلك القوة الازلية التي تسيطر الوجود في سبيل الارتقاء ، منزهاً عن التعصب ، خاضعاً للحق ، متوخيماً كل نبيل وجميل في الحياة .

نرى في ذلك ما نلجأ اليه في الحياة ان يكوننا قبيحاً ولا نرى في ذلك ما نلجأ اليه في الحياة ان يكوننا قبيحاً (١)

- (١) المراسلة ١٦ راجع أيضاً قوة في المراسل ١٦ ١٧ ١٨ ١٩ (٢) (٣) (٤) (٥) (٦) (٧) (٨) (٩) (١٠) (١١) (١٢) (١٣) (١٤) (١٥) (١٦) (١٧) (١٨) (١٩) (٢٠) (٢١) (٢٢) (٢٣) (٢٤) (٢٥) (٢٦) (٢٧) (٢٨) (٢٩) (٣٠) (٣١) (٣٢) (٣٣) (٣٤) (٣٥) (٣٦) (٣٧) (٣٨) (٣٩) (٤٠) (٤١) (٤٢) (٤٣) (٤٤) (٤٥) (٤٦) (٤٧) (٤٨) (٤٩) (٥٠) (٥١) (٥٢) (٥٣) (٥٤) (٥٥) (٥٦) (٥٧) (٥٨) (٥٩) (٦٠) (٦١) (٦٢) (٦٣) (٦٤) (٦٥) (٦٦) (٦٧) (٦٨) (٦٩) (٧٠) (٧١) (٧٢) (٧٣) (٧٤) (٧٥) (٧٦) (٧٧) (٧٨) (٧٩) (٨٠) (٨١) (٨٢) (٨٣) (٨٤) (٨٥) (٨٦) (٨٧) (٨٨) (٨٩) (٩٠) (٩١) (٩٢) (٩٣) (٩٤) (٩٥) (٩٦) (٩٧) (٩٨) (٩٩) (١٠٠)

الاتفات الى المواضيع المعنوية - او التامل في المجردات

ولا بدّ هنا من التمييز بين التأمل الادبي والتأمل الفلسفي وان كانا يستقيان من نبع واحد. فالفلسفي يتناول المجردات فيدقق النظر فيها ادراكاً لكنها معتمداً في ذلك التحليل العقلي. اما الادبي فغاياته التعبير عما تثيره هذه المجردات في النفس من خوالج وصور خيالية - الاول محلل منطقي والثاني مصور خيالي. والمواضيع المعنوية اكثر من ان يتسع المقام للاستشهاد بأثر كل منها في ادبنا الحديث. وهي على العموم نوعان - نوع يتعلّق بنظر الانسان في عالم الغيب واحواله وقد بسطنا الكلام على ذلك آنفاً. والنوع الثاني يدور حول الانسان ومجتمعه كالوطنية والمساواة والاخاء والحرية والشجاعة والتساهل والاستبداد والمحبة وما الى ذلك من الصور الفكرية التي شاعت في الادب العصري حتى اصبحت من مميّزاته. وها نحن نوضح ما نقصد اليه بموضوعين يبرزان بروزاً بيّناً في ادبنا الفكري - وهما الحقيقة والسعادة -

الحقيقة

ولا يراد بها هنا المعلومات الراهنة المستمدة من التجارب العلمية والاختبارات الشخصية والادلة العقلية. فانما هذه جزئيات نتوصل اليها ونتحققها بما لدينا من وسائل المعرفة. بل يراد بها حقيقة الحقائق وبكلمة اخرى الوجود المطلق او ناموس الحياة العام. وهو امر طالما شغل خواطر المفكرين. وفي ادبنا القديم اشارات كثيرة اليه كقول المتنبي:

ومن تفكّر في الدنيا ومهجته اقامه الفكر بين العجز والتعب^(١)
او قول احد الاندلسيين:

برّح بي ان علوم الوري اثنان ما ان فيها من مزيد
حقيقة يعجز تحصيلها وباطل تحصيله لا يفيد^(٢)

(١) من قصيدته « يا اخت خير اخ ما بنت خير اب » شرح العكبري ١ - ٥٧

(٢) مختارات من الشعر الاندلسي لنيكل (١٩٤٩) ١٨١٧

وفي ديوان الزوميات للمعري خواطر كثيرة من هذا القبيل . على اننا قلنا
نصادف في الادب القديم ما نصادفه في الادب الحديث من نظر فكري متصل
ناجم عن الانصراف الى التأمل في الحياة والانسان . خذ مثلاً جميل الزهاوي في
قصيدته « حول الحقيقة »^(١) حيث يشرح لنا شغفه بها وتعطشه الى وصلها فيقول :

حسنا ما قلبي الذي ارهفته عمراً لوصف جمالها بالكافي
الناس اعداء لها قد بالغوا في نقدها وانا الصديق الوافي
قد غرّني منها التبتسم ظاهراً حتى نسيتُ مكانتي ومطاني
فسألتُ الحف وصلها فتبرمت بي للسؤال وغازها إلحافي
وتباعدت عني ولم تنظر الى اسفي هناك ودعني الذراف

وبعد ان يوالي وصفها على هذا النسق يذكر انها خفية لن تنجلي للانسان
وهكذا يتراجع معترفاً بقصوره وعجزه عن ادراك كنهها الذي هو سرّ
الطبيعة والوجود .

ما للطبيعة اولٌ او آخرٌ فكانها بحرٌ بغير ضفاف
والدهرُ لم يك غير نهرٍ هادرٍ والمرء ليس سوى حبابٍ طاف
لا شيء الا والطبيعة امه لكننا كنه الطبيعة خاف
ما لي بامر بدايتي ونهايتي وحقيقتي والكون علمٌ كاف

ومثل هذه الخواطر تظهر في قصيدته « الشك لا يهدي »^(٢) حيث لا يدري
ارشاده ضلال ام ضلاله رشاد، فيستعين بعقله ولكن « من اين يعطيني العقل ما
ليس يملك » وكذلك قصيدته « ايتها السماء »^(٣) .

ويجري مجراه زميله معروف الرصافي وخصوصاً في قصيدته « من اين والى
اين »^(٤) . حيث يحاول التفكير في الوجود فيتيه في مهامه يتخبط فيها فكره تخبط
العشواء في الليل الدامس - يقول

(١) راجعها في ديوانه « اللباب » ٢٧٨

(٢) راجعها في الرسالة (مصر) ٤ - ٢٧

(٣) راجعها في مجلة المقتبس ١ - ٤٥٨

(٤) في ديوانه ٢٣ وفي مجلة المقتبس ٢ - ٢١٠

من اين - من اين يا ابتدائي ثم الى اين يا انتهائي
امن فناء الى وجود ومن وجود الى فناء
خرجت من ظلمة لاخرى فما امامي وما ورائي؟

وكأنه لا يرى مخرجاً من هذه الحيرة الا ان يتوكأ على قول بعضهم ان
الكهرباء روح الوجود وحقيقته الخالدة . وهو ما يقوله الزهاوي ايضا في قصيدته
« ايها العقل »^(١) هذه الوقفة الحيرة وسط ظلام الحياة يقفها كثيرون من ادباء
العصر^(٢) . وهي من اللاأدرية العاطفية الشائعة

وكما تتحول هذه اللاأدرية عند البعض الى يأس يكاد يطفئ فيهم نور الايمان
والرجاء تتحول عند البعض الآخر الى اندفاع نحو القوة العليا رجاء الحصول
على ما لم يستطع العقل بلوغه، كما التفت يعقوب صروف صارخاً^(٣) -

نور الخلائق مصدر النور الذي يهدي الكواكب في السماء مدارا
ان لم تُنر عقل ابن آدم لم يجد نور الهدى بل زاد عنك نفارا
ظلم ونور العقل قصّر عن هدى وبغير نورك لا يشيم منارا

ومثله محمد الفراتي اذ يصرخ الى القوة العليا في قصيدته « بين العقل والقلب »
طالباً ان تخلصه من قيد عقله ومما يقتضيه القياس والبرهان^(٤) .

اما عبدالرحمن شكري فيخطو خطوة اخرى اذ نجده في منظومته « الباحث
الازلي »^(٥) جاداً وراء ضالته المنشودة هائماً على غير هدى في التفتيش عما لا يدرك

(١) الباب ٣٦٢

(٢) راجع مثلاً ما يلي - ديوان الزركلي ٧٨ - « لماذا » لسليم حيدر في ديوانه آفاق وفي مجلة
الاديب ٣ ج ٧ - الانسان والوجود لسليم عنحوري في الهلال ١٤ - ١٦ - لغز الوجود لغوزي
المعلوف في كتاب ذكرى المعلوف ١٥ - محراب الفكر لحسين البشيشي المقتطف ١٠١ - ٥١ - امام
طلسم الآباد لالياس قنصل المقتطف ٨٧ - ١٨٧ - ضحك الحزين لعثمان حلمي في الهلال ٢٩ - ١٩٩
- الجواب الصحيح لاجد الصافي في ديوانه الامواج ٣٩ - « ما زلت في حيرة » لمحمد الفراتي ١ - ١١٤
- وله ايضاً « يا ليل » ١ - ١٢٠ - ويلم التكليف ١ - ١٢٩

(٣) المقتطف ٩١ - ١٣٦

(٤) ديوانه النفحات (١٩٣٦) ٣٢

(٥) راجعها في ديوانه

فيقطع الصخاري ويخوض عباب البحار ويدقق النظر في السماوات ويتحدث الى الزوابع والرياح، وكسائر الذين ينشدون هذه الضالة لا يحظى بطائل . لكنه لا يقطع حبل الرجاء اذ على الرجاء يعيش وبه يستطيع ان يحتمل اعباء الحياة . وهو مع اقراره باستحالة الوصول الى الحقيقة يرى ان ابتغاءها والطموح اليها واجب على الانسان المفكر . وعلى ذلك قوله في قصيدته « الى المجهول »^(١) . معتذراً عن سعيه المتواصل نحو ما يعزّ بلوغه -

ليس الطموح الى المجهول من سفه ولا السمو الى حق بمكره
يا قلب يهنيك نبض كلّه حرقاً الى الغرائب بما عزّ ساميه
فالعيش حبّ لما استعصت مسالكه تجارب المرء تدميه وتعليه

وفي هذا الشطر الاخير معنى بليغ وقد سبقه اليه الشاعر الانكليزي المشهور تينسون اذ قال في احد نشائده الذكرى In Memoriam ما تعريبه :

انما المرء يرتقي للمعالي سلماً من مرارة الاختبار^(٢)

ويمثله في هذا المعنى سيد قطب في قصيدته الانسان الاخير^(٣) . ومحمد الممشري في بعض مقاطع منظومته « شاطئ الاعراف »^(٤) . وغيرهما من الادباء .

السعادة

ما السعادة وعلى ماذا تتوقف ؟ - موضوع لهج به الادب الحديث نثراً وشعراً . فمن النثر عدد كبير من المقالات والمباحث والخطب التي يضيق المقام عن ذكرها وهي منتشرة في المجلات والمصنّفات الادبية^(٥) . اما الشعر فمما يذكر منه على سبيل التمثيل قصيدة « العنقاء » لايلى ابو ماضي . والعنقاء طائر خرافي يعدّه العرب احد المستحيلات الثلاثة ، وهي الغول والعنقاء والحلّ الوفي . والذي يبدو ان

(١) راجعها في ديوانه

(٢) الذكرى (الترجمة العربية) ٢١ .

(٣) راجعها في المقتطف ٨٥ - ٤٣٣

(٤) راجعها في الروائع لشعراء الجيل (فمي) ١ - ٦٣

(٥) راجع مثلاً مقال اميل زيدان الهلال ٢٩ - ١٧٢ وراجع المقتطف ٧٩ ص ١٤٨ و ٢٦٥

وكتاب كيف نجد السعادة لمحمد سعيد الجليلي

الشاعر قد اتخذ رمزاً للسعادة التي هي ضالة الانسان المنشودة . وخلاصته هذه القصيدة ان الانسان لجهله يقضي عمره في التفتيش عنها خارج نفسه فلا يهتدي اليها ولا يعرف ضلاله الا عندما يفوت الاوان - يقول في مطلعها^(١) -

انا لستُ بالحسناء اول مولع هي مطمع الدنيا كما هي مطمعي
فاقصص علي اذا عرفت حديثها واسكن اذا حدثت عنها واخشع
ألمحتها في صورة ؟ اشهدتها في حالة ارايتها في موضع ؟
اني لذو نفس تهيم وانها لجميلة فوق اجمال الابدع

وهذا الهيام بها يدفعه الى التفتيش عنها في كل مكان - في الطبيعة وفي العمران - بين القصور وبين الاكواخ فلا يقف لها على اثر . ويلقي بعضهم في أذنه ان هذه الضالة لا تتجلى الا للزهاد والمتورعين -

قالوا تورّع عنها محجوبة الا عن المتزهد المتورّع

فيطيعهم ويطلق افراحه وملاذاته ملازماً في النهار خطّة التقشف حاجعاً في الليل على فراش الحرمان . ولكن ما نتيجة ذلك ؟ لا شيء . وقد ظننت - يقول - انني اجدها في عالم الاحلام فهجعت على هذا الامل

ثم انتبهت فلم اجد في مخدعي الا ضلالي والفراش ومخدعي

وهكذا يمرّ ربيع الحياة وصيفها . ويقبل عليه الشتاء وهو دائب في التفتيش دون طائل حتى كاد يستولي عليه اليأس والاسى . واخيراً يدرك وقد فات الاوان ان السعادة الحقيقية ليست شيئاً نلتسمه خارج نفوسنا . وها هو يرسم لنا هذا الاختبار في ختام قصيدته بما يلي -

حتى اذا نشر القنوط ضبابه فوقى فغيبني وغيب موضعي
وتقطعت امراس آمالي بها وهي التي من قبل لم تتقطع
عصر الاسى روحي فسالت ادمعاً فلمحتها ولمستها في ادمعي
وعلمت حين العلم لا يجدي الفتى ان التي ضيعتها كانت معي

ولهذا الشاعر كثير من مثل هذه النفثات الفكرية^(١)

وإذا صحَّ أن السعادة ليست الاختباراً داخلياً في النفس فما هي وكيف
نحصل على هذا الاختبار. هنا محال لتنوع الخرائج والافكار. فمن الادباء من
لا يرى ذلك الا في الصبر على المكروه ومنهم من يراها في تركية النفس بالعلم
وتكميلها بالفضائل^(٢) ومنهم من لا يراه الا في القناعة بجارياً الشاعر المصري
محمد عبدالغني حسن اذ يخاطب ضالته المنشودة في قصيدته «اين انت»^(٣)

اني نسجتُ لك الخيوط لعلني ادنو الى سبب اليك وارثي
وحسبتُ انَّ الجاه انت وفاتي انَّ الثراء يُحبُّ لكن لو بقي
وحسبتُ انَّ الحبَّ انت وفاتي انَّ السعادة فيه لما تُخلق
فكسرتُ انوالي وقلت معذبٌ من عاش في الاوهام عيش الاخرق
انا بالقناعة سيّدٌ بسعادتي فاذا جشعتُ فاني العبد الشقي

على ان هذا القول لا يختلف عن اقوال ابي العتاهية واضرابه من شعراء
الزهد. وهو صدى للروح الدينية التي بلغت أوجها في تعاليم الانبياء والحكماء.
كقول الحكيم الصيني لاوتسو «لا خطيئة اكبر من الشهوة ولا تعاسة اكبر
من التذمر ولا ملّة اكبر من حبِّ الاقتناء. لذلك كانت السعادة القصوى
في القناعة»^(٤). وانك لتجد مثل هذا القول في كل جيل وكل مكان. وهو قد
يجيء عن زهاد حقيقيين او عثمّن يصطنعون الزهد على انه باب من ابواب
الفن الادبي. ولكنه عند التحقيق لا يعدّ من مزايا ادبنا الجديد وان يكن
يظهر فيه احيانا. فهناك ما هو ابعد واعمق من فكرة الزهد. وقلمنا ترى بين
المحدثين من يعتقد ان لا سعادة الا بقتل الامل واخماد الرغبات ولا هدوء مع
الطموح ولا فائدة من الالم والجهد. والى ذلك يشير صاحب كتاب الجبل
الجديد في حديثه عن الذين يقولون ويعلمون بان الزهد هو باب السعادة الحقيقية

(١) راجع مقطوعته «لا انت ولا انا» الجداول (١٩٢٦) ٧٨

(٢) راجع لمحمد ابو العيون في الهلال ٤٢ - ٣٣٤ مقاله - اين تظفر بالسعادة

(٣) المقطف ٩٦ - ١٧٥

(٤) المراحل لنعيمه (١٩٣٣) ٢٦

اذ يقول^(١) - «واوشكت ان اعنو لهم واطمئن الى فلسفة زعموا انها روحية وانها شرقية وان فيها الخلاص . ثم تلقت حولي وهبطت بأبصاري الى قرارة نفسي واذا بعقلي ينضب شيئاً فشيئاً ويستحيل الى صحراء وقلبي يتعفن وينقلب من مقدس الى مرعى ديدان وساعدي يفتر وهمي تتراخي - شعرت ان بيني وبين ذاتي القديمة كما بين دم الشباب المتقد ودم الشيوخ الآسن، وان السعادة التي كانوا يلوحون بها ليست في الحقيقة الا سعادة الموت» .

فالسعادة ليست في القعود عن الجهاد بل في الدأب وراء الافضل الممكن . ولا يعني ذلك ضرورة التكالب على الدنيا والامراف في طلب ملاذها . بل يعني محاولة الوصول الى اقصى حدود الامكان والاتقان . على ان يروض الانسان نفسه - كما يقول احمد لطفي السيد^(٢) - على الرضا حتى ترضى غير كارهة وهكذا تعرف الحياة فلا تبالغ في تقديرها وتعلم قيمة الواجب فتقوم به حق قيام وتأخذ الحوادث فتستقبلها كما هي لا كما يجب ان تكون

ولا ينكر ان السعي وراء الكمال امر لازم للراقي وللشعور بلذّة الحياة . ولكن الانسان محدود لا يستطيع ادراك الكمال . فما الفائدة اذن من السعي وراءه . هنا نصل في ادبنا الحديث الى فكرة روحية جديدة وهي ان السعادة لا تتوقف على بلوغ الهدف بل على الشعور بالنمو المطرد نحوه . وبكلمة اخرى هي تجدد الاختبار اذ يتقدم الانسان من طور الى طور . ولعل هذه الفكرة قد تسرّبت الى ادبنا من الغرب . فان شاعر المانيا الكبير غوته يجعلها اساس روايته الشهيرة «فاوست» . وقد عبّر عنها احد ادبائنا العصرين بقوله «لذاتنا في الشوق لا في الوصال»^(٣) . فلا المال عنده ولا العلم ولا المجد ولا مطمع آخر من مطامع الدنيا تشبع النفس البشرية . وهو يشبهه الامنية بسدرة المنتهى في الجنة ويرى انه اذا قدر للنفس بلوغها فلا تلبث ان تملأها وتطلب الرجوع الى حيث كانت تسبح في عالم الاشواق والاحلام . وها هو يخاطب نفسه وقد بلغت الجنة التي تتوق اليها واستظلت بظل سدرتها العجيبة -

(١) صوت الجبل لابراهيم المصري (١٩٣٤) ٣ و٤

(٢) بتصرف عن كتاب تأملات من فصل «من هو السعيد» (١)

(٣) راجع القمص المهجور ليوسف غصوب ١٤٩ (٦)

فقلتُ قرّبي قد بلغنا المنى يا نفس هذي سدره المنتهى
 اظلالها فيأضة بالهناء
 قرّت زماناً تحت افئافها ثم استفاقت وهي مدعورة
 مريضة عادت الى دائها
 حنّت الى عهد الليالي العذاب في صحبة الاحلام تسعى الى
 اوطانها العليا وراء السحاب
 فقلتُ عودي واسرحي بالخيال في اربع ما خاب روادها
لذاتنا في الشوق لا في الوصال

ويتوسع احمد امين في شرح هذه الحقيقة الروحية بقوله^(١) - « والسعادة انما هي السعي للغرض اكثر منها الغرض . والطريق الى الغاية هو السعادة لا الغاية . وانما يسعد الانسان باستخدام قواه وملكانه لبلوغ غايته . فاذا بلغها تفتحت له غايات جديدة وبذل فيها جهوداً جديدة وظهر في اثناء الطريق صعوبات استخرجت اقصى الجهد في التغلب عليها فشعر بلذة الجهد ولذة الغلبة ولذة اعتداده بشخصيته واستخدامه ملكاته واستكمال نفسه اكثر من لذته بالغاية نفسها . وهكذا تراه يفتد زعم الزاعمين ان السعادة حياة راحة لا يكدرها عمل ، وارتواء من اللذات دون عناء وانقطاع ، والحصول على ما تشتهي النفس دون نصب . وينتهي باللائمة على المجدين والمفكرين الذين يشكون انهم محرومون في حياتهم فيقول « لو حسبوا حساب لذاتهم في السعي ولذاتهم العقلية في فهم الكون ولذاتهم في الكد في الطريق - وان لم يبلغوا الغاية . ولو وزنوا بالميزان الحقيقي لذة الجهلاء ولم يبالغوا في تقديرها - لو فعلوا ذلك لصححوا حكمهم وادركوا خطأهم ولقللوا من سخطهم على الزمان . »

ولا ينكر ان بين اوهائنا من لا يرى في السعادة غير سراب ليس لمن يسعى وراءه غير الاخفاق^(٢) . ولكن ما ينفته الادب من هذا القليل لا يلون

(١) كتابه فيض الخاطر (١٩٣٨) ٣ - ٩٤

(٢) راجع مثلاً قول احمد الصافي النجفي في الاغوار ص ١٣٦

التفكير العصري كما يلوّنه القول بان السعادة حالة ممكنة ولكن غير مستمرة
تجني وتذهب تبعا لما نحزره او نفقده من اسبابها ولا سيما الروحية منها^(١) ويمثله
قول رشيد ابوب في اعمى يكبد في سبيل العيش

يسعى بصبر وعلى وجهه تلوح سماء الرضى والثبات

فقلت يا نفس قفي وانظري اعمى يرينا كيف تحلو الحياة^(٢)

وقس على هاتين الفكرتين كثيرا من الموضوعات المعنوية التي تناولها الادب
الحديث عن طريق الوصف التأملي

(١) راجع من هذا القبيل ما يلي - الحقيقة الكبرى لملي الطنطاوي - الثقافة ٥ ع ٢٤٢ - الحياة
الروحية - لاجد امين - الثقافة ٧ ع ٣٤٦ وما بعده
(٢) هي الدنيا ٧٥

النظر المعنوي في الريف والطبيعة

الحياة الريفية: وهي تشمل كل ما يتعلّق بالقرى واحوال سكانها. وقد كان الاولى إلحاقها بباب الاتجاه القومي لأن القرويين طبقة من طبقات الشعب. على أن الريف اتصالاً وثيقاً بالطبيعة ومن العسير جداً فصاها من الناحية الادبية. ولذلك رأينا أن نفرّد لها هذا الفصل فنتحدّث عن خصائص كلّ منهما ومدى أثره في أدبنا الحديث.

وأول ما يسترعي انتباهنا أن الأدب العربي القديم لم يهتم اهتماماً خاصاً بالحياة القروية، فهو اذا ذكرها ذكرها عَرَضاً في سياق غرض من الأغراض. كما فعل النابغة في داليتة التي يعتذر بها الى النعمان اذ يقفُ قليلاً في دار مية واصفاً ما شاهده من آثارها - يقول:

وقفت فيها أصيلاً اسائلها عيت جواباً وما في الربع من أحد
الا الأواري لأياً ما أبيتها والنثوي كالحوض بالظلومة الجلد
رُدّت عليه أقاصيه ولبده ضرب الوليدة بالمسحاة في التاد
خلّت سليل أتيّ كان يحبسهُ ورَفَعته الى السجفين فالتضد^(١)

فهذا مشهد بدوي ريفي ولكن الشاعر لم يقصد اليه ولم يجعله موضوع تأملاته وانما وصفه توطئة لما يقصد اليه من الوصول الى أميره والاعتذار اليه. وعلى هذا النحو ما جاء للمتنبي من وصف فتيات البادية وتفضيلهن على فتيات الحضر اذ يقول:

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب
أين المميز من الآرام ناظرة^(٢) وغير ناظرة في الحسن والطيب

(١) يقول في هذه الايات - انه وقف عند الاصيل في ربيع فتاته فلم يجد فيه الا آثار الخيام من احجار المواقد وما يحفر حول الخيام لرد السيول
(٢) استعار المميز لنساء الحضر والآرام او الظباء للبدويات

أفدي ظباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام ولا صبغ الحواجب
ولا خرجن من الحتام بارزة أوراكهن صقيلات العراقيب

والأبيات مشهورة . وهو انما جاء بها تمهيداً يتخلص منه الى مدح سيد مصر
كافور . وقد وفق في وصفه للبدويات ولكن ذلك لم يكن غرضه الرئيسي .
وله من هذا القبيل أبيات أخرى ، ولا عجب فقد عرف البادية واختبر الحياة فيها
واكتسب كثيراً من مزاياها . وقد سبق المتنبي الى وصف الحياة البدوية والتباهي
بما اكتسبته من صلابة وقوة كثيرون من الشعراء . واننا نشير إشارة خاصة
الى لامية العرب المنسوبة الى الشنفرى حيث يحاول الشاعر ان ينفي عنه معرفة
التخشت الحضري فيحدثنا عن نفسه وهو في البداء مصاحباً لوحوشها مسابقاً
لطيورها محتملاً شظف العيش فيها . وقد نجد في الأدب القديم حنيناً الى حرية
البادية يمثله هذه الأبيات المنسوبة الى ميسون امرأة معاوية وهي فتاة من بني
كلب اسكنها معاوية قصره في دمشق فشق عليها فراق اهلها وطلاقة العيش
بين أترابها ونفقت عن نفسها الكربة بأبيات منها :

ولبس عباءة وتقر عيني أحب الي من لبس الشفوف
وبيت تضرب الأرياح فيه أحب الي من قصر منيف

فالادب القديم ليس خلواً من هذه النزعة الريفية، على أنه قلما عني بها . ولا
نجد بين القدماء كما نجد في هذا العصر من اتخذ القرية باباً أدبياً مستقلاً أو
موضوعاً عاماً يبتسون فيه خوالج نفوسهم ويفتتون بعرض افكارهم وتخييلاتهم .

ان النزعة الريفية اليوم بارزة في الادب العربي وتتجلى لنا في ثلاث وجهات
رئيسية هي : الوصف والاشفاق والحنين .

الوصف : وهو باب واسع ولما ترى قطراً عربياً يخلو بمن شفقه جمال
الحياة القروية فصورها كل بحسب ما توحى اليه بيئته الخاصة . ففي مصر مثلاً
نرى مصطفى صادق الرافعي يقف في قصيدته « دموع الفجر » لدى العزبة المصرية
معجباً بمشاهدها الساحرة واصفاً جمال الفتاة القروية وقد بكرت لتملأ جرثماً .

وهو يقابلها على طريقة المتنبي بفتاة المدينة فيقول^(١) :
 مكحلةٌ ولا كحلٌ ولكن سَلِ الظُّبِّيَّاتِ عَنْ ذَاكَ الصَّنِيعِ
 فذاك الحسنُ لا ما تشتره ضرائرها من الحسنِ المبيعِ
 وتحذره المقابلة الى ذمّ المدن وما فيها من اسباب الشقاء والهموم .
 والرافعي نشيدٌ قرويٌّ وضعه على لسان فلاحه مصرية يصوّر فيه حياة الفلاحين
 ويحاول التعبير عن شعورهم وحاجاتهم^(٢) .

ومثل الرافعي احمد محرم في قصيدته « الطبيعة وفتاة الريف »^(٣) . وفيها
 يذهب الى ان كمال الاخلاق وقف على الريفية وان الحب النقي انما هو الناشئ
 في بساطة البيئة القروية لا في المنتديات الحضرية . وعلى هذا التوتر نفسه يضرب
 في قصيدته « الريف المصري »^(٤) حيث يذكر الفلاح وخدماته الجليلة لمصر فيقول :
 كم من غنى وافٍ ورزقٍ واسعٍ لبني البلاد عـلى يدك متاحـ
 ثم يصف جمال الريف ومتعة الحياة فيه ويهيب باهل المدن ان يعودوا اليه
 ليتمتعوا بهناء العيش وبركاته .

وقد طرق باب الوصف الريفي عدد غير قليل من شعراء مصر^(٥) . على ان
 امام الربيعين في وادي النيل هو محمود حسن اسماعيل . وتبرز شاعريته في ديوانه
 « أغاني الكوخ » الذي ظهر سنة ١٩٣٥ و « هكذا أغني » ١٩٣٨ .

(١) ديوانه ج ١ (١٣٢١ هـ) ص ٤٧ .

(٢) راجعه في ديوان النظرات ٦٩ وراجع له ايضاً فيه « زهرة فول » ص ٣٨ .

(٣) راجعها في كتاب شعراء العصر الحاضر (لحسين) ص ٢١٧ .

(٤) الهلال ٥١٠ - ٦١ .

(٥) راجع مثلاً : قصيدة « ذات القميص الازرق » لابراهيم علي في الرسالة ١ ع ٢٤ - قصيدة
 « في الريف » لمحمود غنيم في الرسالة ٢ ص ١٤٣ و « على ضفاف الغدير » في مجلة الكاتب ١ ع ٧ - قصيدة
 « بنت القرية » لمحمود الحفيف في الرسالة ٧ ص ٢٣٠٨ - قصيدة « في بعض قرى السودان » للنجاني
 المقتطف ١٠١ - ٢٦٨ - قصيدة « الريف في مصر » احمد محفوظ مجلة الكاتب المصري ٣ - ٤٩٩ .
 - قصيدة « نشيد الحصاد » لمحمود محمود . ديوان البعث ١٥٨ . قصيدة الريف المصري لكamal بسيوني . الثقافة
 ١٠ ع ٤٧٨ - قصيدة سحر الريف لمحمد طاهر الجبلاوي . الثقافة ١٠ ع ٤٧٩ - اغنية الحقل - عبد
 العزيز عتيق . الثقافة ٣ ع ١٥١ .

ومن ريفياته « وطن الفأس » وقد وُطِّأ لها بقوله^(١) : ظلت القرية المصرية الى عهد قريب منبوذة عن الفنون القومية وبخاصة الادب . فلقد انحرف عنها ممتة حتى على يد اكبر الادباء والشعراء في مصر ذيوماً وشهرةً ، إّما لصكف في الاقلام أغرتها به نزعة التحضر ومصانعة المدنية العصرية الزائفة حرصاً على مسايرة أذواق الجماهير ، وإّما لموت الاحساس الفني الصادق الذي يتجاوب مع البيئة ويتروجم عن أثرها فيه ، وإّما لهما مجتمعين .

في هذه القصيدة يحوّل الشاعر أنظارنا الى الفلاح وعمله المجدي فيقول :

حملت فأُسهُ من الغيب سرّاً حَيّرَ العقلَ كامنٌ من صفاته
حَطَبٌ يابسٌ يمرّ على الصخر فتزهو الورودُ في جَنبَاتِهِ

ولكنّ هذا الفلاح الذي يتعب ليستخرج الخير من جوف الارض لا ينال من الخير شيئاً . فهو عند الشاعر معذب في حياته ، يعتني بنبات الحقل فيعطف عليه النبات . ولكن الانسان الذي يتمتع باتعاب الفلاح لا يهتم به ولا يكثر حاجاته وآلامه .

أتؤاسيه في الضحى نبتة الحقل ويغضي الانسان عن حمراته
كم صبا السنبُل الحبيب اليه ساكباً بين راحه قُبُلَاتِهِ
عشق الزهر كفه فتمتني خلداً أطرافها على ورقاته

ومن القصائد التي تذكر لمحمود حسن اسماعيل « الشادوف »^(٢) وهو اداة مصرية قديمة ترتكز على ضفة النيل لرفع الماء الى الحقول المجاورة . و « في ليالي الحصاد »^(٣) حيث يرينا السنبلة تحتضر والنورج يتكلم . و « دخان الكوخ »^(٤) ويتخيّل الشاعر لسان شكوى ترفعه القرية لما اصابها من اهمال وحرمان .

وما نراه من الوصف الريفى في وادي النيل نراه على ضفاف الرافدين .

(١) هكذا أغني ١٠٧ .

(٢) راجعها في « هكذا أغني » ١١٨ . وفي الشادوف أيضاً قصيدة لمحمد الجيلاوي تجدها في الهلال

٤٥ - ١٠٤١ .

(٣) راجعها في « هكذا أغني » ٢٢٧ .

فالشاعر العراقي مهدي الجواهري يحملنا في قصيدته « الطبيعة والقرية »^(١) الى قرية عراقية فيصف لنا مناظرها ثم يدخلنا الى بيوت الفلاحين ويطلعنا على طرق معيشتهم وما يشعرون به من حزن او سرور . وهو يعزو اليهم الذكاء والقناعة والصبر على البليّة والاطمئنان المتأبّي عن الايمان والتسليم لمشيئة الله . وعنده ان الحياة بينهم تطرد التشاؤم والشقاء اللذين تقتضيها قيود المدينة الثقيلة ومطالبتها المرهقة - يقابل محيط المدينة بمحيط القرية فيقول :

قلتُ إذ ربيع خاطري من محيطٍ كلُّ ما فيه مُوحشٌ وكئيبٌ
ليس عدلاً تشاؤم المرء في الدنيا وفيها هذا المحيط الطروبُ

ولا يزال للحياة البدوية تأثير في نفوس شعراء الرافدين المتصلين بالبادية او المجاورين لها . ومن ذلك قصيدة لمحمد الفراتي يصف لنا فيها ليلة ماطرة قضاها في بعض احياء البدو الضاربين في نواحي دير الزور^(٢) . فيذكر ان المطر أجّاه ليلاً الى مضرب بدويّ وقد رقد السّمار، ويقصّ علينا ما لقيه من حسن الضيافة وجميل العشرة . ويتخلّل الحديث وصف المطر في البادية وحال البدو ومكارمهم وحرية النفس في الفلاة . وهذا الشاعر يمثل عشاق البادية في قوله من قصيدة أخرى^(٣) :

أنا ابن الفيافي حيث حلّت مطيّتي تعزُّ فيحُمي رعيها وذمارها
أليس غريباً ان تقيم ببلدةٍ على الضيم نفس والاباء شعارها

على أن للشعر القروي في لبنان صبغة خاصة يمتزج فيها الوصف بشيء من الاعتزاز الوطني . فاللبناني فخور بجبله وبالحياة المرحّة فيه . وقد نشأ ذلك فيه أيام كان « لبنان الصغير » مقاطعة مستقلة ضمن إطار السلطنة العثمانية ، وكان الناس يقولون هنيئاً لمن له « مرقدة عنزة » في جبل لبنان . أدرك العمران الجديد

(١) ديوان الجواهري (١٩٣٥) ١ - ٦٩ وهي نحو مئة بيت

(٢) ديوان الفراتي ١ - ٢١٨ .

(٣) ديوانه ١ - ٢٢ .

هذه المقاطعة المستقلة قبل سائر الارباب الشرقية فازدهرت قراها بأموال المهاجرين والمصطافين وعمتها منذ استقلت الامان والاطمئنان ، فأصبح الجبليّون فخورين باستقلالهم متمتعين من نعم الطبيعة وال عمران بما لم يتنبأ لسواهم . وهذا هو أساس هذا الشغف الاقليمي الذي لا تزال نلمسه في أدبهم القروي . ولعل أفضل مثال يقدم في هذا الباب هو ديوان الالحان لالياس ابو شبكة فهو يعكس لنا خوالج اللبناني الجبلي وشغفه بجبله كما تروى في هذا النشيد الذي نظمته بشكل محاوره بين راعٍ وحصّادين . واليك بعضه :^(١)

الراعي - حقولنا سهولنا . كلّها طرب . كلّها غنى
الشمس فيها ذهب . والسواقي مئى
الحصادون - الى الحصاد . جنّى الجهاد . قلب البلاد . يحيا بنا
هيا احصدوا . وأنشدوا . الحب قلب ويد . والعمر زرع وجنى
الراعي - جبالنا نخبها . هذي العيون قلبها . هذي الجنان خصبها
حليتها التفاح . والعنّب . ألحانها الرياح . في القصب
وكلّها لنا . ولبنين بعدنا
الحصادون - صغيرة بين الدول . كبيرة مثل الامل . كانت لنا ولم تول -
بلادنا . أجدادنا . أولادنا
زلالها تريق . ترائبها أخلاق . وشمسها ذهب
حليتها التفاح . والعنّب . ألحانها الرياح . في القصب
ومن أناشيده نشيد ألحان القرية ومطلعه :^(٢)

أرجع لنا ما كان . يا دهر في لبنان
ويختمه بما يلي - وهو ينم على شعور الاسى لما فقدته الجبل من جمال حياته الماضية :
أرجع الى الوادي . فلاحه الغادي . وطيّره الشادي
والرفش . والمعولا . والموسم المقبل
الى القلوب البأس . الى العيون الجمال

وعزّةً للنفس وراحةً للبال
أرجع لنا وجهنا يا دهر أرجع لنا
ما كان في لبنان

وفي نشيد آخر يوقفك أمام المعصرة والناس يعصرون العنب وكأنك تسمعهم
يفغنون معه: (١) يا عنب. شكل الدُمى. لون السما والذهب.
اليوم فيك الندي. حلوى وخمر غدا. عليك رؤيا الحبيب. - يا عنب.

فيك انعصر. روح النجوم. والقمر.
وفي الكروم. مرّ النسيم. فاختم.

وفيك ذاب الصباح. معطر الاقداخ. ودب فيك اللهب. - يا عنب.
وأكثر ديوان الاغان على هذا النسق من التوشيح المشبع بالروح الجبلية
اللبنانية التي حملها معهم المهاجرون الى ديار هجرتهم ورجعوها أنغام حنين الى
مرابعهم الاولى (٢).

وبجاري الشعر الاصولي في هذا المضمار الشعر العامي أو الشعبي. ومن أبرز
أمثله أناشيد ميشال طراد (٣) واميل مبارك. وقد اصدر الاخير مجموعة بعنوان
«أغاني الطبيعة» وهي أناشيد قروية تمثل لك الحياة الجبلية الهنيئة في لبنان
وتدعو أبناء المدن الى التمتع بها «كما تدعو المهاجرين الى ابقاء ذكرها حياً
والعودة اليها». وسأتي على ذكرها في مقام آخر.

....

الاستفاد: وهو اما منبعث عن حال الفلاح وما وصل اليه بسبب الظلم
والاهمال والحرمان او عن حال القرية وما يخشى على الاوطان بسبب هجرة

(١) الاغان ٣٢

(٢) راجع النزعات النفسية في الأدب المهجري - مجلة الأديب (بيروت) مج ٥ ع ٥. او
فصل المهاجرة واثرا الادبي ص ٦٨ من هذا الكتاب

(٣) راجع له «أغاني الضيعة» في جريدة الجمهور (بيروت) ١ ع ١١ - و«غروب لبناني»
في جريدة الجمهور (بيروت) ١ ع ٢٧. - ومنظومته «إليش» في جريدة كل شي ٢٥ حزيران ١٩٥٠

القرويين الى المدن من تأخر الزراعة التي هي ثروة الامة الحقيقية . ويكثر النوع الاول (أي الاشفاق على الفلاح) في الاقطار التي يسودها النظام الاقطاعي حيث تكون المزارع ملك أسياد قلائل وأكثر الفلاحين عمالاً لأولئك الاسياد . على أن الفلاح هناك قلماً يشعر بمبلغ انحطاطه وسوء حاله وهو عادةً مستسلم لاولي أمره لا يعرف إلا ما ألفه ودرج عليه . وأولو الامر قلماً يهتمون من شأنه إلا بما يعود عليهم بالخير والربح .

وانما يشعر بسوء الحال ويتألم من جرّاء الارهاق والاهمال فئة من ذوي الحسّ المرهف الذين قالوا نصيباً من المعرفة فتفتحت عيونهم وتأثرت قلوبهم ودفعتهم الغيرة الوطنية او الانسانية الى المدافعة عن الفلاح والمطالبة بحقوقه . كما فعل جميل الزهاوي في قصيدة له يذكر فيها سوء حال الفلاحين فيقول : « أشبعوا غيرهم وابتوا جيعاً »^(١) . وأحمد الصافي النجفي في قصيدته « الفلاح » حيث تلمس ألم نفسه لرؤيته الفلاح يكبد لا لخير نفسه بل لخير الملاك والمُرابي - يقول -^(٢) :

رفقاً بنفسك أيها الفلاحُ تسعى وسعيك ليس فيه فلاحُ
هذي الجراحُ براحتيك عميقة ونظيرُها لك في الفؤادِ جراحُ
عرقُ الحياة يسيلُ منك لائئاً فيزانُ منها للغنيّ وساحُ

وهنا يشتدّ انفعال نفسه لما يراه من جور الملاك وما يصيب الفلاح على يديه من عنت وهوان فيصبح والحق آخذ منه كل مأخذ :

يا غارسَ الشجر المؤمل نفعه دَعَهُ فانّ ثماره الاتراحُ
إقلعهُ فالثمر المذيد محرّمٌ للغارسين وللقويّ مباحُ

ثم يعدّد بلايا الفلاح وشتّى الآفات التي تصيبه الى ان يقول متحسراً :
باريفُ ان كتاب بؤسك مشكلٌ يعيا بجل رموزه الشرّاحُ

(١) راجعها في الرسالة (مصر) ٤ - ١٤٤ . - ومنها قصيدة لمحمود حسن اسماعيل موضوعها « نبي جائع » ديوانه « ابن المفر » ص ١٦٠ .
(٢) ديوانه « الأمواج » ٩ .

أطيارُ روضك غالها باز العدى وعدا على اسمائك التمساحُ
 ياريفُ ما لك شربُ أهلك آجن رَنَقُ وشربُ ولالة أورك راحُ
 ومن هذا الباب - بضعة فصول لاحد الزيات في كتابه «وحي الرسالة» .
 نذكر منها على سبيل التمثيل : الى القرية يا بك - جمعية نخضة القرى - ليالي
 الحصاد - القرية أمس واليوم . واليك بهض قوله (١) : « لا تزال القرية كما كانت
 في القرون الخوالي - اكواخاً متلاصقة غرقى في المناقع والدّ من لا تبصر
 الشمس ولا تنشق الهواء ولا تعرف النظافة . تكوّمت في قاعها أرواث البهائم
 وزرّق الدجاج ، وتراكم على سطعها حطب الوقود وعلف الماشية . وتقاسم الانسان
 والحيوان المضاجع في هذه الحظائر المشتركة ، ثمّ راض الفلاح نفسه مرغماً على
 الطعام الوخم والشراب الكدر والملبس الرث ذلك والعواصم المصرية
 تعيش في القرن العشرين تأخذ بمدنيّته وتقتبس من نوره وتنعم برفاهه كأنّ
 الصلة بين القرية والمدينة هي الصلة التي كانت بين العبد والسيد - يملك ولكن
 ملكه لسواه وينتج ولكن انتاجه لسواه » . وقريب من هذا كلمته المعنونة
 « بين الفقر والغنى » (٢) .

ومن الشعر المشفق على الفلاح الداعي الى الاهتمام بأمره قول أحمد محرم
 من قصيدة (٣) :

قل للجداول والزرّوع تحدّتي في غير ما وجلّ ولا إشفاقٍ
 ماذا يمارس من شدائد دهره من أنت كلّ رجائه ويلاقي
 ويلى على فلاح مصرٍ أما كفى ما ذاق من عنت ومن ارهاقٍ
 يُغني ألوف المتوفين بماله ويعيش في فقر وفي إملاقٍ

وعلى هذا الغرار قول فارس مراد سعد في قصيدة عنوانها « الحصاد » مشيراً
 الى الاغنياء وانهم لولا الفلاح لما كان لهم في الحياة غنى او مقام (٤) :

(٢) الرسالة ٧ - ٩٥

(١) وحي الرسالة ٥٧

(٣) الرسالة ٨ - ٦٥٩

(٤) راجعها في الجمهور (بيروت) ١ ع ٤٤ ، وراجع لنفس الكاتب مقالا في القرية - الرسالة

انّ الالى سمنوا بهالم يسمنوا لولا هزالك كادحاً وهزالي
 سمنوا بيبوتهم القصور وما اسمها في الحق غير سواعد العمال
 زعموا الانام عيالهم، وعيالهم وهم على الفلاح شرّ عيال
 وقول كمال بسيوني من قصيدته في الريف المصري يصف الفلاح وقد مر ذكرها
 جوعان عريان يكسوهم ويطعمهم ظمآن يسقيهم من دمه القاني^(١)
 وقد يتحوّل الاشفاق عند بعضهم الى روح عملية تهزأ بوصف الخياليين لمحسن
 القرية فيجعله اديب لبناني من باب الكذب والتخدير ويطلب من الناس أن
 يدخلوا القرى ويختبروا عيشة القروي ليروا بأمّ اعينهم ما فيها من فساد يجب
 اصلاحه ومن اقدار يجب ازالها^(٢).

والذي يلاحظ أن الهجرة من القرى الى المدن تزداد سنةً بعد سنة حتى
 صار يخشى على ثروة البلاد الزراعية. وذلك ما دفع بعض الادباء الى التحذير
 من سوء المصير، كما ترى في قصيدة لبشارة الحوري يقول فيها^(٣):

أبني أينما طال نوؤمكم تشقى النفوس وينعم البدن
 لا الحقل يبسم عن معاولكم فيه ولا تترنم المهن
 ذوت الرياض وماؤكم غمم وتعطلت من حلتها القن
 وخوت زرائبكم وكاث على جنبانها يتدفق اللبن
 عودوا الى تلك القرى فلقد سلختكم عن قلبها المدن

ونحمله الذكرى الى عهود القرية السالفة وما كان يسودها من مرح وهناء
 وكيف تبدلت حالها اليوم لنزوح أهلها. فيحمل على السياسة وحب الوظيفة
 وما يجد فيها الجلي من مغريات ليس منها الا الضرر على البلاد. والاقوال
 في هذا الباب كثيرة يتعدّد حصرها^(٤).

(١) الثقافة ١٠ - ٧٨

(٢) المكشوف (بيروت) ٢ ع ٦١. (٣) الجمهور عدد آب من السنة ١٩٤٠.

(٤) راجع منها: «غرفة الزهر» لمحمود حسن اسماعيل - الرسالة ٨ - ٨٢٣. - قصيدة لعلي شرف
 الدين. الرسالة ١ ع ٢١. - «العودة الى الريف» لفريدة شوكة. الرسالة ٢ - ١٣٤٩. - «مساء
 القرية» لمحي الدين درويش. الرسالة ٢ - ١٧٥٠. - «الفلاح» لفؤاد مراد سعد. الجمهور ١٩ ع ٣١
 والطليعة ٣ - ٤٨٦. - وقصيدة للدكتور احمد زكي ابو شادي في ديوانه «عودة الربيع» ١١٨.

الحسين: وهو عام في معظم الشعر القروي. وأكثره من قبيل التشوق الى مرح الصبا وعهود الحياة الاولى. والانسان في التفاته الى الماضي كثيراً ما ينسى أوقات الشقاء فتراه مغموراً بنشوة من ذكريات هنيئة. وذلك هو السبب في ما نشعر به من شوق الى ربوع قد لا نرغب الآن في استيطانها. وما أصدق ابن الرومي حين يقول:

وحبب اوطان الرجال اليهم ما رب قضاها الشباب هنالك
اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلك

من هذا القبيل كثير من القصائد الريفية في شتى الاقطار. كقصيدة لعل محمود طه في ديوانه الملاح التائه موضوعها « في القرية » نظمها حينئذ الى عهد قديم مصوراً فيها الريف قرب مدينة دمياط ومطلعها: (١)

غني بأودية الربيع وطوفي وصفي الطبيعة يا فتاة الريف
ومنها ذاكرآ عهوده الاولى:

اني لا ذكر حقلنا وليالياً أزهرن في ظلّ لديه وريف
ومراحنا بقرى الشمال وكوخنا تحت العرائش في ظلال اللّوف
ذكرى الطفولة أنت وحدك للصبا حلم يرفقه عنه بالتشويق

وبعد ان يعدّد ما مرّ في مخيلته من ذكريات سالفة يصف الغدير الذي كان يألفه ثم يقول:

يا حبذا هو من مراح للصبا والكوخ من مشتي لنا ومصيف

ومثل هذا الشعور يبدو في قصيدة لمحمد الاسمر «تمثّل حال قروي نزل المدينة فأنكر عيشها وحنّ الى قريته» (٢). وقصيدة لمحمود الخفيف موضوعها عند الثلاثين (٣) ولعلّ الاشواق القروية تصل الى أشدّ حرارتها في شعر المهاجرين اللبنانيين.

(١) الملاح التائه ١٨٩

(٢) ديوانه « تغريدات الصباح » ص ١٨٨ .

(٣) راجعها في الرسالة ٧ ع ٢٩٥

ففي المهاجر حيث تصطبغ أمواج المدينة الحديثة وحيث يشتد التنازع على الرزق ترى الشعر المهجري يشف عن شعور بوحشة الغريب المفارق وعن توق عميق الى الوطن القديم . وقد تناولنا ذلك في الفصل المخصص للأدب المهجري فلنبعثر هنا بالمثل التالي وهو يعكس لنا صوت مهاجر أسيف قد اوحشته الغربة فاشتاق الى قريته اللبنانية والحياة الهائلة فيها - وخاطب الفلاح الجبلي بقوله^(١) :

يا حاصد الزرع ألقِ الحبل والمنجلِ الشمسُ غابت وأستار الدجى تسدلُ
والله بارك يا فلاح ما تعمل فقل اذا أطربتنا رنة الجرس
ما أعظم الكون يا ربّي وما أجمل

حلّ السكون على الغابات والاكم والطير عادت الى الاوكرار في الأجمر
والنفس تافت الى الاحلام في الظلم فارجع الى الكوخ واجلس بين أولادك
ونمّ خليلاً من الاحزان والتدم

لو كنت تعلم ما القى من الزمن وما أقاسي من الاهوال والحن
لكنت تبكي على ناء بلا سكن يشتاق لبنان والاقدار تدفعه
عن الرجوع فواشوقي الى الوطن

الطبيعة

اذا كان الادب القروي يُعنى خاصة بحياة الفلاح والبيئة التي يعيش فيها فان أدب الطبيعة يُعنى بتصوير المشاهد الطبيعية والتعبير عما تثيره في نفس الانسان.

(١) « رباحين الأرواح » لأبي الفضل الوليد (طبعة ٢) ١٤٠ .

وليس وصف الطبيعة جديداً في الأدب العربي فقد عرفت جميع العصور الأدبية واشتهر به كثيرون من شعرائها كأمريء القيس وذو الرثمة وأبي نواس وأبي تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز والصنوبري وكشاجم وابن حمديس وابن خفاجة وابن الساعاتي وصفي الدين الحلبي وكثيرين سواهم^(١).

والوصف الطبيعي القديم (في الجاهلية وصدر الإسلام) وثيق الاتصال بالبيئة البدوية من قفار ورياح وأنواء ونبات وحيوان وما إلى ذلك . وهو عادة دقيق يميل إلى شرح الجزئيات . فاذا أراد الشاعر وصف حيوان كالناقة مثلاً أو كالحمار الوحشي صور لك أعضائه وألوانه وأوقفك على جميع حركاته وسكناته . وكذلك يفعل في وصف غير الحيوان بما يألفه ويعرف أحواله . ومن أمثلة ذلك وصف طرفة لناقته في نحو ثلاثين بيتاً من معلقته ، ووصف عبيد بن الأبرص للعقاب في مجمرته ، والنابغة للشور البهتي في داليتيه ، ووصف البوق والسحاب في قصيدة أوس بن حجر التي مطلعها « إني أرقم ولم تأرق معي صاح » والحمار الوحشي في بائيه ذي الرثمة « ما بال عينك منها الدمع ينسكب » . وقس على هذه الأمثلة كثيراً مما يضيق دونه هذا المقام .

ومن خصائص الوصف البدوي الصدق وعدم التصنع فهو عموماً عرض واقعي لا يعتمد إلى الزخرف اللفظي والتأنيق الصناعي الذي نراه شائعاً في عصور الحضارة . يرى الشاعر شيئاً فيعرضه كما هو بلفه قد نراها اليوم غريبة ولكنها جارية مع مجيئه منبعثة عن طبيعة بيئته .

وقد تطورت البيئة العربية بعد استقرار الملك العربي في الشام والعراق ومصر والاندلس فتطور معها الشعر الوصفي ، وهكذا انصرف عن الصحراء وأحوالها إلى الحواضر الجديدة وما تحويه من بساتين ومنتزهات وفواكه ورياحين ومجاري

(١) محمد عبد الفتي حسن مقال في المقتطف ٩٩ - ١٦٣ موضوعه بقاع الجمال ، نجد فيه كثيراً من الشواهد على هذا النوع من الشعر .

مياه وما الى ذلك من ظواهر الحياة المدنية^(١). ولا بد لنا هنا من التنبيه الى فرق واضح بين أسلوب الوصف البدوي القديم وهذا الوصف الحضري المولد. ففي الاول كما ذكرنا آنفاً يغلب الصدق والبساطة في التصوير. وأما الثاني فتبرز فيه الصناعة الفنية التي تتعمد إلباس الموصوف برداً قشيباً من الخيال. ولقد تمادى المولدون في حرصهم على ابتداع المعاني البيانية حتى طغت الصناعة عندهم على صدق العاطفة فأصبحت الطبيعة في كثير من الاحيان وسيلة لظهور براعتهم الفنية ومقدرتهم على التوليد. وهذا ما يذهب اليه ايضاً احمد امين في مقاله مستقبل الادب العربي^(٢).

وأظهر ما جروا عليه في الوصف طريقة التشبيه وهي طريقة تعد من محاسن الشعر في كل زمان ومكان اذا جرت مع الطبع ولم تُشَبَّ بالتعمل والتكلف. ومن أمثلتها قول ابن المعتز يصف بستاناً^(٣):

اما ترى البستان كيف نوراً ونثر المنشور بُرداً أصفراً
وضحك الورد الى الشقائق واعتنق القطر اعتناق الومق
وياسمين في ذرى الاغصان منتظماً كقطع العقيان
وفرَج الحشخاش جيباً وفقْ كأنه مصاحف بيض الورق
حتى اذا ما انتشرت اوراقه وكاد أن يشاد ريتاً ساقه^(٤)
صار كأقداح من البلور كأنما تجسست من نور

ولا تزال هذه الطريقة الى الآن من اكثر الطرائق شيوعاً في وصف الطبيعة. ويتوقف جمالها على روعة العلاقة التي تربط المشبه بالمشبه به وعلى حسن التعبير عن تلك العلاقة.

على اننا اذا انعمنا النظر في وصف القدماء عموماً للطبيعة وقابلناه بما استجدت

(١) الأستاذ المستشرق غوستاف فون غرونوم بحث دقيق في تطور الوصف الطبيعي عند العرب حتى أواخر القرن التاسع للميلاد. راجعه في Journal of N. E. Studies, July 1943

(٢) راجعه في الثقافة ٦ ع ٢٧٨.

(٣) من أرجوزة في ديوانه (بيروت) ٣٠٧.

(٤) في الديوان وكاد أن يرى الينا ساقه. ويشاد بمعنى يندى

في ادبنا الحديث من ذلك وجدنا من الفرق بينهما ما لا نجد بين الشعر القديم (الجاهلي) والشعر الموّلد في العهد العباسي والاندلسي . فالطبيعة في الشعر القديم لم تتخذ موضوعاً خاصاً وانما كانت الشاعر يعرض لها في سياق غرض آخر كالغزل او المديح او الفخر . وكان يكتفي بأشكالها الخارجية لا يتجاوز الافق الحسي المشاهد الى ما هو ابعد واعمق . وبكلمة اخرى لم ير في الظواهر الطبيعية ما يحمله على التأمل العميق وما يوحي اليه المعاني الخالدة والافكار السامية . ولم يتغير الموقف في الشعر الموّلد تغيراً يصح ان يسمى اتجاهاً عاماً . فظلت الطبيعة عند الموّلدن وسيلة لا غاية ومعرضاً لمشاهد جميلة لا مصدراً لايحاءات روحية . اما الادب الحديث فلم يقف عند حد المشاهد التي تبهج النفس بل اتجه اتجاهاً عاماً الى ما للطبيعة من وجود معنوي يلدّ للخيال الجولان فيه ويروق للفكر ان يسمو اليه .

ولهذا النظر الحديث الى الطبيعة خصائص نحاول شرحها فيما يلي :

قد يقال ان الوصف الحديث للطبيعة يمتاز بملاحظة ما لا يؤبه له عادة كاختفاء السنبلة وتفتح البراعم وتبعثر اوراق الخريف وربوض البقرة تحت الشجرة واختباء الفراخ تحت جناحي امها وتجاوب الاجراس في الوادي ولون العشب الداوي وغير ذلك من مشاهد طبيعية متواضعة، وانه يرتاح الى الطبيعة الساذجة (البرية) دون المصطنعة المنمّقة . فهو يؤثر الغاب على البستان، وشواهد الصخور على اسوار الحصون، وبحيرات الجبال على برك القصور، ورمال الشواطىء والصعاري على الساحات المعبّدة في المدن او النوادي، والمجاري الطبيعية المتدفقة بين السهول والهضاب على الترع المحفورة لري الحقول والمزارع . بل انه ليرى روعة خلابة في ما كان يهول القدماء كصخب العواصف وطغيان السهول وانقراض الشلالات وقصف الرعود وتجهّم الفدافد ووحشة الدياجي وتلاطم اللّجج وما اشبه . وفي هذا القول شيء كثير من الصحة . على ان ذلك عند التحقيق ليس الفارق الرئيسي الذي يميز ادب الطبيعة في هذا العصر عنه في العصور السالفة وانما يميزه ما تقدمت الاشارة اليه من ان الادب الحديث ينظر الى الطبيعة نظراً معنوياً يتجاوز افق المشاهدات .

وبما لا شك فيه ان التصور المعنوي الذي تثيره المشاهد الطبيعية هو اقوى واعمّ في ادبنا الحديث منه في اي عصر من عصورنا الماضية . ولهذا التصور او النظر المعنوي نزعات نجملها في الاثنتين التاليتين :

النزعة الحيوية : وهي اعتبار الطبيعة ذات حياة وروح يمكن مخاطبتها ومناجاتها ومبادلتها الافكار والعواطف .

وليس من الصواب القول ان الادب القديم خلو من مثل هذا النظر او الشعور . فقد طالما وقف القدماء على الطلول فبنوا لها اشواقهم وسألوها عن أحبابهم . وانما فعلوا ذلك في الاغلب تمهيداً لبعض اغراضهم وجرياً على اتباع السنته الشعرية التي كانت تقتضي الابتداء بالغزل . ومنهم من انطق الطبيعة ونسب اليها التأمل والتفكير كما فعل ابن خفاجة الاندلسي في قصيدة يصف جبلاً فيقول^(١) فيه :

وقور على ظهر الفلاة كأنه طوال الليالي مُفكرٌ في العواقب

فهذا الجبل عند الشاعر ذو فكر وتأمل، بل هو ايضاً ذو عواطف وذكريات ولذلك نسمعه يقول :

فكم مرّ بي من مُدليجٍ ومأوّبٍ وقال بظلّتي من مطيٍّ وراكبٍ
فما كان الا ان طوتهم يد الردى وطارت بهم ربيع النوى والنوائب
فحتّى متى أبقي ويظعن صاحبٌ اودّع منه راحلاً غير آيب
وحقّ متى أرعى الكواكب ساهراً فمن طالعٍ اخرى الليالي وغائب
فرحمك يا مولاي دعوة ضارعٍ يمدّ الى نعيمك راحةً راغب

وكانّ الشاعر اذ يسمع هذا الكلام من الجبل يتأثر به ويعلق عليه بقوله :

فأسمعني من وعظه كلّ عبّرة يترجمها عني لسان التجارب

وهناك قبل ابن خفاجة وبعده من خاطب الطبيعة من جمادات واحياء وجعل لها لسان العقلاء

(١) ديوان ابن خفاجة ٢٧ . وهذا الشاعر معروف بوصفه الطبيعة .

فامرو القيس في معلقته يقول للذئب :
فقلت له لما عوى انت شأنا قليل الغنى ان كنت لما كمول
كلانا اذا ما نال شيئاً افاته ومن يحترث حرثي وحرثك يهزل
وعبد الرحمن الاموي يخاطب النخلة بقوله^(١) :

يا نخل انت فريدة مثلي في الارض نائية عن الاهل
واسد المتنبى في لاميته المعروفة - في الحدة ان عزم الحليط رحيلاً - اسد
يشعر ويفكر ويخاف العار فلا يحسب للخطر حساباً .
وقس على هذه الامثلة ما لا يخلو منه عصر من العصور الادبية السابقة .
على اننا نعيد القول ان ما تجده من ذلك فيما مضى لم يبلغ ان يكون
اتجهاً عاماً او باباً مستقلاً يلجج الادباء ليتصلوا بالطبيعة فيسجدوا في هيكلا
ويحملوا اليها منه ما توحى به من جمالها واسرارها . او على الاقل لم يبلغوا في هذا
السبيل شأوا زملائهم في القرن العشرين .

ان الطبيعة في الادب الحديث « حيوية » عاقلة بحسب بضربات فؤادها ويسمع
رخيم انشادها ويلد له التحدث الى انهارها وغاباتها وجبالها ووهادها . وعلى حد
قول العقاد « هي قلب نابض وحياة شاملة ونفس نحن اليها ونأنس بها وذات
نساجلها العطف ونجاذبها المودة^(٢) »

وكذلك قول شفيق جبري^(٣) من مقال موضوعه بركة البعثري وبحيرة لامارتين -
« فالفرق بيننا وبين الافرنج انهم اتصلوا بالطبيعة بارواحهم وحواسهم فخلقوا لها
قلباً يشعر شعورهم وعيناً تبكي بكاءهم وصدرها يفرح فرحهم واذا كان في بعض
شعرنا شيء من اشباه هذه النزعات فهذا شيء قليل » . الخ

ويمثل لك ذلك جبران جبران اذ يقف امام « الارض » مقابلاً محاسنها بقبايح
الانسان فيقول^(٤) « ما اجملك ايها الارض وما ابهاك . ما اتم امتالك للنور
وانبل خضوعك للشمس . ما اظرفك متشعة بالظل وما املح وجهك مقتعاً

(١) مختارات من الشعر الأندلسي تحقيق نيكال ٩ .

(٢) الرسالة ٦ - ١١٠١ . (٣) في مجلة الثقافة ١ ع ١٠ .

(٤) راجع مقاله « الأرض » في مجموعة الرابطة القلمية (نيوبورك) ١٨٢ .

بالدجى . ما اكرمك ايتها الارض وما اطول اناذك ! نحن نضج وانت تضحكين . نحن نذنب وانت تكفّرين . نحن نجذف وانت تباركين . نحن ننجس وانت تقدسين . نحن نكلّم صدرك بالسيوف والرماح وانت تغمرين كلامنا بالزيت والبلسم . نحن نستودعك الجيف وانت تملّين بياهرنا بالاغمار ومماصرنا بالعناقيد . نحن نتناول عناصرك لنصنع منها المدافع والقذائف وانت تتناولين عناصرنا وتكوّنين منها الورد والزنايق ! » .

فهذا باب في مناجاة الطبيعة لم يطرقة القدماء كما طرقة المحدثون وهو يدور كما ترى على تأمل فيها عميق ووصف لها مقصود لذاته لا لسواه .

ولشكر الله الجرّ قصيدة في شلال في البرازيل يدعى « تيجوكا » وهي ايضاً من باب الوصف التأملي الذي تشعر فيه بحيوية الطبيعة . ومن ادوارها (١) :

غسلتُ بمائك عيني وعدتُ فأبصرتُ ما الناسُ لا تبصرُ
فبالله قل لي إلامَ تظللُ كذلك تجتاحك الأعصرُ
وأنت تكرّرُ كرور الزمانِ فلا تستقرّ ولا تفتّر
وهذا الوجود كما كان قبلُ شعوبٌ تجيءُ وأخرى تروحُ
ودنيا تضحُ بسكّانها فهذا يغني وهذا ينوحُ
وذلك مستسلمٌ للقدَرُ

وكثيرة هي وقفات الادب الحديث على الطبيعة اللاحية من جبال واودية وانهار وقفار ونجوم ورياح وبحار حتى لبتعذر حصرها .

وكما سُغف الادب الحديث بالطبيعة اللاحية فأحيّاها وجعلها ذات شعور وادراك ونظر مستوحياً منها الافكار والخواطر والعبر، سُغف ايضاً بالطبيعة الحية من نبات وحيوان فجعلها موضوعاً لتخيّلاته وتأمّلاته ، ووسيلةً للتحدّث عما يتجلّى له في حياته .

ففي عالم النبات مثلاً يقصّ علينا جبران جبران حديث البنفسجة التي كانت تطمح ان تكون وردةً ، فيصف لنا شعورها وآمالها وما آل اليه مصيرها (٢) .

(١) المقطف ٨ : ٤١٢ .

(٢) راجع ذلك في كتابه العواصف ٢٢٦ .

وهو يرمز بذلك الى كل طموح يودّ الخروج من بيئته الضيقة الى بيئة ارحب واسمى، وان هذا الطموح او هذا السعي الى الاسمى هو السعادة ولو كانت نهايته الموت.

ويمن استخلص من البنفسجة موضوعاً انسانياً خليل شيبوب اذ وصف جماعها وتواضعها فقال^(١):

قد التحفت اوراقها وتطامنّت على نفسها في رقة وتواضع
مكحلة الاجفان يقضي حياؤها عليها باغضاء اللحاظ الخواشع
وهل كبرياء الدّوح تعدل نظرة المومة في ثوبها المتواضع

ثم استطرد الى وصف الحياة البشرية مقابل المتكبرين بالتواضعين ذا كراً معائب الكبرياء الفارغة وانما تدلّ على خلوّ النفس من الجمال الحقيقي :
وأكثر هذا الناس زهرٌ بلا شذى ومرأى بلا حسنٍ ووقرٌ مسماعٍ

وفي غابة من غابات البرازيل يمرّ الشاعر القروي مرةً فيرى دوحة عظيمة قد طرحتها على الارض يد الانسان فيحدثنا حديث تلك « الدوحة الساقطة »^(٢) وشكواها من جور الانسان . وفي هذا الحديث تذكر لنا الشجرة شيئاً عن حياتها ونشأتها وكيف نمت حتى اصبحت كثيرة الاغصان وارفة الظلال تأوي اليها الطيور ويقصد ظلها طلاب الراحة . ثم تصف عالم النبات وانه هو موطن المساواة والخيول لا عالم الانسان الموبوء بالطمع والفساد القائم على التعمدي والتدمير . وبعد ان تنعي نفسها الى اشجار الغاب يتناول الشاعر الحديث مستطرداً الى وصف الدوحات البشرية (اي النوابغ) وما يصيبهم بين الناس من هوان وعناء . وتعود الشجرة الى حديثها فتختمه بكلمة فخر تحاطب بها الانسان قائلة : انت ايها الانسان تعيش قليلاً ثم تموت فتصبح رمةً بالية لا خير منها اما انا فأعيش طويلاً واذا مت ففائدي لا تنقطع - مني تبني الجسور وتصنع أعمدة الكهرباء ومني تعمل شتى الادوات والاواني اللازمة لتقدم العمران

(١) ديوانه « القرويات » ٧٩ .

(٢) المقتطف ٧٨ - ٢٩٤ .

وعلى هذا الفرار قصيدة لضياء الدين الدجيلي يقول فيها للشجرة انت رمز
الاحسان والعمل الصالح ما لوئتك دنيا الشرور . ويندد فيها بظلم الانسان طالباً
من الاشجار ان تتوقاه وترتفع عنه^(١) .

ومن الشعر التأملي المستوحى من عالم النبات قصيدة « الورقة المرتعشة »^(٢)
لرشيد ايوب . يرى الشاعر ورقة من اوراق الخريف فتثير فيه وقد دنت شمسها
للمغيب خواطر وذكريات ويخاطبها بقوله :

ابنت الربيع استويحي غداً فكلّ الهباء لمن لا يعي
قضيت الربيع وكلّ الحيا ة زمان الربيع فلا تجزعي
فماذا اقول انا في الشتا ء وصوت العواصف في مسمعي
ابنت الليلي ارفعى النجوم وان نمت فامت همومي معي

ومنها :

ابنت الربيع الى الملتقى فلا أمنّ الا بحضن التراب
ولا تسألي السرّ في ذي الحيا ة ففي الابدية فصل الخطاب

والشعر الحديث المستوحى من الطبيعة النباتية شعر كثير ومثله المستوحى
من الطبيعة الحيوانية - عالم الطيور والحشرات وحيوانات البر والبحر . واليك
منه بعض الامثلة :

ينظر الشاعر المصري محمود حسن اسماعيل الى الغراب وهو واقف على غصن
شجرة من اشجار النخيل . فيتصوره « راهباً » كبير السن واسع الاختبار .
وعوضاً عن ان يتطير منه كما يفعلون عادة يتلطّف في الاقتراب اليه ثم يلقي
عليه امثلة عما لم يستطع فهمه من امرار الحياة راجياً منه ان يحلّوله اسرارها
ويكشف استارها . وهذه الاسئلة ليست في الحقيقة الا ما يساور نفس السائل
لدى تأمله في حياة الناس واحوالهم . وقد اتخذ الغراب وسيلة للتحدث عنها

(١) الثقافة ٩ ع ٤٥٧ .

(٢) ديوانه « هي الدنيا » ٧١ . ٥٥٠ (١٩٥٠) .

والتعبير عن رأيه فيها^(١). وفي الحريف يرى ايليا ابو ماضي فراشة وقد دنا اجلها فيجعلها موضوعاً لقصيدته «الفراشة المحتضرة». ومن هذه القصيدة قوله مخاطباً تلك الفراشة^(٢):

فالزهرُ في الحقل اسلاء مبعثرةً والطير - لا طائرٌ الا جناحاك
يا روضةً في سماء الارض طائرةً وطائراً كالاقاعي ذا شذاً زاك
مضى مع الصيف عهدٌ كنت لاهيةً على بساطٍ من الاحلام ضحكاك
تمسين عند مجاري الماء نائمةً وللازهار والاعشاب مغدالك
يا نعمةً تتلاشى كلها بعدت ان غبت عن مساعي ما غاب معنالك
وفي الفراشة قول غير قليل^(٣).

ويسمع احمد رامي طائراً يفرّد تغريداً شجياً وهو يتنقل من غصن الى غصن فيغبطه لانه بعيد عن الناس ويقول له^(٤):

واصدح فصوتك في الفؤاد صدًى للغباب المدفون من زماني
لك اتنة في الليل خافتة تسري الى قلبي بلا أدب
هبني جناحك كي اطيرو به واحط فوق شواهد الفن
وأطل فوق الكون مبتهجا بجماله المتناثر الحسن

ولماذا يطلب الشاعر ذلك؟ لانه يشعر او يتوهم ان حياة المدن قد غمرت بالبقاء الملازم وان لا سعادة له الا في الطبيعة حيث النهر الجاري والزهر العاطر والمناظر المبهجة التي تنسي الانسان همومه وآلامه. ففي المدن:

لا مغربٌ ارنو لمشهده والافق يطوي الشمس في كفّن
او مشرقٌ والارض قد نفضت عن عينها ثقلًا من الوسن
او طائرٌ يشدو فيطربني الا نعيم البوم في الدمن

(١) راجع قصيدته «راهب النخيل» في ديوانه «هكذا أغني» ١٧٩.

(٢) ديوانه «الحنائل» (طبعة ثانية) ٣٥.

(٣) راجع مثلاً مجلة الكتاب ٤ : ٣١ : قطعة لعلي أحمد سعيد. والجمهور (بيروت) ١ ع ١٥

موشح من الشعر العامي لميشال طراد.

(٤) ديوانه ٥٩.

ومن هذا القبيل موشح للشاعر العراقي محمود الجبوري استوحاه من تغريد طائر على شجرة فجداه ذلك الى وصف الحياة والناس متمنياً لو كان للبشر نصيب من حياة الطائر المرححة الوديعه لعلمهم يرجعون الى صوابهم وينبذون ما أفسد عليهم سعادتهم^(١).

ولو اردنا ان نعدّد الامثلة على ما للطبيعة الحيّة من اثر في ادبنا الحديث لطال بنا سفر الكلام.

وللشاعر المصري محمد الممشري شعر كثير في الطبيعة ومنه القطع التالية^(٢):
النارنجة الذابلة - اغنية النخيل - عودة الشاعر الى قريته - اليامة - المفرد - الى الفجر.

وكذلك للشاعر محمد عبدالرحيم ادريس ففي ديوانه « ظلال النخيل » يكثر تغنيّه بالظلال والاصيل والزروع والنخيل والصحراء والنيل.

النزعة التاريخية : ولم يكتف ادباء هذا العهد بمناجاة الطبيعة وبشّها ما يشعرون به، بل كثيراً ما تراهم ينظرون من خلالها الى التاريخ حيث يتجاسى لهم جلال القدم وحوادث الزمان. والذي يلاحظ ان هذه النزعة تكاد تكون مفقودة في ادبنا الماضي. ومن امثلتها قصيدة احمد شوقي « ايها النيل » ومطلعها^(٣):

من ايّ عهدٍ في القرى تتدفّق وبأيّ كفٍّ في المدائن تُغدّقُ
ومن السماء نزلت ام فُجّرت من عليا الجنان جداولاً تترقّقُ

وفي هذه الوقفة التاريخية يصف النيل وصفاً مسهباً ذا كراً ما قام على ضفافه من بمالك واديان ومن مشى عليها من انبياء وفاتحين، وانه كان مهد الحضارة والعلم وموئل الحكمة ومصدر النور. ومن وصفه :

انت الدهور عليك مهذّبٌ مترعٌ وحياضك الشّرقُ الشّبه دُفّقُ
تُسقي وتُطعم لا إناؤك ضائقٌ بالواردين ولا خوانك ينفقُ
والماء تسكبه فيُسبّك عسجداً والارض تُغرقها فيجيا المُغرقُ

(١) راجع هذا الموشح العامر في مجلة الغري (النجف) السنة ٨ ع ١٣.

(٢) تجدها في روائع شعراء الجيل لمحمد فهمي.

(٣) الشوقيات ٢ : ٧٧.

أصل الحضارة في صعيدك ثابت ونباتها حسن عليك مخلّق
وُلدت فكنت المهّد ثم ترعرعت فأظلمها منك الحفيّ المشفق
والنيل نهر عظيم فلا بدع ان يكون موضوعا لكثير من الشعر والنثر.

ومن الانهار الشرقية الموحية للذكريات التاريخية : الفرات ودجلة والاردن
والعاصي وبردى واليوموك ونهر الكلب قرب بيروت وسواها . ومن البحيرات
طبريا والبحر الميت .

ولا تقتصر الوقفات التاريخية على الانهار والبحيرات بل تتناول ايضاً الجبال
والاودية كجبل الشيخ (حرمون) والكرمل وطور سيناء ووادي موسى
(بيترا) وسواها .

وكما يتأثر الادب الحديث بالطبيعة الشرقية يتأثر بالطبيعة الغربية . وقد نشر
الشاعر محمد عبد الغني كلمة في الرسالة موضوعها « شعراء الشرق والطبيعة
الغربية »^(١) ذكر فيها ان كثيراً من شعراء الشرق الذين عرفوا البلدان الغربية
تغنّوا بمحاسن الطبيعة هناك . ومنهم ايليا ابو ماضي وميخائيل نعيمة وشكرا الله
الجرّ وبشر فارس والشاعر القروي وفخري ابو السعود . وأشار الى بعض قصائد
له نشرت في مجلة المقتطف^(٢) . وقد اصاب في ما ذهب اليه وانا نضيف الى
ما ذكر الوقفتين التاليتين للمؤلف : « على نهر التامس » في لندن^(٣) و « على نهر
السين » في باريس^(٤) ، وشلالات نياغرا لرباض المعلوم^(٥)

وفي ادب المهاجرين وغير المهاجرين اقوال كثيرة من هذا القبيل .

(١) الرسالة ٧ - ٢٣٢١ .

(٢) منها - ديفون الجميلة - ارض شكسبير - بحيرة دندرمير - القرية النائية - ثلاجة الجبل الابيض

(٣) راجعها في المورد الصافي ٧ - ١١٠ ومجلة الكلية ٨ - ٣٨ .

(٤) راجعها في الهلال ٢٩ - ٣٦١ ، والمورد ٦ - ٣١٨ .

(٥) ديوانه « خيالات » ٢٢ .

واننا نلفت النظر الى القطع التالية لمن يود زيادة الاطلاع على شعر الطبيعة في هذا العصر .

- وفاء النيل - المهراري - في المقتطف ٥٣ - ٣٩٧
 ايها النيل - العقاد - ديوانه ٢٢٤
 على الغراف - علي الشريقي - في حلبة الادب للنجفي ١٩
 بردى والتاريخ - علي الطنطاوي - كتابه « في بلاد العرب »
 الفرات الطاعني - مهدي الجواهري - ديوانه ٢٩٣
 مساقط الماء - احمد زكي ابو شادي ؟
 على جبل طارق - احمد غفور العطار - ديوانه الهوى والشباب ٦٤
 على الفرات - مجلة الكلية (بيروت) ٥ - ١٨٣^(١)
 على دجلة - المورد الصافي ١٠ - ١٤
 على اليرموك - مجلة الهلال ٢٩ - ٢٦٥
 على العاصي - المورد الصافي ٣ - ٧٦
 على بردى - المورد الصافي ٤ - ٥٤
 على الاردن - المورد الصافي ٤ - ٥٥
 على سلاات دفتي - الكلية ٣ - ١٨٤ . والمورد ١٤ - ١٢٥
 على البحر الميت - الكلية ١٥ - ٢٥٨ . والمورد ٤ - ١٥٦
 على حرمون - الهلال ٢٨ - ١٠٧
 على الكرمل - الهلال ٢٩ - ٧٨٨
 مهرجان الربيع - خليل شيبوب . الرسالة ١٥ - ٥١٣
 الغدير - لبرهيم زكي في الرائد الممتاز . السنة ١٩٢٨ ص ٣٧
 الراعي شاعر السهول - حسين محمود البشبيشي . الثقافة ٧ عدد ٣٣٤
 من وحي الصحراء - لكامل امين محمد . الثقافة ٧ ع ٣٤٠
 ديوان شاعر البواري - راجعه في الثقافة ٩ ع ٤٤٤ ص ٢٢
 وقفة على النيل - لمحمود حسن اسماعيل . في ديوانه « من نبع الحياة » ص ٦١

(١) هذه الوقفة والتسمع التالية لمؤلف الكتاب .

- النيل - تونيمه الدهر . قصيدة لعلي شرف الدين في الثقافة ٥ ع ٢٣٥
 الربيع - لمصطفى الرافعي . الرسالة ٤ - ٦٨٣
 امام الشجرة - لمحمود محمد شاكر . المقتطف ١٠٢ - ٢٨
 السنبلة - ايليا ابو ماضي . المقتطف ٦٦ - ٤٨٨
 الحفّاش - لعمر ابو قوس . الرسالة ٨ - ٦١
 حمامة الغار - لمحمود حسن اسماعيل . الرسالة ٧ - ٥٥٥
 الوراق - عدنان مردم بك . المقتطف ١٠٢ - ٤٢٠
 الحمامة الضائعة - محبوب الشرتوني . ديوانه ١٤٢
 فاجعة الروض - امجد طرابلسي . الرسالة ٤ - ٤٦٩
 الطائر السجين - محمود الحفيف . الرسالة ٢ - ١٩٨٦
 الجبون (الفرد) - عباس العقاد . ديوانه عابر سبيل ٢٠
 الاسد السجين - جبران جبران . العواصف ٢١
 البلبل - عبداللطيف النشار . الهلال ٢٦ - ٤٨٨
 في الربيع - اشواق علي نهر السين لمحمود صابر في الرسالة ١٥ - ٨٧٧
 الحمامة الطريدة - لمحمود الحفيف . في الرسالة ١٦ - ٢٢٥
 الدوحة الداوية - لمحمد محمد علي . في الرسالة ١٦ - ١٠١٨
 ملهمتي الخالدة - لمحمد الصادق مسعود . في الثقافة ١٠ عدد ٥٢٠

أثر العرب في أدبنا الحديث

سبق للعرب قديماً ان اتصلوا بما أنتجه الفكر الغربي . وهذا الاتصال يرجع الى ما قبل الاسلام . على اننا لانراه جلياً او على نطاق واسع الا منذ اواخر القرن الاسلامي الاول (السابع الميلاد) . وقد بلغ غايته في بيت الحكمة ببغداد أيام الخليفة المأمون . وكان بيت الحكمة هذا عبارةً عن معهد علمي يرعاه الخليفة بعنايته وينفق الاموال الطائلة في سبيله . واهم ما كان يقوم به ترجمة العلوم والفلسفة عن اليونانية وغير اليونانية . وقد تم فيه نقل كثير من المؤلفات الطبية والرياضية والطبيعية والفلسفية . وعُني الذين درسوها بشرحها والتعليق عليها وتميّت لهم مع الزمن أسباب التوسع فلم يقصروا في وضع الكتب التي اصبحت من أسس البحث والدرس في معاهد القرون الوسطى .

وليس غرضنا الآن ان نؤرخ هذه الحركة العلمية وان نخوض في شرح هذا التبادل الفكري القديم بين الشرق والغرب فهو معروف وما كتب فيه بالعربية وغير العربية كثير متداول^(١) . وانما غرضنا هنا ان نقرر ما ذهب اليه الباحثون من ان العرب مع اهتمامهم وعنايتهم بعلوم اليونان وسواهم لم يعنوا بتصوراتهم الفنية او بأبهم لآدابهم اللغوية . فبقي الادب العربي منعزلاً منطوياً على ما نشأ عليه قلما يرى شيئاً خارج بيئته . وفي ذلك يقول احد كتاب العصر المعروفين^(٢) - « ولو شاء الله لادبنا الكمال من نقصه لاهم المترجمين في عصر المأمون ان ينقلوا روائع الادبين الاغريقي واللاتيني من الشعر والقصص والروايات والملاحم كما نقلوا العلم والحكمة . »

ولعدم عناية العرب القدماء بأداب اليونان اسباب مختلفة منها لغوي ومنها ديني ومنها عمراني فلترك شرحها لمؤرخي ذلك العهد ولنتقدم الى موضوعنا الخاص -

(١) راجع من ذلك - كتاب Legacy of Islam - Arnold & Guillaume وكتاب تراث العرب العلمي لقدري طوقان .

(٢) احمد الزيات في الرسالة (مصر) ٤ - ١٧٢٢

نمضتنا الادبيّة الحديثة - لنرى مدى اتصالها بالحضارة الغربيّة ومدى الاثر الذي أحدثه هذا الاتصال .

لا مرأ ان احتكاك الامم المختلفة بعضها ببعض ممّا يوسّع آفاق التفكير وينوّع مصادر الایحاء . فالعرب مثلاً لما خرجوا من جزيرتهم فاتحين واحتكوا بحضارات الامم التي غلبوها لم يبقوا على ما كانوا عليه من حال البداوة والجهل بل تطوّروا اجتماعياً وفكرياً اذ اقتبسوا الكثير عن سواهم فساروا شوطاً ابعد في مضمار الرقي والتقدم . واعتبر ذلك ايضاً في سواهم ، كالقبائل الجرمانية التي غزت الامبراطورية الرومانية ثم امتزجت بسكانها الاصليين ، والموجات الصليبية التي حاولت غزو الشرق ووطدت اقدامها حيناً على سواحل بحر الروم الشرقية وما يجاورها . وفي تاريخ البشر شواهد كثيرة على هذه الظاهرة الاجتماعية التي تكاد تكون قاعدة عامة لا شذوذ فيها .

وقد أتيح للادب العربي الحديث منذ اوائل القرن الماضي ان يتعرّف بالحضارة الاوروبية وان يُطلّ بواسطتها على آفاق جديدة في الحياة . وكان ذلك عن طريقين رئيسيتين . الاول طريق الترجمة اي نقل منتجات الفكر الغربي الى اللغة العربية ، والثاني طريق الاطلاع المباشر على ما نشر في لغات الغرب من شتى العلوم والآداب .

اما الترجمة فقد تناولت اولاً المواضيع العلمية والفنيّة من طبيّة ورياضيّة وطبيعيّة وحربيّة . واول من عُني بذلك ادباء مصر في عهد محمد علي الكبير ثم في عهد حفيده اسماعيل واشهرهم رفاة الطهطاوي^(١) (المتوفى سنة ١٨٧٣) . ومن كبارهم محمد عمر التونسي الذي وضع معجماً للمصطلحات الطبيّة والاطبياء^(٢) وهناك رهط من علماء ذينك المهدين نجد شرح اخبارهم واعمالهم في الكتب المختصة

(١) راجع الهلال ٤٥ - ٤٥١ و ٤٨٩ .

(٢) تاريخ آداب اللغة لزيدان ٤ - ٢٠٦ .

لذلك^(١). وقد ذكر احد الثقات ان ما نشرته مطبعة بولاق بين ١٨٢٢ - ١٨٤٢ بلغ ٢٤٣ كتابا عن اللغات الاوروبية^(٢). وان تلاميذ مدرسة اللسان التي كان يرأسها رفاة الطهطاوي ترجموا نحو الفي كتاب الى العربية والتركية^(٣).

اما خارج مصر فقد كانت بيروت اهم مركز لنقل العلوم الاجنبية الى اللغة العربية. ففي سنة ١٨٦٦ انشئت الجامعة الاميركية في بيروت وكانت في اول عهدها تستعمل العربية لتدريس الطب وسائر العلوم فاضطر اساتذتها وفي مقدمتهم فاندريك وورتيات وبوسط الى ترجمة او وضع عدد من المؤلفات العلمية باللغة العربية. وكذلك فعل اساتذة المعاهد الاخرى وظلت حركة الترجمة نشيطة فيها حتى عدل عن استعمال العربية للتدريس العلمي وصار المدرسون والطلبة يرجعون رأساً الى المؤلفات الافرنجية. وذلك نفس ما حدث في مصر بعد الاحتلال^(٤).

بيد ان حركة الترجمة لم تنقطع اذ تناولها الكتاب ومحررو الصحف يروون بها ظمناً الجمهور الذي اخذ يتعطش للمعارف الجديدة^(٥). واقدام المجلات الحية التي عنيت بذلك واشهرها مجلة المقتطف التي انشئت سنة ١٨٧٦ في بيروت ثم انتقلت الى مصر في سنتها التاسعة، وكانت ولا تزال صلة وصل بين الثقافتين الغربية والشرقية. وهناك عشرات غيرها من الصحف التي ساهمت في هذه الخدمة الثقافية^(٦). ولا نبعد عن الحقيقة اذا قلنا ان اكثر ما كان يقدم لجمهور القراء منذ اواخر

(١) من اراد ان يعرف بتفصيل اخبار المترجمين منذ ايام محمد علي الى القرن الحالي فليراجع ما يلي - كتاب « حركة الترجمة في مصر خلال القرن التاسع عشر » لامين المكتبة الملكية الخاصة جاك تاجر والجزء الرابع من كتاب « تاريخ اداب اللغة لزيدان من ص ١٨٦ الى ٢١٧ .

(٢) هيوارث دن في المقتطف ١٠٣ - ٢٩٣ .

(٣) ا. ه. ر. ج - مجلة الطريق (بيروت) ٢ ع ١٥ ص ٧ .

(٤) راجع مقال البشري في الهلال ٤٥ - ٦٤٤ .

(٥) راجع في الهلال ٣٥ - ٥٧١ مقالا لمحمد كرد علي يثبت فيه طائفة كبيرة من نقلة العلوم والآداب الافرنجية .

(٦) راجع في الجزء الثالث من حوليات معهد الدروس الشرقية في الجزائر مقالا للمستشرق الافرنسي هنري بريس، وفي مجلة الرسالة مقالا لاجد الزيات ٤ - ١٨٦٢ . وراجع ايضا مجلة الزهور ١ - ٦٨ .

القرن الماضي حتى اواخر الثلث الاول من القرن الحاضر هو من قبيل الترجمة والاقتباس . وقد اصاب من قال : ان القرن التاسع عشر كان بالنسبة لحركتنا الفكرية الحديثة عصر ترجمة وان هذا العصر لا يزال يمتد الى اليوم (١٩٣٦) (١) . ولنمثل على ذلك بالقصة العربية فقد جمع امين دار الكتب في بيروت معجما لها اثبت فيه نحو عشرة آلاف قصة (بين صغيرة وكبيرة) مترجمة عن مختلف اللغات (٢) . فلا غرابة ان يقول المستشرق الروسي كراتشكوفسكي فيها انها انما نشأت بتأثير الادب الاوروبي المباشر (٣) . وما يصدق على القصة يصدق على سائر انواع الكتابة .

وغير نكير ان ادبنا الحديث قد اخذ يتحرر من ربة التقليد والنقل ويسير في طريق الانتاج الحر ، على ان الترجمة ما زالت ذات شأن هام في حياتنا الادبية .

هذا من حيث النثر وهو كما راينا باب واسع جدا . ومن الطبيعي ان يكون الاقبال على الترجمة فيه اكثر من الاقبال على ترجمة الشعر . فالشعر للخاصة وفي نقله من المشقة الفنية والتضحية بالوقت ما يحول دون التوفر عليه . ومع ذلك نرى جملة من ادبائنا قد رضوا بتحمل هذه المشقة وهذه التضحية لينقلوا لنا شيئا غير قليل من روائع الشعر الافرنجي واطهر ما يكون ذلك في الحقبة الواقعة بين الحرب العالمية الاولى والحرب الثانية وهي حقبة الانتداب الاوروبي على الاقطار العربية ، وقد كثر في خلالها النقل (وخصوصاً عن اللغتين الانكليزية والفرنسية) . ويكاد يكون مستحيلا علينا ان نحصي في هذا المقام جميع ما نشر من ذلك بين الناطقين بالعربية ولاسيما سكان مصر ولبنان اللتين كانتا ولا تزالان اهم المراكز للتبادل الفكري بين الغرب والشرق العربي ، فنكتفي باثبات بعض الامثلة مبتدئين بما نقل عن اللغات القديمة واشهره ما يلي -

(١) محمد عبدالله عنان في الهلال ٤٥ - ٩٧١

(٢) هو الاستاذ يوسف داغر . راجع له ايضا مقالا في مجلة الاديب (بيروت) ٩ ج ٩ (١)

(٣) راجع اقواله في الرسالة (مصر) ٤ ص ١٦٦٩ و ١٨٠٨ - ١٨١٠ .

الاباظة

نظمها باليونانية القديمة شيخ الشعراء هوميروس . وقد اهتم الاوروبيون بها ونقلوها الى عدد من لغاتهم . وفي السنة ١٩٠٣ اخرجت المطبعة العربية ترجمة شعرية لها بقلم سليمان البستاني .

وكان في اول امره يعتمد الترجمات الاوروبية ثم رأى ان يدرس اليونانية ليتناول تعريب الالباظة من اصلها^(١) . وقد قدم لها ببحث ضاف . فجاءت سفرأ عظيماً جديراً بمطالعة المتأدبين . ولم يتقيد في ترجمتها بأسلوب القصيدة ذات القافية الواحدة بل نوع النظم على طرق شتى ووسع لنفسه باستنباط ضروب غير مطروقة على انه لم يخرج عن اصول الشعر العربي^(٢) .

واليك مثلاً من نظمه وهو مأخوذ من النشيد السادس . وفيه يظهر البطل هكتور مع زوجته وكانت قد فقدت والدها واخوتها في الحرب فهي تحاول ان تصرف زوجها عن القتال رفقاً بها وبطفلها فتقول -

انت بعلي انت كلُّ الأرب
انت كلُّ الامل لي اذ انت حيّ آه فارحم وانعطف رفقاً عليّ
آه فارفق بي وبالطفل لديّ

أما هو فتأبى عليه أنفسته وحميته ان يتقاعد عن مساعدة قومه . فيجيبها -
لست ارضى العار ان تعلق النصول او عن الهيجاء يثنيني الحول
على ان الذي يخشاه هو ان تصبح امراته بعد موته سيئة الاعداء فيقول
من قلب متألم -

سوف تندك باليون القلاع ونوافينا الملمات الفِطاع
كلُّ هذا منه قلبي لا يُراع

(١) - ١٧٢ - وهو ما كان له شأنه في ذلك

(٢) مقدمة الالباظة ١٠٢

(٣) مقدمة الالباظة ٧٠ و ٧١

(٤) مقدمة الالباظة ٧٠ و ٧١

لا اذا أُمِّي في الترب توت أو ابي من دمه الشمر ارتوت
أو رميم الاخوة الارض احتوت لا اذا الطرود بادوا واذا
خرق الزرقاء للجو العويل

...

بيد ان الخطب كل الخطب آه ان تكوني من سببيات العداة
تذرفين الدمع عن مر الحياه
تستقين الماء كالعبد الاسير من « مسيس » أو ينابيع « هفير »
تنسجين القطن والقلب كبير كل بؤس كل رزء وعنا
كله ان حل ذا الرزء قليل

...

كله لا شيء ان صح الصبح ولديهم كنت والدمع يسمع
والذي يلقاك بي هزء أ يصيح
تلكم زوجة هكطور الشديد خير ما في القوم من قرم عنيد
تل صدر الجليش تلاً وهنا سبيت زوجته وهو تليل

وهكذا الى آخر هذا النشيد . وهو نقطة من بحر اذ تبلغ الالبادة نحو
احد عشر ألفاً من الابيات^(١) . وليست الالبادة الشيء الوحيد الذي نقل حديثاً
عن ادب اليونان^(٢) .

رباعيات الخيام

وهي كالألبادة في انها نقلت الى لغات اوروبا قبل ان تعرف في ادبنا
الحديث . واول ترجمة عربية لها هي التي نشرها نظاماً سنة ١٩١٢ وبيع البستاني
معتمداً فيها بالاكثرت ترجمة فيتزجيرلد الانكليزية^(٣) . ثم تصدى لنقل الرباعيات

(١) وقد ترجمت الالبادة عن الانكليزية في قصة نثرية عنبرة سلام الخالدي متبعة فيها قصة الالبادة
للفرد تشرش

(٢) راجع مثلاً ترجمة فيجينا في اوليد لشلي شيل - الهلال ٢٥ - ٦٤٠ . وبعض مواقف الاودسي
لدريني خشبة (نثر) - مجلة الكتاب (مصر) ١ - ٨٩٦ .

(٣) وعن الانكليزية ترجمها السباعي نظاماً وتوفيق مفرج نثراً .

رأساً عن الفارسية عدد من الأدباء ومعظمهم من العراق فنقلها نظماً جميل الزهاوي،
 واحمد الصافي النجفي، واحمد رامي، وعبد الحق فاضل ونثراً احمد حامد الصراف.
 وها نحن نثبت بعض الامثلة وفيها تظهر روح عمر الخيام المشبعة بالتهكم
 واللامبالاة. فمن ترجمة الزهاوي (١٩٠٨) وكلها من بحر الخفيف. وقد قرنها
 بترجمة نثرية ايضاً.

إطو كشعاً عن العلوم جميعاً اي نفع من العلوم اتانا
 ثم أوسع دم الاباريق سفكاً قبل ان يسفك الزمان دمانا

...

كثرت في صحوي وسكري الظنون ورموني بالكفر والكفر دين
 لا ابالي بظنهم بي فاني ملك نفسي كما اشاء اكون

ومن ترجمة احمد الصافي ما يلي ولم يلتزم فيها بحراً واحداً -
 فمن الطويل :

الهي قل لي من خلا من خطيئة وكيف ترى عاش البري من الذنب
 اذا كنت تجزي الذنب مني بمثله فما الفرق ما بيني وبينك ياربي
 ومن الوافر :

يقول المتفنون غداً ستحييا على ما كنت في هذي الحياة
 لذا اختوت الحبيبة والحميما لأشعر هكذا بعد الممات
 ومن الخفيف :

قال شيخ ثلومس انت سكري كل آن بصاحب لك وجد
 فاجابت اني كما قلت لكن انت حقاً كما لدى الناس تبدو؟

اما ترجمة احمد الرامي (مصر) وترجمة عبد الحق فاضل^(١) (انقره) فالاولى من
 بحر السريع والثانية من مجزوء الرمل.

وعلى ذكر الرباعيات نقول انها ليست الشعر الفارسي الوحيد الذي نقل
 ونشر حديثاً في ادبنا العربي. ففي السنة ١٨٤٦ صدر بالعربية ديوان كلستان

(١) وقد صنفها بحسب معانيها. راجع امثلة منها في الاعداد ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ من مجلة الثقافة
 السنة العاشرة.

للسعدي بقلم جبرائيل مخلّع^(١). وفي السنة ١٩٣٢ نشرت لجنة التأليف والنشر بمصر ملحقه الشاهنامه للفردوسي وكان قد نقلها نثراً الى العربية الفصحى بن علي البغدادي (وذلك في القرن السابع الهجري) فأكملها في عصرنا وصححها ونظم بعض مقاطعها عبدالوهاب عزام. ومن نظم قطعاً منها عباس ميرزا الخليلي^(٢). ولندكر هنا استطراداً ان وديع البستاني قد نقل ايضاً من الادب الشرقي عدداً من الروائع الهندية القديمة^(٣).

الكوميديا اللاتينية

نقلها عن الايطالية نثراً قصصياً عبود ابو راشد وطبع الجزء الاول منها (الجميل) سنة ١٩٢٦ والجزء الثاني (المطهر) سنة ١٩٣١ والثالث (النعيم) سنة ١٩٣٢. وترجم الجحيم عن الايطالية بنثر شعري تابع فيه الاصل المحامي امين ابو شعر وقد صدرت ترجمته عن مطابع الارض المقدسة سنة ١٩٣٨ وهي حرة ان يطالعها من يود ان يعرف شيئاً عن روح هذه الملاحمة الخالدة هذا اذا لم يكن قد اطلع عليها في احدى اللغات الاوروبية

الترجمات المتأخرة

ولنتنقل الآن الى ما نقل من المنظومات الغربية منذ القرن السابع عشر ومعظمه عن الافرنسية والانكليزية ثم الالمانية. عن الافونسية: نقل شيء كثير لقدماء الادب الافرنسي واشهرهم لافونتن وموليبار وراسين وكورنايل. فحكايات لافونتن معروفة واول من نقلها الى العربية على ما نعلم الشاعر المصري محمد عثمان جلال^(٤) المتوفى سنة ١٨٩٨. ثم في سنة ١٩٣٤ نشر الاب نقولا ابو هنا المختص في ترجمة شعرية لها هي اوفي وافضل

(١) آداب القرن التاسع عشر للويس شيخو ص ١٠ - وقاربخ آداب اللغة لزيدان ٤ - ٢٢٩.

(٢) راجع المقتطف ٨٥ - ٥٠٦.

(٣) راجع الثقافة ٩ ع ٤٢٩ ص ١٢.

(٤) شعراء مصر للعقاد (١٩٣٧) ١١٣.

ترجماتها . وفي سنة ١٩٤١ نشر جبران نحاس مختاراتٍ منها نقلها نظمياً الى العربية ولا شك ان احمد شوقي كان متأثراً بهذا الشاعر الافرنسي يوم نظم حكاياته الحيوانية التي تجدها في اول طبعة من ديوانه (او في الجزء الرابع المطبوع بعد وفاته)

وبما يرجع ايضا الى القرن السابع عشر رواية السيد لكورنابل وقد نقلها الى العربية نجيب الحداد المتوفى سنة ١٨٩٩ وكذلك محمد مسعود الذي ترجمها نثراً ورواية البخيل لموليار بقلم مارون نقاش وعدد من مسرحيات موليار بقلم الياس ابو شبكه .

واذا انحدروا الى القرنين الاخيرين (التاسع عشر والعشرين) برز امامنا في ادبنا الحديث اسماء افرنسية عديدة نذكر منها فكتور هيكو - لامارتين - الفرد دي موسه - الفرد دي فيني - بودلاير - ادمون رومان - جان لاهور - بول فاليري - فيرلين - سولي برودم ، وسواهم . وآثارهم الشعرية منتشرة في المجلات العربية نثراً ونظماً . وقد ساهم في نقل هذه الآثار عدد غير قليل من الادباء امثال - قسطنطين الحصري وامين الحداد ونقولا فياض وشبلي مـلاط^(١) . ومن لهم يد تذكر طه حسين^(٢) - ابراهيم سليم النجار^(٣) - مهدي البصير^(٤) - خليل هندراوي^(٥) - احمد ابو الحضر منسى^(٦) - اميل زين^(٧) - احمد حسن الزيات^(٨) -

(١) راجع امثلة من ترجماتهم في كتاب مجالي الفرر لصفي (١٩٠٤) ص ١ - ١٢٣ - ١٢٤ -

١٢٩ - ١٣٠ - ٢٢٨ وفي مجلة الكتاب ١ ج ١٠

(٢) راجع كتابه حافظ وشوقي ٤٦ - ٥٣ .

(٣) المقتطف ٥٤ - ١٥٣ .

(٤) مجلة العلم الجديد بغداد (حزيران ١٩٣٦) .

(٥) له شيء كثير ومنه في المقتطف ٨٩ - ٤٦٩ وفي الرسالة السنة الاولى والسنة الثانية والجمهور

١ ع ١٢٠ .

(٦) المقتطف ٩١ - ١٢٥ .

(٧) البرق (بيروت) ع ٣٤١٨ .

(٨) مترجم رفائيل للامارتين والشاعر المحضر لهيفو وله قطع شتى في مجلة الرسالة ومختارات من الادب

الافرنسي .

ناجي طنطاوي^(١) - احمد فتحي المرسى^(٢) - فواد نور الدين^(٣) - معروف الارناؤوط^(٤) -
عبد الوهاب حومد^(٥) - محمد مندور^(٦) - سامي الدهان^(٧) - صلاح الدين المنجد^(٨) -
محمد كزما^(٩) - الياس ابو شبكه^(١٠) - ابراهيم المصري^(١١) - علي شرف الدين^(١٢) -
ومصطفى عبدالرحمن^(١٣)

اما مدى تأثير الادب الافرنسي في ادبنا الحديث فلا يمكن تحديده ولكننا
لا نكون مخطئين اذا قلنا انه واسع . وقد نشر الياس ابو شبكه سنة ١٩٤٥
كتاباً عنوانه « روابط الفكر بين العرب والفرنجية » اكثره يدور على ما للادب
الافرنسي من تأثير في الادب العربي وغيره . وقد كان هذا الشاعر من اكثر
الادباء تأثراً به .

والذي يلاحظ ان اكثر الترجمات مسبوكة في قالب الشعر المنشور او النثر
الشعري على ان كثيراً منها جاء منظوماً كما فعل نقولا فياض وشبلي مـلاط
وعلي محمود طه في ترجمتهم لبحيرة لامارتين . وعبد الوهاب حومد في قصيدة « الوحدة »
لدي موسى وابو شبكه في قصيدة « تذكري » للشاعر نفسه وكذلك ابراهيم سليم
النجار وحسين البشبيشي . وانك لتجد في كتاب « اعلام الشعر الافرنسي » عدداً
من الترجمات الشعرية عن بعض ادباء فرنسا المشهورين .

عن الانكليزية : نقل نثراً كثيراً من مسرحيات شكسبير . ومن عناوا بذلك
نجيب الحداد وخليل المطران وسامي جريديني، ومحمد عوض ابراهيم، وسواهم . وبما

(١) الرسالة ٤ - ٣٨٩ والثقافة ٨ ع ٣٨١ . (٢) الرسالة ٤ - ١٤٣٢ و ١٥١٢ .

(٣) الرسالة ٤ - ١٤٠ . (٤) الرسالة ٥ - ١٤١ .

(٥) مجلة الحديث (حلب) ١١ ع ٩ . (٦) الرسالة ١ ع ١ و ٢ و ٣ .

(٧) الرسالة ١ ع ١٢ . (٨) الرسالة ٨ ص ١٧١ .

(٩) الرسالة ١ ع ٥ . (١٠) ديوانه القيثارة ١٠٩ و ١٢٦ .

(١١) مختارات من الشعر الافرنسي (دار الهلال ١٩٣٨) وله مجموعة من الشعر الغرامي اثبت فيه
قسماً كبيراً من الشعر العالمي نقلاً عن الافرنسية .

(١٢) ترجمة قصيدة لفكتور هيفو راجعها في الثقافة ٤ ع ٣١٨ ص ٢٨ - الثقافة ٥ ع ١٤١ ص ٢٤ .

(١٣) الثقافة ٧ ع ٣٥٣ ص ٦ .

نقل نظماً رواية ما كبث بقلم محمد عفت^(١)، والليلة الثانية عشرة بقلم احمد با كثير^(٢). وهناك عدّة مقطوعات مثل تأبين ماركوس انطونيوس لقصر بقلم عيسى اسكندر المعلوف^(٣)، وفينوس على جثة ادونيس بقلم عباس العقاد^(٤)، وفينوس وادونيس بقلم اسبيريدون ابو مسعود^(٥)، والدسيسة بقلم فواد الخطيب^(٦)، وخنجر ما كبث نظم حافظ ابراهيم^(٧).

وقد ترجم لغير شكسبير مختارات شتى من شعر ملتون وبيرون وكيكس ولونغفلو وبطار وشلي وروزتي ووردسورث وثلثون وغراي وهاردي وكبلنغ وماسفيلد وتوماس مور وسوام^(٨). ونخص بالذكر منها ثلاث روائع الاولى تشيلد هارولد Childe Harolde لبيرون ترجمها عبدالرحمن بدوي في اناشيد نثرية يتخللها شيء من الشعر ونشرها سنة ١٩٤٤، وهو يُعنى بترجمة عدد من روائع الادب الانكليزي. والثانية Prometheus Unbound لشلي نقلها نثراً لويس عوض كما نقل ايضا Adonis للشاعر نفسه. اما الثالثة فالذكرى In Memoriam لتينسون التي عربها نظماً كاتب هذه السطور ونشرها سنة ١٩٢٥. وهي مجموعة نشائد تقع في نحو ١٨٥ صفحة. وقد تابع فيها المترجم ترتيب الادوار في الاصل الانكليزي واختار لجميعها البحر الخفيف وهو اقرب الاجر الى الاصل.

- | | |
|---|---------------------|
| (١) المقتطف ٤٠ - ٢٠١ | (٢) نشرت على حدة |
| (٣) المقتطف ٣٥ - ٨٤١ | (٤) ديوانه ٢١ |
| (٥) المورد الصافي ٥ - ١٨٦ و ٣٩٤ | (٦) المقتطف ٨٤ - ٨٦ |
| (٧) ديوانه (١٩٣٧) ١ - ٢٣٤ | |
| (٨) راجع الامثلة التالية : المقتطف ٦٧ - ٦٢٦ — المقتطف ٨٩ - ١٠١ — المورد ٢ - ٢٧٢ — المقتطف ٤١ - ١٣٦ — المقتطف ٥٧ - ٤٢٦ — المنتدى (القدس) ع ١ — الطليعة ٣ ج ١ — البرق ع ٣٣٧٣ — الرسالة ١ ع ٢٢ — الرسالة ١ ع ٨ — الرسالة ١ ع ١٠ — الرسالة ١ ع ١٢ — الرسالة ١ ع ١٤ — الثقافة ٧ ع ٣٣٠ ص ١٦ — الرسالة ٤ ص ١٩٦٧ — الرسالة ٥ - ٧٧٨ — الرسالة ٦ - ١٨ — الرسالة ٥ - ١٨٣ — الرسالة ٢ - ١٤٧٢ — الرسالة ٨ - ٩٨ — الرسالة ٨ - ١٣١ — الرسالة ٨ - ٧٨٢ — الاديب (بيروت) ٣ ج ٥ — الاديب ٣ ج ١١ — الاديب ٤ ج ٦ — الطريق ٢ ع ٦ ص ٨ — الثقافة ٤ ع ٣٣٠ ص ١٦ — الثقافة ٨ ع ٤٠٧ — مجلة ابولو ٢ - ٤١٢ — المورد ٧ | |

عن الألمانية : مما يذكر تحت هذا الباب بعض روائع « غوته » ومنها « فاوست » وهرمن دوريفه بقلم محمد عوض ، وآلام فرتز بقلم احمد حسن الزيات ، والديوان الشرقي والانساب المختارة بقلم عبدالرحمن بدوي . وبقلمه ايضاً اندين لفوكيه ، ومن حياة حائر باثر لايشندورف . ومن الروائع الألمانية المترجمة ثاثان الحكيم للسنغ بقلم الياس الحداد ، والحب والديسية لفردريك شار بقلم حسن صادق وانشيد لهيني بقلم سليم سعده^(١) ، ودعاء الراعي وتمثال الحب لهيني ايضاً الاول ترجمة ناجي^(٢) والثاني ترجمة منظومة لمحمد عبداللطيف النشار^(٣) . وهناك قطع اخرى بقلم صبحي ابو غنيمه^(٤) وجواد علي^(٥) ومدحت مظلوم^(٦) وشديد باز الحداد^(٧) .

...

وتمّا لا شكّ فيه ان هناك ترجمات اخرى من شتى اللغات الغربية . ولو جمع كلّ ما نقل الى العربية في هذه الخمسين سنة الاخيرة من باي العلم والادب لتألف منه مكتبة كبيرة جداً . وليس من ينكر عمق التأثير الذي أحدثه ذلك في ادبنا الحديث . فاهمّ كتابنا اليوم يعكسون لنا اثر الغرب في اختيار موضوعاتهم وطريقة معالجتهم لتلك الموضوعات . وقد اصاب فخري ابو السعود اذ قال^(٨) - « ظلّ المذهب الكلاسيكي التقليدي سائداً في الادب العربي حتى اتبع له الاتصال بالآداب الغربية في العصر الحديث ، فصحا من غفوته ونفض عنه تدريجياً غبار التقليد والتقيّد اللفظي والمعنوي واشرق عليه عصر نهضة رومانسية جديدة

هذا التأثير الغربي قد تغلغل في البلدان العربية حتى بلغ معاقل الحجاز^(٩) وسواها من الاصقاع النائية . ويقول سعد الدين فوزي من مقال في مدرسة الادب السوداني

(١) مجلة الكتاب ٢ ج ٧ .

(٢) راجع كلمة ختامية في ديوان اطياف الربيع لاحمد زكي ابو شادي .

(٣) الهلال ٢٥ - ١٥١ .

(٤) مجلة الحديث (حلب) السنة ١٩٢٩ ع ١ والرسالة ٤ - ٢٨٩ .

(٥) الرسالة ٧ - ١٥٩٦ .

(٦) جريدة الاخاء الوطني بغداد عدد ١٤ آب ١٩٣١ .

(٧) المورد ١١ ص ٢٢٤ و ٣٢٨ .

(٨) الرسالة ٥ - ٣٧٦ .

(٩) راجع مقال احمد عبدالجبار في المكشوف (بيروت) ٦ ع ٢٦١ .

الجديدة وان هذه المدرسة تأثرت اولاً بالادب المصري ثم تشربت روح الآداب الغربية واهتزت لادباء المهجر^(١). وانّ نظرة واحدة على حياتنا الادبية والعلمية كافية لان تريك ان معظم القائمين بالنهضة الحديثة هم من ذوي الامام باللغات الاجنبية او من الذين اتبح لهم التوسع العلمي في المعاهد الغربية^(٢).

على انه قد يلاحظ ان لهذا الاتصال الشديد بالغرب على حسناته وجهة سيئة. فقد نشأ عنه في بعض البيئات العربية طبقة تكاد تنقطع الصلة بينها وبين لغتها الاصلية وتاريخها الادبي فلم تساهم مساهمة فعالة في حركة التجدد القومية التي يمتاز بها عصرنا الحاضر. وانما قام بهذه الحركة فريق آخر جلّهم من الذين قرنوا دراستهم للاداب الافرنجية بتوفّرهم على درس ادبهم القومي والمحافظة على اساليبه اللغوية [فانّ التجدد ليس تقليداً اعمى للامم الاخرى تضع به الشخصية الوطنية، بل هو نمو داخلي قائم على فهم اعمق وارسع للحياة والطبيعة - هو تطعيم التراث الادبي للامة بروح الحضارة الجديدة حتى ينمو نمواً سويّاً. وذلك ما تتجه اليه نهضتنا الادبية على ايدي الادباء المجددين وله في النثر والشعر ظواهر عامة اهمّها ما يلي -

في النثر - تجدد الاسلوب الانشائي
تطور الفنون الكتابية

في الشعر - التصميم الفكري او المحافظة على الوحدة في النظم
التسامي الخيالي او توخي الروعة البيانية
حرية الاخراج - او التفنن في اساليب التعبير
وسنحاول في الفصول التالية شرح هذه الظواهر وتبيان ما بلغته حتى الان.

ولقد يجدر بنا ان نتساءل هنا: هل قدّم الشرق العربي الحديث للغرب شيئاً مقابل ما اخذ هو عن الغرب؟
واول ما يتبادر الى الذهن عند التفكير في هذا السؤال ان الشرق مقصّر

(١) الرسالة ١٢ ع ٥٩٦ .

(٢) راجع مقال اثر الادب الافرنسي في ادباء مصر المكشوف ه ع ٢٠٥ .

في هذا المضمار اذ هو لا يزال الى حد كبير عالّة على الفكر الغربي يستقي من مناهله ويهتدي بانواره، بخلاف ما كانا عليه في القرون الوسطى .
على انه يجب ان لا ننسى بين امس واليوم ما طرأ من تغيّر في احوال الشرق والغرب . ففي القرون الوسطى كان للعرب تقدّم على سواهم بما نقلوه من علوم الاقدمين وما وصلوا اليه من العمران . وكانت لهم فوق ذلك سيادة سياسية تستطيع فرض لغتهم على العالم . اما اليوم فهم في بدء يقظة من سبات عميق من الانحطاط غشيم قروناً بعد ان ذهبت سيادتهم واضمحلت حضارتهم وانحطت لغتهم . فلا ينتظر ان يمثّلوا دوراً يذكر على مسرح الادب العالمي الا بعد ان يتوطّد استقلالهم واتّحادهم وبعد ان يمرّ عليهم من الزمن ما يرفعهم الى مصاف الامم الناهضة فيكفل لغتهم مكانة مرموقة بين اللغات الحيّة .
على انه برغم ذلك قد خطوا خطوة تذكر في هذا السبيل . وذلك ما عناه طه حسين بقوله - « قد كتّا منذ حين نتأثر بالغرب ونسعى اليه ونقتبس منه ونريد ان ننقله اليّنا - ان صحّ هذا التعبير - لكنّ الامر تغيّر في هذه الايام فقويت شخصية الكتاب والشعراء حتى آمنّت بنفسها وآمن بها الناس من حولها في الشرق والغرب جميعاً^(١) . » ومثل ذلك ما يذهب اليه عباس العقاد^(٢) ، وجملة صالحة من المفكرين .

ولهذا التغيّر مظهران رئيسيّان - الاول هذا الاستقلال الفكري الذي نشاهده في بعض ما ينشره اليوم عدد من كتّابنا وشعرائنا - والثاني في ما ينقل من ادبنا الى اللغات الاجنبية او في ما يضعه ادباؤنا بهذه اللغات .
فمن امثلة المنقول عن العربية الى لغة اجنبية « الايام » لطه حسين - « شهرزاد » « عودة الروح » لتوفيق الحكيم - « الاطلال » لمحمود تيمور - « تاريخ التمدن الاسلامي » لزبدان وبعض رواياته التاريخية - « على بساط الريح » لفوزي معلوف وغير ذلك .

اما الموضوع رأساً باحدى اللغات الاجنبية وقد نشرته بعض شركات النشر المعروفة في الغرب فنثبت منه الامثلة الادبية والتاريخية التالية :

(١) من مقال له في الرسالة ١ ع ٩ ص ٣٥ وع ١١ ص ٩

(٢) راجع قوله في الهلال ٤٥ ص ٦٤٨ - ٦٥٢

The Prophet	النبي - لجبران جبران
The Syrian Christ	المسيح السوري - لابراهيم الرحباني
Around the Coast of Arabia	حول الجزيرة العربية - لامين الريحاني
Studies of Moro History, Law and Religion	دراسات في تاريخ المورو وشريعتهم وديانتهم للدكتور نجيب الصليبي
Arab Awakening	يقظة العرب - لجورج انطونيوس
Antar (drame en verse)	مسرحية عنتر - لشكري غانم
Cais	قيس وليلى - لخير الله خير الله
History of the Arabs	تاريخ العرب - لفيليب حتي
The Royal Archives of Egypt	المخطوطات الملكية في مصر - لاسد رستم
La Montagne Inspirée	الجبل الملهم - لشارل قرم
Syria and Lebanon	سوريا ولبنان - لالبرت حوراني
The Story of an Arab	قصة عربي - لادورد عطية
Ibn Khaldun	ابن خلدون - لشارل عيساوي

ولبعض هؤلاء الكتاب ولسوا هم غير ما ذكرنا من المؤلفات الافرنجية المعروفة هذا فضلاً عما وضع في الحقول الطيبة والعلمية^(١) وسواها .

ولا يُنكر ان ذلك لا يقاس بما اخذته العربية عن شتى اللغات الحديثة على انه يدلّ على تطوّر في حياتنا الفكرية والامل ان هذا التطوّر سينتهي قريباً الى ان يصبح ادبنا في مصاف الاداب العالمية العظيمة . وانما يكون ذلك اذا اصبح للعرب كيان عالمي محترم ولغة عالمية محترمة واسسوا حياتهم الفكرية على الاسس الراسخة التي تقوم عليها الحضارات الراقية .

(١) لزيادة الاطلاع - راجع ما نشره معهد الشؤون العربية في نيويورك سنة ١٩٤٦ تحت عنوان
Arabic - Speaking Americans وراجع كذلك كتاباً لرشيد لحود عنوانه
Libanaise de Langue Française.

تجريد الاسلوب الانثائي

ان من يلقي نظرة على الكتابة في القرن الاول الهجري يلاحظ فيه مجريين مختلفين احدهما فني يغلب عليه السجع وهو يكاد ينحصر في الشؤون الدينية والاخلاقية ، والثاني طبيعي مطلق من قيود السجع وهو شائع في المعاملات العمومية من سياسية وادارية . ومنذ اوائل العصر العباسي بدأ شيء من التحول في النثر العمومي المطلق . فبرز فيه اسلوب التوازن الذي بلغ اوجه في ترسل الجاحظ وهو نثر تسوده الاناقة الفنية دون ان يتقيد بسجع او بديع . ولكن لم يكد ينتصف القرن الرابع للهجرة حتى طغا السجع والتأنتق البديعي على النثر الادبي . وزاد طغيانها مع الابلام فكانت طريقة ابن العميد ثم طريقة القاضي الفاضل ومن جرى مجراها في الشرق والغرب . وعلى ذلك سارت الكتابة في التاريخ حتى بدء نهضتنا الاخيرة . ولا يدخل في ذلك النثر التصنيفي او العلمي فانه نشأ وظلّ حرّاً لم يتقيد الا نادراً بقيود الصناعة الادبية .

والذي يلاحظ ايضاً ان قدماء المترسلين من اهل القرنين الرابع والخامس وما بعدهما كانوا مع تأنقهم البديعي يعنون بمتانة اللغة والعبارة ولكن الزمن حمل معه بذور الفساد . وكان العهد العثماني تربة صالحة لها فنمت تدريجياً وما زالت حتى اينعت وتفاقم امرها في القرن الثامن عشر واول القرن التاسع عشر للميلاد حين بلغ الانشاء العربي الحضيض مكتسباً اطماراً بالية من الغثاثة والركاكة .

فلما بزغت تباشير النهضة في القرن الماضي كانت الكتابة العربية لا تزال ترسف في قيدين ثقلين - قيد الصناعة البديعية المتكلفة وقيد الركاكة العامة . وكان الاول اظهر في الترسل الادبي والثاني في الترسل الديواني . على انها كثيراً ما كانا يجتمعان معاً في باب واحد . ولايضاح المراد من قولنا «الصناعة البديعية المتكلفة» والسائدة في ذلك العصر نثبت هنا القطعة التالية من فصل ديبجه كاتب مصري سنة ١٨٧٨ تقريباً لمجلة المقتطف قال (١) -

(١) الشيخ القوسي في المقتطف ١١ - ٩٢ .

« من سرّح في طروس المقتطف انسان الاحداق باقدام الاهداب . وسير في نيسب صروح سطوره طرف الالباب ، وجده قلهمدم علم يلفظ على ساحل العقول جواهر الدقائق ، ويفسل نفع الاوهام عن محيا الحقائق »

والفصل طويل وكله من هذا الطراز التقليدي الفارغ . ومن هذا الباب ما كتبه الشيخ علي الليثي احد كبار الادباء في العهد الاسماعيلي بمصر اذ قال من رسالة^(١) - « حمداً لمن اجري اودية الآداب على السنة اصحاب الاذواق . وامرئ بقلوبهم من غياهب ليل التقليد الى حضرات الاطلاق . فلمحوا من خلال استار المعاني كل لطيفة ، وسرحوا في جمال ازهار المعاني بهمم شريفة . فتصرفوا في اعنة اليراعة بكل مضار ، وتشرّفوا باستّة البراعة في حلبة الفخار » . ومثل ذلك كثير شائع^(٢) . الى مثل هذه الكتابة يشير جرجي زيدان اذ يقول منتقداً طريقة بعض الكتاب في استعمال غير المؤلف من الكلام ظناً منهم ان ذلك يبرهن على براعتهم الانشائية^(٣) - « وقد قرانا في كتاب صدر بالامس عبارة تمثّل ما نحن بصدده اراد بها كاتبها وصف المتحاربين فقال : وقد هاجت منهم الضراغم ، وطارت القشاعم ، وثارت الغماغم ، وماجت الحضارم »

وبذلك على شيوع السجع والبديع في القرن الماضي ان كلية القصر العيني الطبية كانت شهادتها تكتب حيناً من الزمن بهذا الشكل التقليدي المتكلف^(٤) . وهو شيء نستغربه نحن الآن ولكنه كان يومئذ عادة مألوفة وطريقة متبعة . وممن تنبّهوا الى انها طريقة « عقيمة تشغل القارئ بظاهر اللفظ عن باطن معناه » فارس الشدياق وذلك بعد ان مارسها وسار فيها شوطاً بعيداً^(٥) .

(١) راجعها في الهلال ٤٢ - ٣١٩

(٢) راجع لزيادة الايضاح - رسالة لابرهم الاحدب - في مجلة الكوثر ١ - ٣٢ - رسالة لعبدالله فكري في منتخبات الجواب ٥ - ١٠٤ - وصف الحرب السبعين في مجلة الجنان السنة ١٧٨٠ ص ٨٤٤ - رسالة الشيخ صالح قطنا في مجلة المجمع العلمي العربي ١٥ - ٢٣١ - رسالة لبطرس كرامه في ديوانه ٩٠ - وراجع كتابنا تطور الاساليب النثرية ص ٣٦٦ - ٣٧٤ .

(٣) الهلال ٥ - ٧٣٤ .

(٤) راجع نصها في المقتطف ٤٠ - ١٥٣ ويرجع عهدا الى نحو ثمانين سنة فقط

(٥) الفارياق ١ - ١٣ .

اما الركائز العامة فكانت سائدة في الدواوين الاميرية، وكانت لغة هذه الدواوين احيانا مزيجاً غريباً من العامة والتزويق البياني. وظلت العامة تسود الكتابة الديوانية حتى منتصف القرن الماضي بل والى ما بعد ذلك كما ترى في النطق الحديوي امام مجلس الشورى المصري سنة ١٨٧٦^(١) وفيه يختلط الكلام الصحيح بالعامي، وبين ايدينا كثير من الكتابات الرسمية التي تدل على ما بلغته لغة الدواوين في النصف الاول من القرن الماضي^(٢).

فلا غرابة ان نسمع شكوى بعض المتأدبين يومئذ من هذه الحال ودعوتهم الى اصلاح اللغة ونبذ الالفاظ والعبارات الفاسدة التي طغت عليها والرجوع الى المناهج التي اختطها الائمة السابقون كما تتجلى في نهج البلاغة واقوال الجاحظ ورسائل ابن المعتز والحوارزمي والزخشي وبديع الزمان والحريري وامثالهم^(٣). واتقان القواعد الصرفية والنحوية وحفظ المأثور من الشعر والنثر.

في هذا السبيل اتجه التجديد اولاً فتمكن رواد النهضة من احياء اللغة ورفع المستوى الانشائي وحمايتها من اسفاف العامة وركائز العجمة. على انهم ظلوا متمسكين باهداب التكلف البديعي فلم يتحرر الانشاء منه الا تدريجياً وقد اعان على هذا التحرر امران رئيسيتان تطور المدرسة ونشؤ الصحافة.

فالمدرسة - كانت في اوائل القرن الماضي محصورة في الدير او المسجد^(٤). وغاية ما تقوم به تعليم الاحداث مبادئ القراءة والحساب والخط. وظلت على ذلك حتى اشرقت في البلاد انوار الحضارة الغربية فانظم التعليم وارتقت اسبابه. وهكذا اخذت المدارس الحديثة من ابتدائية واستعدادية وعالية تظهر هنا وهناك وما لبثت ان عمت قسماً كبيراً من الشرق العربي. وقد اقتضى هذا التطور المدرسي تحسين التعليم اللغوي ووضع الكتب الموافقة للحياة العصرية. وما زالت حركة التحسين المدرسي مستمرة حتى الآن وهي من الاسباب الرئيسية في تهذيب

(١) مجلة الجنان ١٨٧٦ ص ٨٣٤.

(٢) راجع الاصول العربية لتاريخ سوريا (تأليف اسد رستم) ففيه مئات من الامثلة.

(٣) راجع مقال « مسخ اللغة » في المقتطف ١٠ - ٦٥٤.

(٤) راجع الهلال ٩ - ٢٣٥ ومجلة المباحث (طرابلس) ١ - ٢١٤ و ٢١٥ - ووصف المدرسة القديمة لمارون عبود في مقدمة كتابه رواد النهضة الحديثة.

لغة الانشاء وتحريرها من قيود السجع والبديع، وكذلك كان شأن الصحافة .
فالصحافة بدأت هزيلة ضعيفة اللغة مع ميل الى تسجيع العبارة . وهاك مثلاً
ما جاء في فاتحة العدد الاول من الوقائع المصرية -

« الحمد لله باري الامم، والصلاة والسلام على سيد العرب والعجم . اما بعد -
فان تحرير الامور الواقعة مع اجتماع بني آدم، المتدجين في صحيفة هذا العالم،
ومن ائتلافهم وحركاتهم، وسكونهم ومعاملاتهم، ومعاشراتهم التي حصلت من
احتياج بعضهم بعضاً، هي نتيجة الانتباه والتبصر بالتدبير والاتقان، واظهار الغيرة
العمومية وسبب فعال منه يطلعون على كيفية الحال والزمان . »
وهكذا الى آخر الكلام الذي تستطيع ان ترى الفرق العظيم بينه وبين
لغة الصحافة اليوم .

وفي تطور لغة الصحافة يقول احد كبار المحررين - « وبعد ان كان الصحفي
البارع من يدبج الفصل الطويل المسجع يملأ به صفحات جريدته وان خلا من
المعنى وضاع المراد منه في الحشوي من الكلام، بات الصحفي من يعالج
موضوعه معالجة المصور يرسم ما يريد تصويره حتى يبرز لعين الناظر صحيفها
سليماً^(١) . ولا شك انه قد كانت لتقدم العالم العربي عمرانياً وتزايد احتكاكه
بالعالم الخارجي يد في تقدم الصحافة ونموها اذ صار الجمهور يعتمد عليها للاطلاع
على الاخبار وتحرري المعلومات العامة . وذلك بدوره كان حافزاً للصحفيين على
ارضاء الجمهور بتقديم الاخبار والمعلومات له في شكل سهل مستساغ .

وبتقدم الصحافة اتسع ميدان العمل امام الكتبة وصاروا يستخدمونها لنشر
رسائلهم وعرض افكارهم وخواطرم . وكثير من كتب الادب جمعت من
رسائل نشرت اولاً في الصحف .

فلا بدع ان يتحدث طه حسين في مقال له عن الحرب الضروس بين
المذهبيين القديم والحديث فيقول ان ارباب الصحافة « هم الذين شتوها وهم الذين
عملوا بواسطة صحافتهم على تفكيك الاغلال الفنية القديمة » ثم يصف الطريقة
بقوله - « ان الكثرة المطلقة من الذين يقرأون الصحف والكتب حريصون على

(١) من مقال لداود بركات موضوعه « الصحافة ماضيها وحاضرها » في الهلال ٢٦ - ٩١ . راجع
ايضاً لاجد امين مقالاً موضوعه « اول مجلة مصرية » في الثقافة ٣ ع ١٥٣

شئين - الاول ان يقدم اليها نثر فصيح مستقيم اللفظ نقيّ الاسلوب بريء من الابتذال حرّ من اغلال البديع والبيان، والثاني ان يكون هذا النثر على ما قدمنا ملائماً لذوقها الجديد وميوها الجديدة قيماً في معناه كما هو قيم في لفظه، حرّ في معناه كما هو حرّ في لفظه ايضاً^(١).

فلا مراء ان الترسّل العربيّ قد تطوّر تطوّراً محسوساً منذ بدء النهضة في القرن الماضي. واطهر ما يكون ذلك في العهد الذي برزت فيه الصحافة وتيسر للكتاب بواسطتها محادثة الجمهور فاضطروا الى ترك الطريقة القديمة والاخذ - كما يقول جرجي زيدان - بالاساليب الجديدة التي اقتبسوها عن مطالعة الآداب الاجنبية^(٢).

ولا يعني ذلك ان التجديد انما هو تقليد الاورنج واستعارة مصطلحاتهم واوضاعهم، بل ان الاستنارة بنور العلوم الحديثة وتوسّع الافق الادبي بالاطلاع على الفكر الغربي والاخذ باسباب الحضارة الجديدة قد اوجت الى الكتابة الرغبة في البساطة ومباشرة المواضيع دون تعمل او زخرفة. وقد اجمل عباس العقاد وصفه لتطور النثر في المئة سنة الاخيرة بقوله^(٣) «سجع محفوظ الفواصل والقوافي يتردد على كل قلم ويؤجّج في كل موضوع - ثم ارتقى الى سجع يبتكر الكاتب كثيراً او قليلاً من الفاظه وقوافيه - ثم انطلق في اسلوب منسق مصقول لا تقوم فيه الاسجاع والقوالب ثم تعددت الاساليب والموضوعات فكثرت اساليب الادباء والصحفيين ووضح اثر الحرية في الكتابة»

والمقابلة بين الاسلوبين القديم والحديث تثبت هنا قطعتين لكاتبين معروفين توفياً في هذا القرن. احدهما السيد توفيق البكري والآخر الدكتور يعقوب صروف. والقطعتان متاثلتان من حيث الموضوع لان كلاهما تصف قصراً من قصور اوروبا الشهيرة.

(١) راجع مقاله «النثر في نصف قرن» في المقتطف ٦٨ - ٢٦١

(٢) الهلال ٩ - ٣٥ والمنفلوطي في النظرات (طبعة ٥) ٣ - ١٣٥، وكراشكوفسكي في الرسالة ٤ - ١٦٢٧، وهارتمان في The Arabic Press of Egypt (1899) ص ٣

(٣) راجعه في الهلال ٤٥ - ٦٤٨ وراجع ايضاً مقال عبدالعزيز بشري في نفس العدد من الهلال

قال البكري من فصل يصف فيه قصرًا في فينّا^(١) -
« وصلت الى ذلك القصر ففتح الباب، وكشف الحجاب . فاذا جنة وخير،
وملك كبير، ودنيا في دار، وليل ونهار . ووجوه تشرق، وحلى تبوق . وحنى
كعطوف القسي، وصحون في فسحة الظنون تقدر بالافكار لا بالابصار . وسقوف
من مرمر » وارض من عرعر، وكان كل سقف لوح مصور، وكل ارض روض
منور . الى ان يقول - « وابواب كانت في حسمها ابواب كتاب، في مصراعين
كعاشقين فتلاقى وافتراق وقام على الاركان تماثيل وتصاوير وانصاب
وقوارير . فكأنما الدار زون^(٢)، او معرض فنون . وقد وضع في الأبناء موقد
للاصطلاء كان الجمر فيه نظروا محنق، او نار المحلق^(٣) . وتدلّت الثريات كأنها
اشجار مفتحة الانوار، وكان اقباسها آذان جياذ او عيون جراد، او قطع افلاذ
او صفائح فولاذ، او ذبال أسل، او مرآة في كفّ الاشل . »

قابل هذا الوصف الذي يجري في سبيل الصناعة البيانية من سجع واستعارة
وطباق وجناس وما الى ذلك، بوصف يعقوب صروف لقصر الدوقات في البندقية
(فنيس) اذ يقول من فصل^(٤) - « اما مقاصير هذا القصر وما فيها من الصور
والتحف فمما لا يستوفى وصفه الا في مجلد كبير لان اعظم مصوري البندقية
ونقاشيها افرغوا جهد صناعتهم وغاية ما وصل اليه حدقهم في نقشها . فزينوها
بالصور التاريخية والخيالية والنقوش والتماثيل . وهكذا يأخذ بوصف احدي
المقاصير وما عليها من الرسوم ثم يعقب على ذلك بقوله - « وقد وقفت في هذه
المقصورة ساعة من الزمن حائرًا مدهوشًا ولا ادري بما دهشتي - أمن اتساعها
الفائق ام من كثرة صورها، ام من بديع الوانها وإحكام رسمها، ام من صورة
الفردوس فيها ؟ ولقد وددت لو ان الساعة صارت شهرا وعيني صارت منظارا
حتى أنعم النظر في كل صورة ومشهد واستخلص تاريخ هذه المدينة العظيمة من
صور قصرها . »

(١) راجعه في كتابه صهاريج اللؤلؤ . وكل فصول الكتاب من هذا الطراز .

(٢) زون . موضع تنصب فيه الاصنام .

(٣) يشير الى بيت للاعشي يمدح فيه رجلاً اسمه المحلق فيقول وبات على النار الندى والمخلق .

(٤) المقتطف ١٧ - ٧٤٣ .

فهذا أسلوب حرّ مرسل لا تعمّل فيه ولا تأتّق وقد أصبح الآن الأسلوب السائد في جميع أنواع الكتابة لا يشدّ عنه الا افراد قلائل يمتن يروقهم معارضة الاقدمين كما فعل احمد شوقي في كتابه « اسواق الذهب » او يمتن لا يعرفون غير التصنع في لغة العرب . وقديما انتقد المقتطف هذا التصنع فقال قبل نحو سبعين سنة « اعتاد قراء العربية مطالعة كتب الادب التي تتعري اللغة على الاخص ، فظنّ كثيرون ان كل ما يكتب بالعربية يجب ان يكتب على مثل هذا النمط بل قد تطرف بعض الكتاب وصاروا لا يرون الكتاب كتابا في اي فن كان الا اذا كان مسجعا كثير التشبيه والمجاز متعدد النكات البديعة^(١) »

وكما ظهر التطور في الأسلوب الانشائي ظهر في الفنون الكتابية - وقد ذكرنا منها الصحافة فلنقف قليلا على بعض الفنون الاخرى -

الفن القصصي

وهو يتناول القصة (او الحكاية) والرواية والمسرحية . فالقصة والرواية على نسق واحد . والفرق بينهما ان الاولى ذات حادثة واحدة قصيرة وتدور غالباً على شخص واحد او اشخاص قلائل . واما الثانية فطويلة وتقوم على حادثة رئيسية يتفرّع عنها او يتصل بها حوادث اخرى . وهي مع توجيهها الفكر الى بطل او بطلين تعرض لنا عدّة اشخاص . وبرغم ما فيها من استطراد وتفرّع يشعر القارئ بانه مسوق نحو هدف لا مندوحة عن الوصول اليه .

والقصة او الحكاية قديمة في الادب العربي ترجع الى اقدم عهود التدوين وقد نقل لنا كثير من اخبار الاقدمين ونواديرهم واساطيرهم ومُلهمهم^(٢) ناهيك بما ترجم الى العربية كقصص كليلة ودمنة والاف ليلة وليلة وسواها . والكثير من هذه القصص والاخبار طريف يلذّ القارئ ويستهويه . على اننا لا نبعد

(١) المقتطف ٧ - ٦٨٧

(٢) كما ترى مثلاً في الكتب التالية - قصص الانبياء للكسائي - البخلاء للجاحظ - الفرج بعد الشدة للتوحي - مصارع العشاق لابن احمد السراج - فاكهة الخلفاء لابن عرب شاه - المستطرف لابن شيبي .

عن الحقيقة اذا قلنا ان طرافتها قائمة بالاكثر على طرافة السرد الجبوي فيها او غرابة الحوادث . وقتلما نجد فيها ما نجد في الادب القصصي اليوم من ميل الى تصوير الحياة والتغلغل الى اعماق النفس وسبر اغوار الحقائق . ان القصة الحديثة الراقية مظهر فني يجمع بين رشاقة التعبير ودقة التفكير وروعة التصوير . ولو وازنت بين القصة العربية القديمة والقصة العربية اليوم لرايت فرقاً ظاهراً من هذا القبيل

والقصة في ادبنا الحديث مصدران - الاول عربي تقليدي وقد نشأ عنه ما وضعه اصحاب المقامات في القرن الماضي كناصر البازجي وابراهيم الاحدب وعبدالله فكري وسواهم . وهذه قصص لا تمت بصلة الى حياة عصرها واحوال اهله بل تقتصر على ما له علاقة بالحياة العربية القديمة . وقد تلاها نوع آخر من المقامات كحديث عيسى بن هشام لابراهيم المويلحي وليالي سطبح لحافظ ابراهيم - وكلاهما مسجع العبارة - وليالي الروح الحائر لمحمد لطفي جمعة وهي من النثر المرسل . ويختلف هذا النوع عما سبقه بانه يدور على حياة العصر والنظر في معائبها . على ان الاسلوب المقامي في القصص لم يطل عمره في نهضتنا الحديثة فلم يكد ينتهي العقد الاول من القرن العشرين حتى صار يعد من الاساليب القديمة البالية .

والمصدر الآخر غربي نشأ عن احتكاكنا بالآداب الاوروبية وكان من نتائجه ذلك الاقبال على ترجمة القصص الغربية ونشرها بواسطة الصحف والمطابع . وبرغم انهم كانوا يترجمون الغث والسمين فقد ولد ذلك من الجمهور رغبة في مطالعتها فحرك اصحاب المواهب الى معالجة هذا النوع من الادب وما زالوا يقومون وبقعدون حتى استطاعوا مؤخراً ان يتحرروا من ربة التقليد وان ينشئوا في مختلف الاقطار العربية وفي مقدمتها مصر ولبنان ادباً قصصياً ذا اسلوب حر فيه محاولات فنية للجمع بين عقدة يشناق القارئ حلها وطريقة تحي شوقه لتابعها ثم حل يفاجئه بما يحرك شعوره او تفكيره .

وقد شاعت كتابة القصة القصيرة في هذا العصر شيوعاً واسعاً حتى اصبحت من اهم ابواب الادب . ومن يتابع تدرجها من طور الوضع التقليدي فالوضع الحر الذي يحاوله المصريون، بين مبدع وغير مبدع، يلح فيها اليوم ميلا يكااد

يكون عاماً الى تصوير البيئة الاقليمية ودرس الحياة الشعبية مصطبغاً بصبغة انسانية واصلاحية^(١).

الرواية: واذا التفتنا الى الرواية او القصة الطويلة وجدنا انها من ثمار النهضة الحديثة فان ادباءنا القدماء قلما عنوا بها. والذي وصلنا من قصصهم الطويلة كسيرة عنترة وقصص سيف بن ذي يزن او بني هلال، او بيبوس، او فيروز شاه وسواها، ليس في الحقيقة الا اخباراً بطولية وضعت او جمعت لتفكهة القراء وهي مع ما فيها من طرافة قد مضى عهدا دون ان تترك اثراً يذكر في حياة العرب الفنية او دون ان تصبح باباً مطروحاً من ابواب الادب العالي على نحو الفن الروائي الآن. ولا شك ان للادب الغربي اثراً فعالاً في احياء هذا الفن بيننا. فالرواية عندنا كالفصة القصيرة قد مرت اولاً في طور الترجمة ثم تدرجت الى طور الوضع الحر فكان لنا جملة حسنة من الروايات التاريخية والاجتماعية والفلسفية اما في شكل كتب مستقلة او سلاسل تنشر تباعاً على صفحات المجلات والجرائد^(٢).

المسرحية: وما يقال عن الرواية يقال عن المسرحية فهي ايضا من ثمار هذه النهضة لم يعرفها ادبنا القديم. وبذلك يصرح احد المعرفين بهذا الفن اذ يقول: «ان هذا الفن دخل الينا فيما دخل من الوان الثقافة الغربية حينما اخذت بصائرنا تفتتح على اوربا تنتحل من فنونها وادبها بحكم ذلك الاتصال الاجتماعي والثقافي الذي ازداد توثقاً منذ اوائل القرن الماضي»^(٣).

ومن روادها مارون نقاش المتوفى سنة ١٨٥٥ وقد درس فن التمثيل في

(١) راجع مثلاً قصص محمود تيمور والمنفلوطي و خليل تقي الدين وتوفيق عواد ومارون عبود وكرم كرم وابراهيم المازني وجبران جبران وصلاح الدين الناهي و مخايل نعيمه وبشر فارس
(٢) من ذلك روايات جرجي زيدان ونقولا حداد وفرح انطون ويعقوب مروف وشكيب الجابري وقد عالج القصة والرواية عدد من كبار ادبائنا ممن غلب عليهم لون آخر من الوان الادب يضيق المقام عن ذكر اسمائهم.

(٣) زكي طليمات في مجلة الكاتب (مصر) ١ - ١٠٢

إيطاليا^(١). وأديب اسحق (١٨٨٣) ونجيب حداد (١٨٨٩) وسواهم. وتبع هذه الطبقة عدد غير قليل من الكتاب والمترجمين المسرحيين كخليل مطران وفرح انطون وأبرهيم رمزي وأبرهيم المصري وتوفيق الحكيم وكثيرين غيرهم «حتى ليقدر ما صدر من المسرحيات حتى الآن بين مترجم وموضوع وطويل وقصير بعدة مئات^(٢)». وفيها نلاحظ نفس التطور الذي حدث في القصة والرواية - من الترجمة والوضع التقليدي الى معالجة الموضوعات الحرة التي تمس حياتنا وتنشأ عن مجتمعا.

كتاب السيرة: وهي نوع من الادب يجمع بين القصة والتاريخ. وهو قديم في تاريخنا الادبي يرجع الى اوائل العصر العباسي وقد ساهم فيه كثيرون من ذلك الحين الى الآن. ويدخل فيه كتب التراجم ومنها العامة كطبقات ابن سعد والاغاني لابي الفرج الاصفهاني ويتمية الدهر للثعالبي ومعجم الادباء لياقوت الحموي ووفيات الاعيان لابن خلكان وقلائد العقيان للفتح بن خاقان والذخيرة لابن بسام والخريدة للعماد الاصفهاني. ومنها الخاصة كاخبار ابي تمام للصولي والانصاف والتحريري لابن العديم والصبح المنبي للبديعي وكثير سواها. على انك اذا تحريت هذه المؤلفات وامثالها وقابلتها بكتب السيرة او ترجمة الاشخاص في هذا العهد رايت لناموس التطور اثرآ لا ينكر^(٣). فالسيرة القديمة على ما فيها من عناية باخبار الاشخاص وما يتعلق بها تقصر عن الحديثة في دقة الدرس للبيئة والحوادث والتعمق في التحليل النفسي والفني^(٤). ويدخل فيها تلك الدراسات التحليلية

(١) كراتشوفسكي في مجلة الرسالة ٤ - ١٨٠٩

(٢) يعني يوسف داغر امين دار الكتب في بيروت بمعجم للمسرحيات العربية على اختلاف انواعها فثبت له نحو ٣٠٠٠ ومنها ٣٠٠ مترجم عن لغات اوروبية.

(٣) راجع لزيادة الايضاح مقالا لاحد امين موضوعه «تراجم الرجال» - الثقافة ١ ع ٤٠ ص ١٣ ومقالاً لملي ادم موضوعه «التراجم في الادب الحديث» - الثقافة ٢ ص ١٨٢٦.

(٤) راجع مثلاً من كتب السيرة ما يلي - «الايام» لطف حسين وذكرى ابي العلا له - «جبران» لمخايل نعيمه - «خليل مطران» لاسماعيل ادم - «ابن الرومي» للعقاد - «المتني» لمحمود شاكر - «عمر ابن ابي ربيعة» لجبرائيل جبور.

المستفيضة التي تقدّم لبعض ما ينشر من مؤلفات أدبية شرحاً لحياة اصحابها وعرضاً لمناحي الفن في ادبهم^(١).

ودرس السيرة على هذا النحو متعلق بفن كتابي آخر هو فن النقد الادبي الذي يتناول خصائص الادب واركان الفن وكيف ننظر في الادب لنتبين مزاياه ومعانيه ولنميز بين حسناته وسيئاته . وهو فن قد تطوّر تطوراً يذكّر هذا العصر وخصوصاً من حيث الاهتمام بالعوامل المكانية والزمانية والتغلغل الى جوهر الكلام لشرح ما فيه من حركات نفسية وصور خيالية او فكرية . وقد عرضنا كل ذلك في مقدمة كتابنا « المختارات السائرة » فليراجعه من شاء^(٢).

الفن الخطابي

كانت الخطابة - على ما يروي الرواة - معروفة منذ ايام الجاهلية . جاء في صبح الاعشى^(٣) « انه كان للعرب بالخطب والنثر غاية الاعتناء وكان الخطيب انما يخطب في مشافهة الملوك او الحالات او الاصلاح بين العشائر او خطبة النكاح .

وقد غلب على الخطابة في الجاهلية ثم في عهد الصحابة نزعة الارشاد والحث على التقوى ولما اخذ العرب ينتشرون بالفتوح ويوطدون اقدامهم في الامصار ظهرت الحاجة الى الخطابة الحربية والسياسية . ولهم في ذلك اقوال مشهورة وكلها من النثر الموجز المتين النسيج المرسل على السجيّة .

وظلت الخطابة على هذه الحال طوال العصر الاموي وشطراً من العصر العباسي ثم انحصرت في المساجد والمقامات الرسمية ولبست اثواب الصناعة البديعية^(٤) وظلت كذلك حتى مفتتح عصرنا الحاضر . ومنذ اواخر القرن الماضي اخذت الخطابة

(١) راجع مثلاً مقدمات المنشورات التالية - ديوان ابن الجهم لخليل مردم بك - ديوان ابن الساعاتي لائيس المقدسي - ديوان شوقي لحسين هيكل

(٢) وليراجع ايضاً - اصول النقد الادبي ل احمد الشايب - النقد الادبي لسيد قطب - النقد المنهجي عند العرب لمحمد غندور - الشعر في ضوء النقد الحديث للسحرتي - النقد الجمالي لروز غريب

(٣) ج ١ - ٢١٠

(٤) ويمثلها خطب ابن نباتة في القرن الرابع الهجري .

تنتعش وتتطور . ولا نعلم عصراً تفنن الناس فيه بالخطابة كهذا العصر، وذلك طبيعي في مثل هذه النهضة الجديدة التي كثرت فيها الجمعيات وتطورت الحياة السياسية والاجتماعية . وهكذا فتحت ابواب شتى لمخاطبة الجمهور ونشأت في الاقطار العربية المختلفة ضروب من الخطب لم يُعْنَ بها القدماء وهي عادةً من الكلام السهل المرسل . على انه يمتاز عن الاسلوب الكتابي السائد في المقالات والمؤلفات بما يكثر فيه من صيغ المخاطبة والاستفهام والايهام والتكرير والتعجب والقسم وتقطيع العبارات تقطيعاً يناسب نبوات المتكلم واشاراته مع الاكثار من الشواهد الموضحة والعبير المؤثرة .

وتتناول الخطب الحديثة جميع مناحي الحياة - فمنها -

السياسية والوطنية - وقد اتسع نطاقها بعد توطيد النظم الديموقراطية والمجالس النيابية والمنظمات الحزبية . ويمثلها في ادبنا الحديث عدة مجموعات منشورة كخطب عبدالله نديم^(١) ومصطفى كمال^(٢) وسعد زغلول^(٣) وخطب الشيخ بشاره الحوري^(٤) . هذا فضلاً عن كثير من الخطب لخطباء يمتازون اهتزازها المناو و نشرت في الصحف ولكنها لم تجمع في كتب خاصة .

الادبية والاجتماعية - وتتناول الانسان والطبيعة والعمران وصفاً او نقداً وتحليلاً وتلقى عادة في الحفلات العامة ونوادي الجمعيات والمعاهد . ويمثلها مثلاً الخطب المنشورة في شتى الجرائد والمجلات . وفي شتى المجموعات الخطابية كالريحانيات لامين الريحاني، وعلى المنبر لنقولا فياض، والبيادر، وزاد المعاد لمخايل نعيمه، وكلمات واشارات لمي .

الروحية - وهي التي ترسل من على منابر الكنائس والمساجد والجمعيات الدينية حضناً للناس على التقوى وتوجيهها للنفس الى الحياة العليا وتقوية للشعور الديني بين ابناء الطوائف المختلفة .

(١) خطب الثورة العربية .

(٢) مؤسس الحركة الوطنية في مصر .

(٣) مؤسس الحركة الوطنية ومؤسس حزب الوفد .

(٤) رئيس الجمهورية اللبنانية .

العلمية - وهي المحاضرات التي يلقيها في الجامعات او المجامع والنوادي العلمية متخصصون في بعض فروع العلم والادب واسلوبها عادة هو اسلوب البحث المنطقي لا اسلوب الخطابة الاقناعية التي يراد بها تحريك الشعور.

...

وقد شاع مؤخراً نوع آخر من الخطب هو الحديث المرسل من محطات الاذاعة . وانما جعلناه نوعاً خاصاً لانه يمتاز بايجازه اذ لا يتجاوز القاءه ربع الساعة . ويتناول شتى المواضيع التي يراد بها توجيه الجمهور او اطرافه بما يلزمه ويفيده من الاخبار والمعلومات . ويمكن عدّه اكثر الانواع الخطابية انتشاراً واوسعها مدى واشدها اتصالاً وتأثيراً بحياة الجمهور .

تجريد الاسلوب الشعري

وله في هذا العصر ثلاث ظواهر رئيسية هي : التصميم الفكري - والتفنن البياني - وحوية الاخراج

التصميم الفكري او وحدة النظم

وصف ابن قتيبة (المتوفى ٢٧٦ هـ) اسلوب النظم القديم بقوله « سمعت بعض اهل العلم يقول ان مقصد القصيد انما ابتداء يذكر الديار والدمن والآثار فشكى وبكى وخاطب الربع واستوقف الرفيق ليجعل ذلك سبباً لذكر اهلها الظاعنين ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدة الشوق والم الوجد والفراق وفرط الصبابة ليُسَمِّلَ نحوه القلوب ويصرف اليه الوجوه ويستدعي بها اصغاء الأسماع اليه . فاذا علم انه قد استوثق من الاصغاء اليه عقب بايجاب الحقوق، فرحل في شعره وشكا النصب والسهر وسري الليل وانضاء الراحة فاذا علم انه قد اوجب على صاحبه حق الرجاء وذمام التأمل وقررّ عنده ما ناله من المكاره في السير بدأ بالمديح . فالشاعر المجيد من سلك هذه الاساليب وعدل بين هذه الاقسام ولم يطل ويملّ السامعين ولم يقطع والنفوس ظمأى الى المزيد » (١) .

والذي يراجع الدواوين العربية منذ اقدم الازمان الى عهد رواد نهضتنا الاخيرة يجد في معظمها ما يزيكي قول ابن قتيبة . فقد كان الشعراء عموماً يجمعون في القصيدة الواحدة شتى الأغراض من غزل ووصف وفخر وحكم ومديح وغيرها وكثيراً ما تكون هذه الأغراض مستقلة احدها عن الآخر او تكون الرابطة بينها غير ما نظمت لاجله القصيدة حتى انه يمكن الاستغناء عن بعضها دون ضرر ظاهر . ويرى اديب عصري كبير ان هذه الوحدة مفقودة في معظم

(١) بتصرف عن مقدمة كتابه الشعر والشعراء .

ما كتبه القدماء من منشور ومنظوم^(١).

هذه مثلاً أشهر القصائد الجاهلية - معلقة امرئ القيس - فان نظرة واحدة فيها توضح ما نقصد اليه . فهي تبدأ بمقدمة غزلية يقف فيها الشاعر على طول الحبيبة، ويصل ذلك بمحادثة جرت له معها ومع صواحبها، ثم يتحوّل الى وصف نفسه وفرسه وبعض احواله ، وبغيةً يمجّتها بوصف المطر والسيول في بعض انحاء نجد .

ونحن لا نقول ان هذه القصيدة فوضى لا رابطة اصلاً بين اجزائها، ولكننا نقول انها خالية من غاية رئيسية تتضافر جميع الاجزاء على ابرازها او توجيه الافكار نحوها، اللهم الا اذا جعلنا الشاعر نفسه تلك الغاية .

وليست كل قصيدة قديمة على غرار هذه المعلقة في تباين مشاهدتها وترتيب اجزائها ، على انها ان لم تكن كذلك فهي عادة مؤلفة من ابيات مستقلة متشابهة المعاني تتابع في القصيدة الواحدة دون رابطة غير شعور الناظم نحو شخص من الاشخاص او حادث من الحوادث . ولا يُعدّ ذلك عيباً في النظم وانما هو من طبيعة الشعر الغنائي او الوجداني الذي انحصرت فيه عواطف شعراء العرب قديماً فبلغوا فيه منزلة عالية جداً . والذي يؤخذ عليهم انهم اكتفوا به وصار الخلف يتابع السلف في موضوعات قديمة واساليب عريقة لم يخرجوا عنها الا في القليل النادر الذي لا يصح ان يعتبر اتجاهاً جديداً في ادبهم المنظوم . فلما احتكوا حديثاً باداب الامم الاخرى وجروا شوطاً بعيداً في مضمار الحضارة الجديدة اتسعت لديهم آفاق النظر في الحياة فظهر في شعرهم موضوعات واساليب مما يقتضي وحدة في النظم او تصميماً في العواطف والصور الخيالية كما يتجلى ذلك لنا في الشعر التأملي والملاحم والقصص والمسرحيات وما الى ذلك من اساليب الشعر الحديث، ولنوضح ذلك ببعض الامثلة .

فمن باب الشعر التأملي قصيدة الطلاس لايلى ابو ماضي^(٢) . وهي مؤلفة من واحد وسبعين دوراً رباعياً تنتهي جميعها بعبارة واحدة هي بمثابة لازمة او قرار

(١) شفيق جبري في الجزء الثاني من المجلد السابع والعشرين من مجلة المجمع العلمي العربي ص ١٧١

(٢) راجعها في ديوانه الجداول .

يرجعنا اليه الشاعر وبه يوحد عواطفه وخيالاته . ومطلع القصيدة .

جئتُ لا اعلمُ من اين وليكني ابيتُ
ولقد ابصرتُ قدامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى ماشياً ان شئتُ هذا ام أبيتُ
كيف جئتُ؟ كيف ابصرتُ طريقي - لست ادري

وفي القصيدة يحاول الشاعر ان يصوّر لنا ما يشعر به من قصور عن ادراك كنه الحياة وسرّها الغامض . فيقف امام مشاهد الطبيعة وال عمران حائراً متسائلاً ولكنه لا يحظى بما يزيل حيرته او يجيب عن اسئلته . اسمعه مثلاً يخاطب البحر

انّ في صدري يا بحرُ لاسراراً عجاباً
نزل الستّر عليها وانا كنتُ الحجاباً
ولذا ازداد بعدا كلما رمت اقتراباً
واراني كلما اوشكتُ ادري - لستُ ادري

ومثل وقفته امام البحر وقفاته المختلفة امام الدير والقبر والقصر والكوخ وسواها . وهكذا ينشأ في نفسه صراع عنيف لما يرى من ظواهر لا يستطيع ادراك ما وراءها .

كلماً ايقنتُ اني قد امطتُ الستّر عني
وبلغت السرّ سبراً ضحكك نفسي مني
قد وجدت اليأس والحيرة لكن لم أجدي
فهل الجملُ نعيمٌ ام جحيمٌ - لست ادري

ولا يزال كذلك حتى يصل الى ختام القصيدة فيقول مستسلماً

انني جئتُ وامضي وانا لا اعلمُ
انا لغزٌ وذهابي كمجيئي طلسمُ
والذي اوجد هذا اللغزَ لغزٌ مُبهمُ
لا تجادل . ذو الحجب من قال اني - لست ادري

فالتأمل يرى ان جميع ادوار القصيدة متضافرة في الاتجاه نحو غرض واحد هو روح القصيدة او فكرتها الاساسية ولا يخرج القارىء من قراءتها الا وهو محمول على اجنحة التأمل الموسيقي الى ذلك الغرض . ومثل ذلك يقال في قصيدته « الاسطورة الازلية »^(١) . ومن هذا الباب : قصيدة التمثال لعلي محمود طه^(٢)

ويرمز الشاعر بالتمثال الى الامل الذي ينحته الانسان في قلبه ايام الشباب - « يُبدع في تصويره وصفه متخيلاً فيه الحياة ومرحها وجمالها . لكنّ الزمان يمضي وتمثاله لا يزال طيناً جامداً حتى تحمّد وقدة الشباب في دم الصانع الطامح وتُشعره السنون بالعجز والضعف وحينئذ يرى ان حلمه لم يتحقّق وان ذلك التمثال (تمثال الامل) قد عصفت به الليالي فاصبح حطاماً . فيصرخ يائساً ويمضي القدر في عمله » . هكذا يوطئ الشاعر لقصيدته . ومن ابياتها قوله يخاطب تمثاله -

صورة انت من بدائع شتى ومثال من كلّ قدّ رشيق
بيدي هذه جبلتك من قلبي ومن رونق الشباب الانيق
كلما شمتُ بارقاً من جمال طرت في اثره اشقّ طريق

فياخذ من النجم بريقه ومن الطير اغانيه ومن الكرم خمره ومن الربيع نضارته . ومن كلّ ذلك يصنع تمثاله ثم يقول للطبيعة الحيرى -

انا يا امّ صانع الامل الضاحك في صورة الغد المرموق
صغته صوغ خالق يعشق الفن ويسمو لكلّ معنى دقيق

ولكن اين الغد واين املي فيه ؟ هوذا تمثالي محطّم امام عواصف الايام . وانا -

لم أعد ذلك القويّ فاحمه من الويل والبلاء الحيق

وهكذا تكرّر الايام ويجيء الغد على رجل واهن القوي متحطّم الآمال

مرّ نور الضمى على آدمي مطرق في اختلاجة المصعوق

(١) راجعها في ديوانه الخمائل ١٢٧ .

(٢) راجعها في ديوانه الملاح الثاني ٨٦ .

في يديه حطامة الأمل الذاهب في ميعة الصببا الموموق

وامثال هاتين القصيدتين كثيرة في عصرنا الحاضر وكلها ترجع الى تأثر الفن بالتفكير المجرد وذلك ما لم يُعَنَّ به ادبنا القديم وقد المعنا اليه ومثلنا عليه في كلامنا على النزعات الروحية في الادب الحديث^(١).

...

ولنتحول عن باب المجردات الى باب القصص الشعري . وهو عند التحقيق يشمل القصة العادية والمسرحية والملحمة والرحلات الخيالية .

فالقصة - وهي شائعة في هذا العصر تتناول شتى الأغراض وتمس كل نواحي الحياة . ويقوم جمالها الفني على ثلاثة اركان رئيسية :

(١) سمو الخيال . سواء كان ذلك في ابتداع الموضوع او ابتداع الطريق الموصلة اليه .

(٢) قوة التشويق . او جمال التدرج في عرض الحادثة بما يزيد النفس توقفاً الى الكشف عن غرضها .

(٣) حيوية النظم . او قوته على اثارة الفكر والخيال والعاطفة .

وقد كان في الشعر القديم شيء قليل من القصص الا انه عادةً من باب « حكايات الحال » التي تقع عليها في شعر عمر بن ابي ربيعة وابي نواس وامثالهما حيث يقص علينا الشاعر بعض غرثاته الغرامية او الخمرية او يصف لنا بعض وقائعه الحماسية . والحقيقة ان القصة لم تصبح باباً من ابواب الادب العربي الا بعد احتكاكنا بالادب الغربي وقد اشرنا الى ذلك آنفاً وشرحناه فنكتفي الان بالملاحق التالي ثبت فيه عدداً من القصص الشعرية التي قد تساعد محب البحث في تكوين فكرة عن هذا الفن الادبي الجديد .

(١) ومما يحسن مراجعته من هذا القبيل - الحية الخالدة : لمي محمود طه - مجلة الحديث (حلب)
السنة ٩ ك ٢ - روح الاشتراكية : للمؤلف المورد الصافي ٤ - ٢٢٨ - الحرمان : لحسن كامل الصيرفي
- ديوانه الشروق ٢٣ - المؤودة : لمحمود حسن اسماعيل مجلة الكتاب ٤ - ١ - الدفعة الاخيرة لمحمد
رجب البيومي الثقافة ١٠ ع ٤٨٦ .

ونحن نثبتها هنا دون نقد او تعليل تاركين ذلك لمن شاء التخصص في درسها ومقابلتها بما انتجه الغرب في هذا الباب . ولا بدّ لنا من القول ان هذا النوع من الادب هو بالاكثور من نتاج القرن الحاضر^(١) . ويلاحظ فيه تطوّر بين ذلك في خروج الشاعر عن نفسه الى العالم الذي حوله فليس ما يقصه علينا اليوم حكاية حال خاصة بل هو صور شتى منتزعة من بيئته الاجتماعية او التاريخية .

ملحوظيات باب القصة الشعرية

موضوع القصة	الناظم	المرجع
الطفلان	خليل المطران	الهلال ٢٧-٥٠٧ وديوانه ٢-٦١
الجنين الشهيد	»	ديوانه ١-٢٢٣
شهيد المروءة	»	ديوانه ١-٨٢
الجمال والكبرياء	شبل مّلاط	ديوان المّلاط ٢٥٩
خولة بنت الازور	»	» ٢٨٣
بين العرس والرمس	»	» ٣٢٩
الجمال والتواضع	امين تقي الدين	مجلي الغرر (صفيّر) ١-٢١٩
القميص المخضب بالدم	يوسف مراد الخوري	نثار الافكار (مطبعة الهدى نيويورك ١٩١٣) ٦٨
الوفاء	الياس فياض	المورد الصافي ٩-١٠٨
عروة وعفراء	بشاره الخوري	البوق (بيروت) العدد ٣٣٩١
الريال المزيف	»	» ٣٤١٥
سلفين وجيروم	»	» ٣٤٣١
بنت يفتاح	بولس سلامه	لسان الحال (بيروت) ٢٥ نيسان ١٩٣٥

(١) وقد ظهرت تباشيره في اواخر القرن الماضي كما ترى مثلاً في بعض قصائد الشاعر اللبناني خليل الخوري وسواه .

اقوى من الحب	نقولا حداد	مجلة الجامعة (لفرح انطون) ٢٧٤-٥
تأثير المهاجرة	» »	» » ٣٦٧-٥
سليم وسلمي	خليل شيبوب	ديوانه . الفجر الاول ١١٧
الفقر والسقام	معروف الرصافي	ديوانه (١٩٣١) ١١٣
وادي العقيق	فارس مراد سعد	البوق - العدد ٣٣٢٦
عليا وعصام	قيصر المعلوف	ديوانه تذكّار المهاجر (١٩٠٤) ١١١
قبلتان	ابراهيم العريض	نشرتهادار العلم للملايين بيروت ١٨٤٨
بين عشية وضحاها	» »	الرسالة ٦ - ١٨٣٢
ليلة الزفاف	» »	» ٨ - ٩٠٧ ^(١)
الراهبة	ندره حداد	ديوانه - اوراق الخريف ١٧٣
العدراء	خير الدين الزركلي	البوق - العدد ٣٣٧٠
احسن الاول	محمد مصطفى الماحي	ديوانه (١٩٣٤) ٦٦
زينب وخالد	خيري الهنداوي	الادب العصري في العراق (بطبي)
اسماء (وقصص اخرى)	جميل الزهاوي	قسم المنظوم ١ - ١٧٤
المصدورة	الياس ابو شبكه	ديوانه (١٩٢٤) قسم ٣ ص ٦٨
غلواء	» »	ديوانه . القيثارة ٥٢
الفضيلة الملتزمة	ادوار مرقص	ديوانه ٤١١ - ٤٢٦
نهاية الابطال	مير بصري	مجلة الكتائب المصري ٣ - ٦٨٩
ليجيا	لمؤلف الكتاب	مجلة الاخلاق (نيويورك) عدد اذار ١٩٢١
المجدلية	لسعيد عقل	

المسرحية الشعرية

وهذه مما لم يعرفه الادب العربي قبل النهضة الاخيرة . وهي اما ان تتركز على فكرة خاصة او عارض عاطفي قوي فتتجسم في حادثة قصيرة يمثلها اشخاص قلائل، واما ان تكون معرضا لحادثة رئيسية يتصل بها حوادث ثانوية شتى ويقوم بتمثيلها عدة اشخاص .

ولعلّ اقدم مسرحية في الشعر العربي الحديث تلك التي وضعها خليل اليازجي سنة ١٨٧٦ واطلق عليها اسم « المروءة والوفاء » . وهي رواية عربية الروح تدور على حادثة جاهلية حدثت لدى النعمان ملك الحيرة وذلك في يوم من ايام بؤسه . والحادثة معروفة وهي تمثل قباحة الظلم وجمال الفضائل البدوية من مروءة ووفاء واکرام للضيف وحبّ شريف .

وقد ظهر منذ ذلك الحين الى الآن عدد وافر من المسرحيات الشعرية منها ما يعود الى اصل تاريخي او اسطوري^(١) ومنها ما يتناول بعض الموضوعات العصرية^(٢) . على ان اشهرها روايات احمد شوقي^(٣) وهي معروفة في مختلف الاقطار العربية^(٤) .

(١) مثل ميلاد النبي : لمحمد زيتون - ثورة بيدبا : لرثيف الخوري - قيس ولبنى : لعزیز اباضه - فتح الاندلس : لفواد الخطيب - امرؤ القيس : لمحمد حسن علاء الدين - سيرايميس : لعمر ابو ريشه - اغنية الرياح الرابع : لعلي محمود طه - ولادة : لعلي عبدالمعظم - يثرب : لعلي سرور - الناصر : لعزیز اباضه - قدموس : لسعيد عقل - وبنت يفتاح له - عشتروت وادونيس : لحبيب ثابت .

(٢) مثل جزاء المكر : لرشيد عطيه - ثورة العراق : لعبدالحمد الراضي - الغيرة : لاجد رامي - ميسلون : لبدرالدين حامد - الحبل في العنق : لنقولا بسترس - على هامش الجامعة العربية : لعزیز اباضه - الرداء الازرق : لاجد سعد الهواري - همام : لاجد باكتير - مسعود : لمحمود ابو النجا (مجلة ابولو ٢ - ٢٤٣) - المالك : لابو شادي (ابولو ٢ - ١٦٦) .

(٣) واشهرها كليبواطره ومجنون ليلى وعنتره .

(٤) ممن درسها دراسة وافية محمود شوكت - راجع درسه في المقتطف ١١٠ لواقع الاعداد ٣

الملحمة

ويراد بها المطولة من الشعر التي تصف لنا البطولة في سيرة شخص او تاريخ امة، وقلما تجد لها اثرًا يذكر في الادب العربي القديم . اما الادب الحديث فقد اخذ يتوجه في هذا السبيل . وهو كما قلنا في غير هذا المقام ناجم عن يقظة العرب القومية منذ بدء هذا القرن والتفاتهم الى ابحادهم السالفة . وليست اكثر الملاحم البطولية التي ظهرت حتى الآن الا محاولات لم تستكمل نضجها بالنسبة الى ما عند الافرنج من ذلك^(١) . على ان افضل ما يمثل الملحمة الحقيقية في ادبنا الحديث كتاب « عيد الغدير » لبولس سلامة وهو قصائد شتى تقع في ما يقرب من ٣٥٠٠ بيت من البحر الخفيف ومداره على « اهل البيت العلوي » في اهم ما يتصل بهم منذ الجاهلية حتى مأساة كربلاء . وعذر المؤلف في اتخاذ هذا الموضوع « ان العروبة المستيقظة اليوم في صدور ابنائها لاجوج ما يكون الى التمثيل بابطالها الغابرين وهم كثيرون، على انه لم يجتمع لاحد منهم ما اجتمع لعلي من بطولة وعلم وصلاح ولم يقم في وجه الظالمين اشجع من الحسين »^(٢) . ومهما تكن معتقداته في العلويين والامويين فمما لا شك فيه انه قد اجاد في نظمها برغم طولها - اجادة تحله المحل الاول بين ناظمي الملاحم العربية وتوقع ملحمة الى مصاف الحسان من الملاحم الافرنجية . وكنا نود ان نثبت هنا بعضا منها للتمثيل ولكننا نرى ان يرجع الباحث اليها رأساً ويقرأها جميعاً ليدرك حسن الفن فيها وما بذل من جهود في اخراجها .

(١) ومن امثلتها القصائد التالية وقد مر ذكر بعضها في مقام اخر - عمرية حافظ ابراهيم - علوية محمد عبدالمطلب - بكريه عبدالحليم المصري - خالدية عمر ابو ريشه « ومحمد » له - الالباذة الاسلامية لاحد محرم (راجع بعضها في الثقافة ٢ ع ٥٩) - ارض الشهداء لابرهم العريض وهي تصف مأساة فلسطين - ملحمة العرب لحليم دموس .

(٢) مقدمة الكتاب للناظم ٢٤ .

الرحلة الجبالية

وقد أطلقنا عليها اسم الرحلة لان الشاعر يرحل فيها بخياله الى العالم العلوي واصفاً لنا مشاهداته وخواالج نفسه . وهذه الرحلات الملوية معروفة في النثر العربي القديم ومنها حديث المعراج النبوي ، وكتاب التوهم للمحاسبي ، ورسالة الغفران للمعري ، والتوابع والزوابع لابن شهيد الاندلسي ، ووصف الآخرة في الفتوحات المكيّة لابن العربي . واما الشعر القديم فلم يُعْن بها وانما ظهرت في الشعر الحديث . وبما ظهر منها -

ثورة في الجحيم - لجميل الزهاوي^(١) .

على بساط الريح - لفوزي المعلوف

عبر - لشفيق المعلوف

الحلم المربع - لمحمد الفراتي^(٢)

شاطيء الأعراف - لمحمد الممشري^(٣)

ترجمة شيطان - لعباس العقاد^(٤)

المعري يبصر - لمؤلف الكتاب^(٥)

ولنقف هنا للتمثيل على قصيدة فوزي المعلوف فهي من اشهر هذه الرحلات الحديثة . والفكرة الاساسية فيها ان موطن الشاعر الحقيقي ليس على الارض فهو يتوق ابدآ الى الانعتاق من عبودية المادة ليتمتع بحريّة الحياة العليا . وقد تم ذلك للشاعر في حلم رأى نفسه فيه على متن طيارة يصعد في الجو . وفي اثناء تصعيده يسمع احاديث الطيور والنجوم والارواح وآراءهم في الانسان والعالم الارضي . فيعيد البنا هذه الاحاديث والآراء ملونةً باصباغٍ من تشاؤمه الخلاب .

(١) راجع مجلة الرسالة ٣ - ١٥٥٧ و ٥ - ٢٨٣ و كتاب قلب العراق للريحاوي ٢٥٣

(٢) ديوانه (١٩٣١) ٩٥ . وله ايضا الكوميديا وهي سياحة في عالم الافلاك

(٣) راجع روائع شعراء الجيل (فهمي)

(٤) ديوانه (١٩٢٨) ٢٣٨

(٥) راجعها في المورد الصافي ١٠ - ١٤

ولا يزال صاعدا حتى يصل الى عالم الارواح حيث يلتقي بروحه فيتمتع بلقائها
هنية من الزمن. ثم يستيقظ من حلمه فاذا هو في غرفته وليس الى جنبه غير
يراه الذي لا يرى في الحياة خلا وفيّاً سواه .

وهذه المنظومة الجميلة تقع في عدة اناشيد ولكنها على تنوعها مرتبطة بفكرة
واحدة ولعلّها تتجلى في هذه المختارات القليلة منها -
الشاعر يخاطب روحه -

لست من عالم التراب وان كنت تقبّصت بالتراب عليه
انت من عالم بعيد عن الارض يفيض الجلال عن جانبيه
وفني الشعر يستنزل الوحي بيانا يحشو الخلود لديه
ما احمرار الاصيل غير لهيب شع من قلبه ومن مقلتيه
وركام السحاب غير دخان نفثته الهموم من شفتيه
ما انين الرياح غير زفير نزعته الرياح من رثتيه
ونواح الطيور غير عويل نفثته الطيور عن اصغريه
ما ندى الفجر غير لؤلؤ دمع رشفته الازهار من بحجريه
وبريق النجوم غير شظايا كأس حب تحطمت في يديه

بين الطيور

وتواه الطيور فتوجس منه شرّاً لانه انسان وتحشد جموعها لتنفّض عليه
فيخاطبها بقوله -

لا تخافي يا طير ما انا الا شاعر تطرب الطيور لشعرة
زارك اليوم ينشد الراحة في هدأة السكون وسحره
فرّ عن ارضه فرارك عنها من اذى اهلها وتنكيل دهره
ثم يقول لها -

هو في ميعه الشباب ولو حدّقت فيه ابصرت شيخاً هزيباً

ألف اليأس قلبه فهو واليأس يحاكي بُشينةً وجميلاً
تاه في عالم الخيال فضاعت نفسه وهي تنشد المستحيلاً

ومن نشيد له يخاطب النجوم -

أيُّ علم سبكه ذهبياً لم تذببه بنارها الأيام
ورجاء حبه من خيوط النور لم ينسدل عليه ظلام

ويختم هذه الرحلة بنشيد يخاطب فيه يراعه بعد ان استيقظ ولم يجد بقربه
سواه . فيقول -

واذا بي اهوي الى الارض وحدي بعد حرّيتي اكابد رقا
تركنتي روحي وعادت لأوامها تشقّ الشماع في الجو شقاً
فرايت اليراع قربني يؤاسيني ويبكي لما لقيت والقي
يا يراعي ما زلت خير صديق لي منذ امتزجت بي وستبقى
باسماً من سعادي حين اهنأ باكياً من تعاسي حين اشقى
رُبّ دمع كفكفته من عيوني مال جبراً في الطرس يخفق خفقا
وعذاب نزعت من ضلوعي اجّ بين السطور يحرق حرقا
وزفير حولته لصير يا يراعي رافقت كلّ حياتي
انا لم التّ مثل صمتك صمتاً حوله عرائس الشعر نطقا

وبهذا تنتهي رحلة فوزي المألوف

ولولا ضيق المقام لوقفنا وقفة على «عبر» لشقيقه شقيق فهي لا تقل روعة
عن قصيدة «على بساط الريح» وقد تفوقها في بعض المناحي . ولكلّ من الرحلات
الأخر التي مرّ ذكرها موضوع خاص وطريقة خاصّة وهي مع تفاوتها في قوّة
الفكر والخيال جديرة بالمطالعة والنظر .

الفن البياني

عني القدماء اشدّ العناية بالبيان وذهبوا فيه كل مذهب من تشبيه واستعارة وكناية ومجاز. ويظهر انه قد كان لهم في التشبيه طريقة مسلوكة، او قل اصطلاحات عرفيّة - يستعملونها لاحقاً عن سابق. ومن ذلك تشبيههم الجواد بالبحر والمطر، والشجاع بالاسد، والحسن بالقمر والشمس، والعالي بالنجم، والحليم بالجبل الى آخر ما هنالك^(١). وفي كتاب «الوساطة» يعرض الجرجاني للسرقاات الشعرية فيجعل هذه الاصطلاحات التشبيهية نوعين - احدهما المشترك الذي يجوز لكل ان يتناوله كحسن القمر وعيون المهى واتساع البحر - والثاني ما سبق اليه المتقدم ولكنه اصبح متداولاً بعده فكثير استعماله وصار كالاول في الجلاء والاستفاضة وهذا ايضا لا يعدّ عنده من باب السرقة^(٢). على ان تداول هذه التشابه العرفية واشتراك الادباء في استعمالها لم يقف حائلاً دون التوليد والابتكار^(٣). ففي كلّ جيل نرى من يحسن توليد المعاني ويجيء منها بالمعجب المطرب. وبكفي للتمثيل ان نذكر توليدات ابي نواس وابي تمام والبحري وابن الرومي والمتنبي وامثالهم من سابقين وتابعين. والى هذه الحقيقة - ان عمل التطور لم ينقطع في جيل من الاجيال - يشير ابن رشيّق اذ يقول موازناً بين الحداثين والقدماء^(٤) - «فاذا تأملت تبين لك ما في اشعار جرير والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة. ثم اتى بشّار بن بُرد واصحابه فزادوا معاني ما مرّت قطّ بخاطر جاهلي ولا مخضرم ولا إسلامي. والمعاني ابدأ تتردّد وتتولد والكلام يفتح بعضه بعضاً».

واذا كان الامر كذلك فمن الطبيعي ان نرى في عصرنا الحاضر وحضارته الجديدة المتشعبة ما يوحى الى شعراء العصر معاني طريفة لم يُسبقوا اليها كما ترى في الامثلة التالية -

(١) راجع كتاب الصناعتين للعسكري (١٣١٩ هـ) ١٨٢

(٢) الوساطة (صيدا ١٣٣١ هـ) ١٤٤ و ١٥٥

(٣) راجع كلام ابن الاثير على المعاني في المثل السائر (بولاقي ١٢٨٢ هـ) ١٨٧ - ١٩٧

(٤) كتاب العمدة (مصر ١٩٢٥) ١ - ١٨٥

قال شوقي في المغني عبده الحموي -

✓ يسمع الليلُ منه في الفجر «يا ليل» فيصغي مستمهلاً في فراره

وخليل المطران مشبهاً الناس بموج البحر ومبيّناً ان ضعفهم هو سبب الاستبداد بهم.

لكن خفض الاكثرين جناحهم رفع الملوك وسود الابطالا
واذا رايت الموج يسفل بعضه الفيت تاليه طفى وتعالى

وله في سامي البارودي وفقده البصر -

اذا وسع الكون فكر امرئ فلا بأس بالطرف ان يحسرا
على الشمس ان تهدي المبصرين وليس على الشمس ان تبصرا

وله في الم الوجد وعتاب النفس

وكم عاتبتُ في النفس طوعاً وان عوتبتُ راعني الملام
كجرح قد الطّفه بمسي وان هو مسّه غيري أضام

وللمطران وصاحبيه شوقي وحافظ من هذا القبيل شيء غير قليل^(١) -

ومن طريف ما جاء لبشاره الحوري قوله في رثائه للزهاوي^(٢) يصف حاله وهو في طريقه الى بغداد

بغداد ما حمل الشرى متي سوى شبح مريب

جفلت له الصحراء والتفت الكتيب الى الكتيب

يتساءلون من الفنى العربي في الزمي الغريب

صحراء يا بنت السماء البكر والوحي الحبيب

اه دمة الادب الحزين رسالة الالم المذنب

من قلب لبنات الكتيب لقلب بغداد الكتيب

(١) راجع سلسلة الشعر المصري ومرقصاته في الهلال ٢٦ ص ١٨٤ و ١٣٧ و ٢٨٤ و ٣٠٨ و ٣٢٢

(٢) راجع المراثاة في الرسالة ٥ - ٧٢

وقوله في المسلول واصفاً سوء حاله وشدة سقمه -
 عيناه عالقتان في تفق كسراج كوخ نصف متقد
 ويمج أحبانا دماً فعلى منديله قطع من الكبد
 وقول شفيق المعلوم واصفاً عين شيطان الشاعر في منظومته «عبر»
 كأننا نحجرها كوة يطل منها الزمن الغابر
 وقول عمر أبو ريشه في الطلل الثابت على عادات الزمان
 لقد تعبت منه كف الدمار وباتت تخاف اذى لمسه
 هنا ينفذ الدهر اشباحه وينتحر الموت من يأسه
 وقول أحمد زكي أبو شادي في الاضواء المتراقصة على رمل الاسكندرية
 أي دنيا هذي التي ترقص الاضواء فيها ويصبح الضوء لحنا
 ولايليا أبو ماضي في عدم استطاعته التخلص من الناس مهما ابتعد عنهم
 خلت اني في القفر اصبحت وحدي فاذا الناس كلهم في ثيابي
 وقول رشيد أيوب في عصير الروح
 واشرب من عصير الروح خمرا يحول شعاعها دون العيان
 فان جاءت هموم الدهر يوما تفتش في مكاني لا تراني
 ولو اردنا الاطالة لاتينا بالكثير من التوليدات الجديدة لهؤلاء الشعراء ولسواهم
 من ادباء العصر. على ان هذه التوليدات لا تعد عند التحقيق اتجاهاً جديداً في
 ادبنا العربي بل هي خطوات اخرى في نفس السبيل الذي سلكه المتقدمون.
 واذا صح ان نطلق الجدة على شيء في هذا الباب فانما نطلقها على ما يستونه
 اليوم بالطريقة الرمزية التي اخذ بعض ادبائنا يسلكونها ويدعون اليها. فهنا اتجاه
 جديد لا يسعنا الا ان نقف قليلا عليه.

والرمزية عموماً نوعان - رمزية تشخيصية ويراد بها لباس الصور المعنوية
 البسة الاشخاص واجراء صفاتهم عليها. وهذه ليست بنت اليوم في ادبنا فقد
 عرفها القدماء كما ترى في رسالة حي بن يقظان لابن طفيل المتوفى سنة ٥٨١ هـ.

ويصحّ ان ندخل فيها ما وضع على السنة الحيوانات كقصص كليلة ودمنة ورسالة الانسان والحيوان لآخوان الصفا وغيرها. وفي ادبنا الحديث من سلك هذا السلك فاعتمد التشخيص الرمزي لنقل الافكار والعواطف كما فعل جبران مثلاً في مقاله حفار القبور وفي كثير من اقواله ورسومه، وتوفيق الحكيم في روايته شهرزاد واهل الكهف وسواهما، والياس فرحات في احلام الراعي. وليس هذا النوع من الرمزية ما نقصد اليه الآن. وانما نقصد الى تلك الطريقة القائمة على التأثير الموسيقي والاجاء اللفظي والتي تعتمد خلق جو عاطفي تتصل فيه النفس بما لا تتصل عادة في حالة الوعي العقلي.

وقد نشأت على ما يظهر معاكسة للطريقة الاصولية او الكلاسيكية من جهة ولانزعة الرومانتيكية من جهة اخرى. فالرمزيون يتهمون الاولى بالجمود والتقيّد بالقالب الصناعي ويتهمون الثانية بالسهولة المائعة والوضوح المبثذل^(١). ويقولون ان التركيب الاصولي ومحاولة التبسيط هما من خصائص النثر. اما في الشعر فيستعاض عن التنظيم والتبسيط بجهاز من الالفاظ المشرقة تتمازج فيه الاحرف تمازجاً يبعث في النفس ما تبعثه الموسيقى ويوحى اليها عن طريق الالهام معاني وراء المعاني فما الشعر الا نشوة تخرج الانسان عن حالة الوعي الى حيز اللاوعي حيث يلمح بالبصيرة الباطنية ما لا يستطيعه بواسطة العقل العادي الذي يعيّر عن نفسه بالمنطق والاصول. وبتعبير آخر ان الرمزية هي «نزعة الى التحرّر من ادب الواقع والملموس الى ارتياد آفاق جديدة طلباً للبحث عن الغامض من العواطف والتأثّر من الخلدات في منعطفات الروح»^(٢). واذا تحجّرت اقوال الرمزيين وجدت للغموض في طريقتهم مقاما يذكر. وقديماً عدّ الغموض او الالهام من البلاغة «لذهاب الوهم فيه كل مذهب ووقوعه على احتمالات كثيرة»^(٣). على ان الغموض الذي عرفته البلاغة القديمة ليس نفس الغموض الذي نجح اليه الرمزية اليوم فذاك قائم على الفاظ غير محدودة المعنى مثل ما

(١) راجع مقال الدكتور نقولا فياض في مجلة الادب (بيروت) ١ ج ٨ ص ٣

(٢) زكي طليمات في المكشوف (بيروت) ٤ ع ١٤٥ ص ٣

(٣) راجع فصل الالهام في باب الصناعة المعنوية من كتاب المثل السائر لابن الاثير

الموصولية في قول ابي نواس « وبلغت ما بلغ امرؤ بشبابه » . فما هنا مبهمه وهي اوسع افقاً من اي لفظة محدودة المعنى توضع مكانها ووضح تعبيراً عن شعور الشاعر . واما غموض الرمزية فشيء آخر كما سنرى . ولعلنا ندرك خصائصه من شرح بعض خصائص الرمزية نفسها التي يقول فيها احد كبار الادباء^(١) - « انها بدعة المجددين في اواخر القرن الماضي وهي تجربة قام بها بعض ادباء الفرنسيين » . والذي يتراءى لنا ان خصائص الرمزية او عناصرها الرئيسية هي ما يلي -

- ١ - نسبة غير مألوفة بين بعض الموصوفات واصافها
- ٢ - الاكتفاء من المعاني بالمعاني القصية واللمحات الخفية
- ٣ - احداث نشوة في النفس من جراء الايقاع الصوتي الحاصل من تلاؤم الحروف والالفاظ

فمن الاول ما جاء عن طريق النعت كقولهم - الشهوة الحمراء - الهناء الازرق - الجمال الحجول - الثلوج الخرساء - العدم الضريع - الطعام الرمادي - الضوء البليل الخ الخ .

او عن طريق الاسناد او الاضافة - كقولهم - ضباب القنوط - كبرياء النهار - احتضار الليل - جفاف الجمال - تلهث في رأسي الفكر - وغير ذلك مما اصبح شائعاً في نظم بعض العصرين . وهاك مثلاً قول احدهم من قصيدة موضوعها « وشوشة »^(٢) -

في ثغرها ابتهاجٌ يمس لي تعالٍ
الى انعتاقٍ ازرقٍ حدوده المحال

وشوشة كريمة سخية الظلال
ورغبة مبحوحة ارى لها خيال

(١) مجلة الاديب مج ١ ع ٧ ص ٤

(٢) من ديوان طفولة نهد لنزار قباني ص ٣٥ - ومعظم الديوان من هذا القبيل

على فمٍ يجوع في عروقه السؤال
يهتف بي عقيقه غدا لك السؤال

فلو تأملت هذه الاوضاع وامثالها لوجدتها خارجة عن المؤلف الذهني . وهي عند التحقيق من باب المجاز المرسل المعروف في كتب البلاغة . على ان في الرمزية كما يقول اصحابها شيئاً غير مجرد البيان المجازي . هو ذلك الانعتاق من قيود المعقول والمحدود توصلاً الى اغوار الشعور الانساني

فوصف الشهوة مثلاً باللون الاحمر يرسم امام الذهن صورة تنبّه لقوة الشهوة وفتكها وما ينتج عنها من عواقب دامية . ونسبة الحجل الى الجمال نفسه يرينا صورة خلابه لوجه جميل يكسوه الحجل لون الورد البديع . وجنون الاعراس ينقلنا دفعة واحدة الى مكان تقام فيه الافراح الصاخبة فنشاهد عريضة الشاربين واهازيج الهازجين وما يصعب ذلك من اضطراب وتشويش بين المجتمعين . وهكذا قل في سائر اوضاعهم ومصطلحاتهم .

وفي هذه النزعة الجديدة يقول الدكتور فياض^(١) . « وقد وصل بعض المجدّدين من الافرنج الى تشبيه عواطفهم بالالوان . فالتقى لون وللفرح لون وللذة لون وللشعب لون وللضجر لون الخ » . وقريب من هذا قول امين الريحاني في مقاله « روح اللغة »^(٢) . « فان للالفاظ ما سوى الرنة والوزن بل الموسيقى والشكل الواناً ايضاً وروائح فيما دقّ وشفّ وتماوج وفاح من معانيها . اجل ان من الالفاظ ما يُبعد من الاحياء . لها مرونة البان وصلابة السنديان وسلاسة الماء الجاري وشذا الريحان وزمزمة الرعود وصفير البلابل وهمس النسيم وائماء الالوان بما يجعلها لدى الكاتب كنزاً في الانشاء والابداع » .

ولقد كان لبنان اوّل من تابع الرمزيين الافرنسيين فظهر فيه مؤخرانجبة بمن جروا في هذا المضمار . يمثّلهم سعيد عقل ناظم المجدلية وقدموس وسواهما . ولعلّ في الامثلة القليلة التالية ما يوضح اسلوبه قال في مطلع « المجدلية » -

هداةً تمتت وحلم اضاء في محيّا مغرورقٍ نعاء

(١) كتابه « على المنبر » ٢٠٨ - ومقاله في الهلال ٤٥ - ٢٦٣

(٢) الهلال مج ٣٠ ص ٤٧

ففي نسبته التمتة الى الهداة يريد ان يخلق في نفس القارىء او السامع جوّاً خاصاً لدى سكون المكان . حتى لقد يشعر ان هذا السكون يتم الى نفوسنا بشيء يطربنا دون ان نفهمه . ومثل هذا الجو قد نشعر به في قوله من القصيدة نفسها .

وامتلان الضياء سُفرة ثغري وغفا ملئها عليل الاماني

ففي غفوة الضياء عليل الاماني وقد امتلان سُفرة ذلك الثغر ما لا نحتاج الى تفسيره لنشعر بنشوة العاطفة الموسيقية ولعلّ في التفسير والتحليل ما يذهب بتلك النشوة .

وعلى هذا النسق قوله -

تتكي رحمة العلي بين جفنيه اتكاء السنا بحضن البرية

وقوله -

ويجول السلام في شفتيه حُلماً ايضاً وافقاً ظليلاً

ومن مسرحية قدموس - واصفاً صراع قدموس والتنين .

هاج يكسوهما العجاج فلم أبصر سوى السيف صاعقاً كالضهير

والاساطير حول ضربته تولد في الصخر - في الرابي - في العصور

ومنها في اللبنانيين

يوقظون الدنيا على ضربة المِعول مستعمراً فتنهض سكرى

وفي هذه المسرحية كثير من مثل هذه النفثات

على انّ من الرمزيين من لا يقف عند هذا الحدّ - حدّ الإيقاع الصوتي

والإيحاء الى ظلال المعاني باستعمال غير المؤلف من الاوصاف والمجازات، بل يحرص

على جعل الكلام قصيّ اللمعات خفيّ اللمعات فيلقي حول المعاني ضباباً كثيفاً

من اللفظ يجهد الفكر في تقصي ما وراءه . ومن رواد هذا النوع من الادب

بشر فارس في كثير من نثره وشعره . والبك مثلاً هذه القطعة من قصته التي

موضوعها «رجل»^(١). في وصف جبل - «جبل هب» املس ضامراً جرماً : رمح ربّ اعياء خائف لا ينزجرون . كان الجبل مصدر طمأنينة وصاحب غلبة، وكان الشغل الأكال للاذهان . على راس هذا الجبل بيت منقور نقره شيء مجنح هوى من ناحية السماء ثم زرع عشباً ابيض قصير الورق من اكل منه وهو ندي ظفر بالحياة الابدية . والقصة كلها على هذا النسق من غموض الاشارات وبعد الدلالات . ومثلها مسرحيته «مفرق الطريق» التي قال فيها احد الادباء انها غامضة يعسر فهمها على ادق الافهام^(٢) . ومن هذا القبيل قصيدته «الى زائرة» التي يبدأها بقوله -

لو كنت ناصعة الجبين هيهات تنفضي الزياره
ما روعة اللفظ المبين السحر من وحي الاشاره
ظل على وهج الحنين رسمته معجزة الاشارة
خط تساقط كالحزين ارخى على العزم انكساره

وهكذا الى آخرها . ولا بد من تعب مضن لادراك ما يرمي اليه ولرؤية الصور التي يرسمها^(٣) وذلك عين ما تشعر به سائر منظوماته^(٤)

ولما كان الغموض كما ذكرنا آنفاً من ظواهر الطريقة الرمزية وهو عند البعض من اسس البلاغة فلا بد لنا هنا من ان نقف ولو لحظة لنبين الفرق بين ما تقتضيه البلاغة وما لا تقتضيه . فالغموض اسباب شتى . منها - الاخلال في ترتيب الالفاظ او العبارات بحيث يعسر ادراك النسب بينها . وعلى ذلك ينتقدون مثل بيت المتنبي .

وفاؤكما كالربع اشجاء طامسه بان تسعدا والدمع اشقاء ساجمه

(١) المقتطف ١٠٠ - ١٣٣

(٢) المكشوف (بيروت) ٤ العدد ١٦٠ وقد قرّظها مستشرق الماني في الرسالة ٧ - ٧٩٦ وشبه بهذا النوع من الرمزية رمزية احمد مكي في كتابه ليلة القدر

(٣) ولذا ذهب بعضهم مذاهب شتى في تفسيرها . راجع الاديب ٣ ج ٨ ص ٥٦ - ٥٨

(٤) راجع له ايضا انذار في الرسالة ٨ - ٢٤٨ و«الى عواد» في الاديب ٤ ج ٥ - والحريف في برلين - المقتطف ٨٩ - ٢٧٢ .

او قول ألفرزدق -

الى ملك ما اّمه من محارب ابو اّمه حيّ ابوه يقاربه
ومنها الاسراف في توخي الاناقة البديعة والاشارات العلمية او التاريخية
كما نجد في كثير من شعر ابي تمام والمعرّي وابن الفارض ورسائل قابوس والقاضي
الفاضل وعهاد الدين الاصفهاني ولسان الدين بن الخطيب وامثالهم .
ومنها عدم استواء المعاني في نفس الكاتب او الشاعر فيجيء الكلام مشوّشاً
ينقصه الاتزان الفكري . وقد ينشأ ايضا عن استعمال الحوشي من الالفاظ
او المشترك المعاني او المستعمل في غير وجهه الصحيح . وكل هذه معائب معروفة
منذ القدم .

على انّ من الغموض ما ينشأ عن بعد مرامي الخيال او التحليق العالي
في جو الفكر فلا يدركه غير المهيّئين ثقافياً لذلك ككثير من المعاني الجليّة
التي نطق بها كبار الشعراء والمفكرين . وفي ذلك يقول احد ادباء العصر واصفاً
الطريقة الحديثة^(١) - وهي ايضا راغبة بالانطلاق فلا تعوقها الحدود ميلاً الى
التجنّيع . وكان لهذه الرغبة اثر بارز في الاسلوب مال به الى جهة الانبهام
الذي احسّت به انه السبيل الوحيد للتخصيب الروحي .

وقد يسمّى ذلك بعضهم الايغال في عالم اللاوعي .

وبما لا وراء فيه ان النمط العالي من الكلام ما افترون فيه اللفظ بالخيال
البعيد والفكر السامي اقترانا لا عنت فيه ، مساوفاً لحركة العاطفة ومقتضى الحال -
وليس من بلاغة في السهولة الفارغة التي تسفّ الى دركة الابتذال فلا تحرك
الشعور او ترفع النفس الى ما فوق العادي .

ومن الخطأ ان نظنّ ان الرومانتيكية او غير الرومانتيكية من المذاهب
الشعرية تجد في مثل هذه السهولة غايتها المنشودة . فكما ان التقعّر اللغوي
والتكلف البديعي مغايران للنمط الادبي العالي كذلك الاسفاف والابتذال .
ولا وراء ان نهضتنا الادبيّة الحديثة قد اتخذت منذ اوائل هذا القرن شكل

ثورة على التقليد اللغوي والبياني فكان همُّ المجددين الدعوة الى البساطة الطبيعية والتحرر من قيود الصناعة الكلاسيكية . وقد وجدت في المهاجر نخبة من اشد انصارها حماسة . لكن البساطة الرائعة التي تروقنا في اقوال الموهوبين من ادبائنا قد مسخت عند غيرهم وتددت الى دركة الاسفاف حتى اصبح الشعر عندهم كالنثر العادي فزالت روعته وذهبت نضارته . وكان ذلك من الاسباب التي حدت البعض الى توم الفساد في الطريقة الرومانتيكية نفسها وتوحي طريقة اخرى ترفع المستوى الشعري فكان ما كان من ظهور الرمزية واقبالهم عليها .

فهي ليست مدرسة ادبية بل ثورة على ما بلغه الشعر من جهود^(١) . وقد انعشته ورفعت مستواه على انها قد وصلت عند بعضهم درجة من الغنت والاسراف في ابتغاء البعيد ما لا يتفق وغايات البلاغة .

والذي يبدو لنا ان البلاغة لا تنحصر في مذهب شعري معين ففي كل مذهب تجد العالي من الكلام كما تجد المسف او العادي . فلو وازنت مثلاً بين الرومانتيكية والرمزية لوجدتهما على اتفاق في ان الشعر النفيس ما استطاع بسمو الخيال وروعة التعبير ان يرفع النفس الى جو شعوري اعلى من جوها العادي - ان يسمعا من انغام الوجود ما لا تسمعه عادة في الوجود المادي . وانما تختلفان في اداة التعبير . فالاولى تعتمد روعة الوضوح في الاداء والثانية تعتمد روعة الغموض والالحاء .

والواقع ان معظم الشعر الجيد في ادبنا المعاصر رومانتيكي الاسلوب متأثر بعضه بالنزعة الرمزية . وانك لتلمس في اقوال شعرائنا المطبوعين حيوية قائمة على حسن التخيل واشراق المعاني وجدة التعبير^(٢) . والامثلة على ذلك كثيرة في منظوماتهم واليك مثلاً هذه الابيات لعمر ابو ريشه - قال يصف مصرع فنان

(١) راجع مقال اميل هنريو في المكشوف ٢ ع ٥٤ .

(٢) امثال بشاره الخوري وايليا ابوماضي ومخايل نعيمه وفوزي معلوف وشفيق معلوف واحمد زكي ابو شادي ومحمود احماعيل وعلي محمود طه وبدوي الجبل وصلاح لبكي ونقولا فياض وسليم حيدر وبولس سلامة ومهدي الجواهري وكاظم الساهي وعمر ابو ريشه ويوسف غصوب والياس ابو شبكه وابراهيم العريض وسوام .

نَامَ عَنْ كَأْسِهِ وَعَنْ أَحِبَابِهِ قَبْلَ أَنْ يَنْقُضِي نَهَارَ شِبَابِهِ
بَسَمَاتِ الرِّضَى عَلَى شَفْتَيْهِ وَشَتَاتِ الرُّؤْيَى عَلَى أَهْدَابِهِ
وَبَنَاتِ الْغُرُوبِ تَسْكَبُ فِي أُذُنِهِ مَوَاجِدَ عَوْدِهِ وَرِبَابِهِ
لَابَسَاتِ حَمْرِ الْمَآزِرِ مَرَّتْ رِيْشَةُ الْإِفْقِ فَوْقَهَا بِخُضَابِهِ
وقوله - في عجز الإنسان عن معرفة سرّ الوجود

نَحْنُ نَسِجُ الثَّرَى فَمَا لَأَمَانِنَا عَلَى كُلِّ كَوْكَبٍ تَتَفَانِي
وَحَفِيّ الْوُجُودِ مَا أَنْفَكْ لَا يَنْبُضُ قَلْبًا وَلَا يَرْفُ لِسَانًا
طَلَبْتَهُ عَيْنُ الْحَيَالِ فَلَمَّا لَحْتَهُ تَكَسَّرَتْ أَجْفَانَا
وفي الذي يرضى حياة الذلّ -

قُلْ لِمَنْ يَعْشَقُ الْحَيَاةَ عَلَى الذَّلِّ وَيَخْشَى بَرُوقَ عَمْرٍِ قَصِيرِ
النَّوَاعِيرُ تَنْفُثُ الضَّجْرَ الْقَاتِلَ مَا بَيْنَ دَمْعِهَا وَالزَّفِيرِ
سُمِّتَ عَمْرُهَا الطَّوِيلَ فَمَا تَنْدُبُ إِلَّا خُلُودَهَا فِي الدَّهْورِ
وأكثر الناشئة الجديدة تميل الى هذه الطريقة في النظم . ولا يعني ذلك ان
المحدثين عموما يفوقون القدماء في روعة التعبير وجمال التصوير ولكنه يعني ان
ادبنا الحديث قد دمغ بطابع فني جديد وهو في الاصل ثورة على الطريقة
الواقعية او اليقينية التي يغلب فيها التفكير الواعي على الهيام في عالم الشعور
والخيال .

والشعرية تجد في مثل هذه المسئلة غايها المشروعة .
(١) ...
(٢) ...
(٣) ...
(٤) ...
(٥) ...
(٦) ...
(٧) ...
(٨) ...
(٩) ...
(١٠) ...

مزية الافراج في النظم

التوشيح العصري - الشعر المنشور والنثر الشعري - الاناشيد الفصيحة -
الاغاني العامة

ظهرت القصيدة العربية منذ اقدم الازمان في شكل سلسلة ابيات مستقلة مطردة القوافي ولا تزال كذلك في الوقت الحاضر. على ان تاريخ الشعر العربي لم يخل من بعض التطور في اسلوب النظم. واهم ظواهره نشوء التوشيح في الاندلس. وقد شاع التوشيح في الاقطار العربية فاصبحت الموشحة كالقصيدة اسلوبا معروفا يمارسه الشعراء ويتنافسون فيه.

وتختلف الموشحة عن القصيدة التقليدية في امرين رئيسيين - احدهما ان الاولى ليست سلكاً من ابيات مستقلة تجري جميعها على روي واحد، بل هي سلسلة ادوار متناصقة الترتيب متنوعة القوافي. والثاني انها لا تتقيد بتقيد القصيدة ببحر واحد، اذ منها ما يبنى على اكثر من بحر. وانما يتطلب فيها التناسق الدوري - اي تشابه الادوار في طريقة النظم - مما يجعل منها قطعة فنية واحدة.

وهي عادة مؤلفة من مطلع (او لازمة) وادوار. وكل دور مؤلف من ابيات اعاريضها على روي واحد^(١)، وضروبها على روي آخر^(٢). وينتهي الدور بما يجاري المطلع وزناً وروياً. كما يتضح لك فيما يلي -

والاعم في التوشيح ان تكون اللازمة بينين وبقية الدور ثلاثة كموشحة ابن الخطيب المشهورة التي مطلعها -

جاءك الغيث اذا الغيث همي يا زمام الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حُلماً في الكرى او خلسة المختلس

(١) العروض هي اخر الشطر الاول من البيت والروي الحرف الذي تجري عليه القوافي.

(٢) الضرب هو اخر الشطر الثاني من البيت

واليك الدور الاول منها وهو مثال لجميع الادوار

اذ يقود الدهر اشتات المنى ينقل الخطو على ما نرسم
زُمرًا بين فرادى وُثْنَا مثلها يدعو الوفودَ الموسمُ
والحيا قد كاتل الروض سنا فثغور الروض منه تبسم
وروى النعمان عن ماء السما كيف يروى مالِكٌ عن أنس
فكساه الحسن ثوباً مُعلما يزدهي منه بابي ملبس

فالدور كما ترى مؤلف من ثلاثة ابيات اعاريضها على روي (نا) وضروبها على روي آخر هو (م) ويتبعها بيتان هما اللازمة لان عروضيهما وضربيهما مماثلان للمطلع . وعلى هذا المنوال اكثر الموشحات .

على انهم لم يقتصروا التوشيح في عدد معين من الابيات للدور الواحد او في شكل واحد من الاشكال . بل تفتنوا في اخراجه كما فعل ابو بكر ابن زهير في موشحه التالي . ومطلعه او لازمته -

ما للمولة . من سكره لا يُفِيقُ . يا له سكران
من غير خمر . ما للكئيب المشوق . يندب الاوطان
وهذي اللازمة كما ترى مؤلفة من سطرين كل منهما ثلاثة مصاريع تجري على هذه التفاعيل - مستفعلات - مستفعلين فاعلن - فاعلن فاعلن

وسترى انها متجري على هذا النسق في كل الادوار ويلتزم فيها المحافظة على روي كل مصراع . فالدور الاول كما يلي -

هل تستعاذ - اياُننا بالخليج - وليالينا
او يستفاد - من النسيم الأريج - مسك دارينا
او هل يكاد - حُسن المكان البهيج - ان يجيئنا

...

روضٌ أظلّة - دَوْحٌ عليه انيق - مورق الافنان
والماء يجري - وعائمٌ وغريق - من جنى الريحان

وقد يكون المطلع او اللازمة في بعض الموشحات بيتاً واحداً والدور ثلاثة او اربعة اجزاء على رويّ واحد . وهناك اشكال اخرى وكلّها كما سبق القول تقوم على لازمة افتتاحية وسلسلة من الادوار والوازم اللاحقة .

وبالرغم من شيوع الموشحات في الاندلس وسواها بقي للقصيدة العُرفية مكانها الاول وسيادتها في عالم النظم . والذي يتابع تطوّر الاسلوب الشعري يستطيع ان يلاحظ انه لم يكن في خلال الفترة الواقعة بين عهد التوشيح الاندلسي والعهد الحديث ما يدلّ على تقدم يذكر في مضمار التوشيح . ولعلّ الاصحّ ان نقول ان هذا الفن قد اعتراه مع الزمن ما اعتري سواه من التأخر حتى امسى قبيل النهضة الاخيرة تقليداً لما سبق من موشحات الاندلسيين المعروفة .

اما اليوم فهناك اتجاه عام الى احيائه والتفنن في اساليبه ولاسيما بين الذين احتكوا بالعالم الغربي واطلعوا على اساليبه الشعرية . كما ترى في منظومات المهاجرين من اعضاء الرابطة القلمية في اميركا الشمالية او العصبة الاندلسية في اميركا الجنوبية وسواهم . فالتوشيح الجديد متأثر من جهة بالطريقة الاندلسية ومن جهة اخرى باساليب النظم عند الغربيين . ويظهر هذا التأثير المزدوج في موافقته للتوشيح الاندلسي بتناسق الادوار ومخالفته له في عدم التقيّد بالمطالع اللازمة .

وقد استساغه المجددون في جميع الاقطار فشاع حتى بلغ المناطق البعيدة عن مركز النهضة الادبية الحديثة، كتونس مثلاً والحجاز . ففي الاولى تجده في شعر حسين الجزيري وسعيد ابو بكر ومحمد الفائز وابو القاسم الشابي وسواهم^(١) . وفي الحجاز يبرز في هذا المضمار احمد العربي واحمد قنديل وحسين خزندار وعبد الوهاب آشي وعمر عرب ومحمد قفّي^(٢) .

ويطول بنا الكلام لو وقفنا على ما تخرجه مطابع مصر ولبنان وسوريا والعراق من هذا الباب فنكتفي للايضاح ببعض الامثلة -

(١) راجع مختارات من اشعارهم في كتاب الادب التونسي في القرن الرابع عشر .

(٢) راجع اثارهم في كتاب وحى الصحراء (القاهرة ١٣٥٥ هـ)

نشيد الارض - للدكتور نقولا فياض . وهاك مطلع^(١) -

لقد شئتُ وما شئتُ تقول الارض للناس
فمن شرق الى غرب ومن قطب الى قطب
ومن رأسي لأطرافي

يمرُّ الدهر كالحلم - على جسمي - فلا يوهن من عزمي

ولا يرهق اعطافي

وكيف أصاب بالهرم ومن ذهب الضياء دمي

وأني الشمس في الفجر بقبلتها على ثغري

تجدد حرّ انفاسي

لقد شئتُ وما شئتُ تقول الارض للناس

وهكذا سائر الادوار

وللدكتور فياض نشيد آخر موضوعه «يا ليل»^(٢) . ومن ادواره - (وهي

غير مقيّدة بتناسق الاجزاء او القوافي)

طلع البدر يشقّ الحجب - مُعجبا

فالفيوم - كلحافٍ قطنه مندوف

او قطع من خراف ابيض الصوف

والنجوم - في السماء . تطرق الطّرف حياء

وعلى الارض بياض الكفن . صلاة الزمن

...

ما نجوم الليل الا مُقلّ تروّ النبا

مُقلّ الاموات تمنّ ذكرهم غالٍ علينا

(١) راجعه في كتابه «على المنبر» ٢١١ وفي مجلة الجمهور بيروت مج ١ (ع) ١٥ والهلل ٤٥-١٣٦

(٢) راجعه في جريدة النهار (بيروت) العدد ١٨٥٣ .

فاذا ما الشمس غابت والدجى
غمر الارض اماناً وحناناً اقبلت من عالم الغيب علينا
لتروانا

وبما يذكر له في هذا الباب قصيدته في مهرجان المتنبي الالفى (١). وقصيدة
له من باب الشعر الطليق القوافي (٢). موضوعها « وانا قد نسيت فتح الباب »

ومن امثلة التوشيح الجديد. نشيد « انت همي » لبشاره الخوري وهو ذو قرار
يعاد بالفاظه في نهاية كل دور. ومنه - (٣)

لازمة
اسقيننيها باي انت وامي
لا لتجلو الهم عني - انت همي
(دور)

املأ الكأس ابتساماً وغراماً
فلقد نام الندامى والخزامى
زعم الصبحُ الظلاماً - فالام
قم نهنه شفتينا ونذوب مهجتينا
رضي الحب علينا يا حبيبي
باي انت وامي اسقيننيها
لا لتجلو الهم عني انت همي
(دور)

غنني واسكب غناك - ولماك
في فمي فديت فاك - هل اراك
وعلى قلبي يدك - ورضاك
هكذا اهل الغزل - كلتها خافوا الملل

(١) مجلة المكشوف (بيروت) مج ٢ ع ٦٠ .

(٢) جريدة البرق (بيروت) ع ٣٣٨٨ .

(٣) راجعه في « الجمهور » بيروت مج ١ ع ٢ .

انعشوه بالفبَل - يا حبيبي

بابي انت وامي - الخ

ومن هذا الباب « نشيد الصباح » لخير الدين الزركلي وفيه يقول^(١) -

ما العيشُ ان تنعم في ظلِّ الأراكِ وان ترى العالم وهو لا يراك
لا بدَّ للساكن يوما من حراك ان الحياة جهادٌ وعراك
شرُّ الامانيِّ امانِي الحالمِ

ما بلغ الغاية غير الحائم - جهدا ورؤم
ابتسم الفجر فقل للنائم - يكفيك نوم

وموشع موضوعه « اسطورة »^(٢) لالياس ابو شبكه يبدؤه بقوله -

كانَ ما كانَ في ربي لبنان

ويتلو ذلك عدد من الادوار تنتهي جميعها بالعبارة « كان ما كان » تثبت منها
للتمثيل الدور التالي -

بكر العصفور	دون ميعاد
واستفاق النور	في الوادي
والصبا لما تزل سكرى	تخبط الدوح وقمرده
وبرفق تعطف النهر	لا نجعده
والندى يصحو على العنقود	فكعلم الطفل ميسمه
وشفاه الشمس تطعمه	وتروني كنزه المرصوف - حين تلثمه
والدُمى الاجفان	والشذا العابر
كلثها الوان	للشاعر
كلثها الحان	كان ما كان

ولهذا الشاعر في ديوانه الالحان كثير من هذا القبيل .

(١) ديوانه ص ٣

(٢) في الجمهور (بيروت) ١ ع ٤٢

وتمّا يذكر من قبيل التوشيح الجديد - « انشودة الم » لالياس زخريا^(١). وقصيدة للقروي موضوعها « الفرع »^(٢)، واغنية الغندول لمحمود طه، والامواج والشاطئ، لحسن الصيرفي.

وقس على ما ذكرنا عشرات من المنظومات الحديثة.

وقد بلغ حبّ التجديد في النظم عند بعضهم انهم حاولوا وضع البحر جديدة لم يعرفها العرب. كما فعل خليل المطران في مقطوعة على وزن فاعلاتن اربع مرات^(٣)، وبشر فارس في اخرى جعل قسما منها على فاعلاتن مفاعلتن وممما بحر المنطلق^(٤). على ان هذه المحاولات لم تات بشمر.

وقد قويت نزعة التخلّص من قيود البحر المعروفة واطراد القوافي حتى لهج كثيرون بالشعر المطلق والشعر المنشور وفعلاً حاولها البعض. اما الاول فلم تسفر محاولته عن اثر يذكر. فلننظر قليلا في الثاني لنتبين الى اي حدّ بلغ به دعااته.

الشعر المنشور

وهنا لا بدّ لنا من التمييز بين النثر الشعري والشعر المنشور. فالاول اسلوب من اساليب النثر تغلب فيه الروح الشعرية من قوّة في العاطفة وبعد في الخيال وايقاع في التركيب وتوفّر على المجاز. وقد عرّف بذلك كثيرون وفي مقدّماتهم جبران خليل جبران حتى صاروا يقولون الطريقة الجبرانية. ومن اراد الاطلاع اليها فليطالع كتابيه العواصف، والبدائع والطرائف ولاسيا الفصول التالية:

(١) في الجمهور (بيروت) ١ ع ٦

(٢) الهلال ٣٠ - ٢٣٢.

(٣) مجلة الزهور (مصر) ١ ج ٢

(٤) الرسالة (مصر) ٨ - ٨٩ والثقافة ٣ ع ١٥٣ ص ٧.

« الله »	في البدائع والطرائف	يا بني امي - في العواصف
ايها الليل	» » »	نحن وانتم - » »
بين ليل وصباح	» » »	العبودية - » »
لكم لبنانكم	» » »	» » »
مناجاة ارواح	» » »	المخدرات والمباضع » »
ابتها الارض	» » »	حقار القبور » »

على ان الشعر المنثور غير هذا النثر الخيالي . وانما هو محاولة جديدة قام بها البعض محاكاةً للشعر الافرنجي . وتمن فتحوا هذا الباب امين الريحاني فان له في الجزء الثاني من ريجانياته عشر قطع وفي الجزء الرابع ثلاث عشرة قطعة . تلمس في جميعها هذه النزعة الى النظم الحر من قيود الابجر العروضية المعروفة . كقوله مثلاً من نشيد الثورة -

هي الثورة ويومها العبوس الرهيب
ألوية كالشقيق تموج . تثير البعيد تثير القريب
وطبولٌ تردد صدى نشيد عجيب
وابواقٌ تنادي كلٌ جميع مجيب
وشررٌ عيون القوم يرمي بالهيب
وفارٌ تسأل هل من مزيد . وسيفٌ يجيب وهولٌ يشيب
وبلٌ يومئذ للظالمين ويلٌ من كل مريد مهين
طلّابٌ للحق مدين ويل للمستعزّين والمستأمنين
هي ساعةٌ للظالمين

وعلى هذا النسق قوله في مراثيه للملك فيصل الاول ومطلعها -

حلّق النسر في الفضاء بعيدا
رجع النسر في الفضاء شهيدا
شهيداً يكفّنه السحاب
شهيداً تشيعه النجوم

شهيداً نفته شمس الضحى

شهيداً حملته اكف السما

فكان علياً وكان حمداً

وقد جرى عدد من المحدثين على احدى الطريقتين - الجبرانية والريحانية - او على الطريقتين معاً. كما ترى في مجموعة «عرش الحب والجمال»^(١) التي يقول الريحاني في مقدمتها - «هوذا ديوان شعر لشاب هام بالحب والجمال والفضيلة ونبذ في صنعة الشعر القوالب والقياسات المعروفة كلتها فصاغ لفكره وخياله وعاطفته القلب الذي ظنّه مناسباً لها».

ومن هذا القبيل مجموعة «نسمات وزوابع»^(٢) وكتاب «ضجعة الموت» او بين احضان الابدية^(٣). وهناك قطع متفرقة لشعراء مختلفين. نثبت منها هنا قطعة لحبيب اسطغان موضوعها «موت ادونيس»^(٤). وهي مؤلفة من ٢٥ دوراً يذكر فيها ما تناقلته الاساطير عن ادونيس ومصرعه في جبال لبنان ونوح حبيبته الزهرة عليه. وهاك بعض ادوارها وسترى انها تجري على طريقة شعرية متناسقة الاجزاء

اوّاه على ادونيس كيف يُجرّ على الصخور

يصبغها دمه الجاري من اعضاءه الناعمة

ها هو في الوادي يفتوسه الحيوان المصور

اوّاه ! ادونيس قد مات

ومنها واصفاً ما اصاب «الزهرة» من لوعة وشقاء عندما رآته مضرّجاً بدمائه :

فغشت عينيها بيديها والتفتت الى الوراء

وهي تعجّ عجيلاً ارجف من لبنان الصخور

فسكتت الامواج ذُعرأ وهوت من العلاء

الى جوف الوادي النسور

(١) لنير الحسامي نشرها ١٩٢٥

(٢) نشرتها المطبعة المصرية بمصر ١٩٢٧

(٣) لداش طبع القدس سنة ١٩٣٦

(٤) مجلة المناهل (بونس ايرس) ١ ع ١١

وامرعت اليها الالهات فدهاها الصباح
إلهات الاشجار والانهار والرثي والوديان
لاطحات الحدود رافعات العويل والنشواح
باكيات باشجي الالخان

والنفقن حولها ينحن معها على الحبيب
يا ادونيس ! كيف مددت الى الاله يد الحمام
يا ادونيس ! كيف ذبل غصن حياتك الرطيب
ويبس زهره البسام

ولزيادة الفائدة نذكر القطع التالية لمن يود مراجعتها.

رثاء اسكندر عازار	-	بشاره الحوري	جريدة البرق (بيروت) ١٦ كانون الثاني ١٩١٩
الخان الجمجم	-	خليل الهنداوي	الجمهور (بيروت) سنة ١ جزء ٩
المدينة الهاجعة	-	»	الرسالة (مصر) ٢ - ١١٧٩
الله في علاه	-	لسيد عبده	» ٧ - ١٥٤٩
الحلم الجميل	-	لوليم كانسفليس	المناهل ١ عدد ١١
وداع لبنان	-	مي زياده	المقتطف ٦٥ - ٣٧٧
رثاء اليازجي	-	ليوسف نير	ديوان المطران (١٩٠٨) ٢٧٦
انا الميت الحي	-	لتوفيق مفرج	المقتطف ٨٢ - ٦٧
نشيد القافلة	-	لرئيف خوري	مجلة الطريق مج ١ جزء ٧
هكذا كان	-	لنقولا بسترس	الاديب ٢ ج ٣ ص ٣٣
هات رفشك	-	لاحمد السباعي	وحي الصحراء ٦١
فراع الجبار	-	حسين خزاندار	» ١٤٠
امش	-	عزيز ضياء الدين	» ٢٤٤
فاجعة	-	»	» ٢٦٦
الى المجهول	-	شعاده الحوري	مجلة الكاتب ٣ - ٧٢١
القبرة	-	خليل الهنداوي	المقتطف ٩٩ - ١٧٤

وبما يجمع بين النثر الشعري والشعر المنشور مجموعة مواكب الحرمان لسالم الكاتب (نشر ١٩٤٩)

الأناسير والاغاني

وبما يعدّ من قبيل التفنن الحديث في النظم الاناشيد والاغاني . ولا ينكر ان القدماء لم يقصّروا في صناعة الغناء بل كان لهم بها عناية تذكر . وقد راجت هذه الصناعة قديما في المدينة فدمشق ثم في بغداد والقاهرة وقرطبة وصائر الحواضر العربيّة . وكان المغنون أوّلاً يتناشدون قصائد لبعض الشعراء او ابياتاً لهم كما نرى في كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني الذي جمع لنا اصواتهم المشهورة وما كانوا ينشدونه في المجالس . ولما ظهر التوشيح في الاندلس شغف المغنون بانشاد ما كان يضعه المؤشّحون وتفننوا في ذلك وفي ما تبعه من الشعر العامي .

على انه لم يكن عصر عمّت فيه الاناشيد وتنوّعت حتى اتصلت بمختلف النواحي في حياتنا الاجتماعيّة كهذا العصر الاخير . فليست بعد منحصرة في مجالس الطرب او الحزن كما كانت قديما بل هي اليوم فنون مختلفة وضروب شتى وتدخل جميعها في بابين رئيسيين باب الاناشيد الصحيحة اللغة، وباب الاناشيد العاميّة . واليك كلمة في كلّ منهما .

الصحيحة اللغة

وهي عند التحقيق من قبيل التوشيح وتتناول شتى المواضيع القومية والاجتماعية والمدرسية والروحية والغزلية وسواها .

فالقومية نوعان - الاول نشائد « رسمية » للدول العربيّة المختلفة . وهي التي تغنّى او تعزف في الاجتماعات الرسميّة والاحتفالات العمومية . وقد انفردت كل دولة بنشيد خاصّ عرف لها دون سواها . وهذه النشائد مشهورة لا تحتاج الى تبيان والثاني - نشائد قومية او وطنيّة عامّة بتغنى بها الناس ويرون فيها ما

بو قد حماسهم ويغذي شعورهم . كنشيد « الشباب » لبشاره الحوري الذي مطلعته^(١)

نحن الشباب - لنا الغد . ومجده المخلد

نحن الشباب

ونشيد « العلم » - وهو يبدأ بقوله^(٢)

يا علمي - علم العرب اشرق واخفق

في الافق الازرق - يا علم

ونشيد « موطني » - لابرهم عبد الفتاح طوقان . ومنه^(٣) -

الجلال والجمال والسناء والبهاء - في حماك

والحياة والنجاة والهناء والرجاء - في هواك

هل اراك - سالماً منعماً - وغانماً مكرماً

هل اراك - في علاك - تبلغ السماء - موطني

ونشيد - بلاد العرب اوطاني - لفخري البارودي

» - انت سوريا بلادي

» - يا سوريا - لارنست نعمة الله الهلال ٢٧ - ٤٢٨

ونشيد الجامعة العربية - لمحمد مجذوب (جريدة بيروت ١٥ شباط ١٩٤٨)

ونشيد الوطن - لشوقي، وللرافعي (الهلال ٢٩ - ٣٣٧)

ونشيد - يا بلادي لمحمد الحناوي (مصر) الثقافة ١٠ ع ٤٨٠

وعشرات سواها بما هو شائع تردده الشفاه القومية . ونخص بالذكر منها

اناشيد الاستقلال لجورج غريب (١٩٤٤) وتلعين فليفل اخوان .

وقريب من هذا النوع القومي العام ما يتعلق بالجمعيات والمنظمات الوطنية مثل

نشيد الطلائع المصرية - لارنست نعمة الله (الهلال ٢٩ - ٣٥٣)

(١) راجعه في مجموعة اناشيد العروة الوثقى في الجامعة الاميركية بيروت .

(٢) مجموعة اناشيد العروة .

(٣) مجموعة العروة ايضا .

نشيد الكتاب اللبناني - لبشاره الحوري (جريدة النهار عدد ٢٨٩١)
 » النجّاد - محمد يوسف حمود
 » العروة الوثقى في جامعة بيروت الاميركية - لسعيد عقل مجموعة اناشيد العروة
 » الشجرة - محمد يوسف حمود نشرته جمعية اصدقاء الشجرة في بيروت ١٩٤٣
 » الفلاح - محمود سنيّة مجلة جمعية اصدقاء الشجرة في بيروت
 وكثير غير ذلك بما لا يتسع له المقام ويدخل فيه عدد كبير من الاناشيد المدرسية
 التي تحضّ على حبّ الوطن والسعي نحو العلى ومكارم الاخلاق

النشائد الروحية

وهي ترتّم عادةً في المعابد او الاحتفالات الدينية وكلّتها ترمي الى توجيه
 النفس نحو الله وتنزيهاها عن غرور الدنيا واباطيلها . وليس في تاريخ الادب العربي
 من ذلك الا القصائد النبوية وما في معناها وقد مرّ ذكرها في باب » الاتجاه
 التاريخي » .

اما اليوم فقد تنوّعت هذه النشائد واصبحت عند بعض الطوائف من اسس
 العبادة الجمهورية . وبما لا شكّ فيه ان الغربيّين ولاسيما الالمان والانكليز
 والاميركان قد سبقونا شوطاً بعيداً في هذا المضمار فان كثيرين من كبار شعرائهم
 وموسيقيّتهم قد اشتركوا في ترقية هذا الفنّ فاوصلوه نظماً وتلحيناً الى درجة
 عالية جداً .

ويقرب من الاناشيد الروحية الاناشيد الاخلاقية التي ترمي الى تهذيب
 الاخلاق الشخصية ورفع مستوى الحياة العمومية .

النشائد الغزلية

وهي التي تغنّى في مجالس الطرب وحفلات الانس ومنتديات اللهو . ومن
 روائدها في القرن الماضي الشيخ امين الجندي الحمصي فان له عدداً من
 الاغاني المعروفة مثل « يا صاح الصبرُ وهي منّي » « وشادن » صاد قلوب الامم »

وغيرهما وتجد أكثرها في ديوانه .

والغناء الغزلي ميدان واسع جرى فيه كثيرون من ادباء النهضة الحديثة وكثير مما نظموا في ذلك معروف متداول نذكر منه على سبيل التمثيل -

ويلي من الغرام مسبب السقام - قد قصرت ايامي لواعج الهوى
ظبية الانس الي

تعالى الي فؤادي يناديك في هدأة الليل هل تسمعين - لرشيد خليل تقي الدين
خدعوها بقولهم حسناء والغواني يغرهن الثناء - لاجد شوقي
مضناك جفاء مرقده - له ايضا

ومن المعروفين في النظم الغنائي الغزلي احمد رامي وله مجموعة اغاني منها -

يا غائباً عن عيوني وحاضراً في خيالي
تعال هدى شجوني طالت علي الليالي
تعال آنس فؤادي تعال سامر سُهادي

على ضفاف النيل بين الزهر

وفي ضياء البدر تحت الشجر

اوقاهبط الزورق يسبح بنا وغننى لحن الهوى والمنى

واجعل مماء المغاني تدوي بعذب الاغاني

تصغي لك الدنيا وابكي انا

ومن الغزليات المعروفة هذه القطعة لبشاره الخوري^(١) -

الهوى والشباب والامل المنشود توحى فتبعث الشعر حياً

والهوى والشباب والامل المنشود ضاعت جميعها من يديا

يشرب الكأس ذو الحجي ويبقي لغد في قرارة الكأس شيئاً

لم يكن لي غد فافرغت كأسى ثم حطمتها على شفتيها

ولهذا الشاعر ولسواه قطع كثيرة من هذا الباب .

الأناسير العامة

ويمكن قسمتها ثلاثة اقسام - الغنائي والزجلي والبدوي او الشروقي . فلنقف قليلاً على كل منها .

الغنائي

وهو ما يوضع ليتغنى به . واوسعه انتشاراً ما يصدر عن عواطف الحب والشوق . ومن هذا ما توارثه الناس عن اجيال سبقت كالاغاني التالية - يا بوزلف - عاليادي اليادي - عالروزنا - قدك الميتاس - دلعونا

ومنه نوعان شائعان جدا هما العتابا والموآل . وفي كليهما يراعى الجناس في قوافيه . ويتكوّن دور العتابه عادةً من اربعة اشطر يتقيد الثلاثة الاولى منها بالجناس اللفظي ويجيء الرابع بائي الروي - فمن العتابا العراقية قول احدهم مشوا ما جابهم صايح ولوماي^(١)

ولا ينفع بهم عذلي ولوماي^(٢)

ارض وعره سروبيها ولاماي^(٣) ولا سمعوا لي احبائي جوابا

ومن العتابا اللبنانية -

بربك يا حمام الدوخ ودّي سلامي وعالجيب نشور ودّي

مرادي يا رسولي وكل ودّي تسلم بالوفا وتاخد جوابا

واما الموآل فنوعان - الموآل البغدادي والموآل المصري . والفرق بينهما ان الاول مؤلف عادة من سبعة اشطر يتقيد بنوع من الجناس الاول والثاني والثالث والخامس منها وبنوع آخر الرابع والخامس - كقول احدهم من موآل^(٤) -

(٣) ماء

(٢) لومي

(١) اي لا صايح ولا ايماء

(٤) راجع كتاب الاغاني الشعبية لعبد الرزاق الحسني ص ٣٢ - ٨٤

السفن البناها بقلبي نوح لك عايمه
والعين من نجبها فوق الوجه عايمه
بيني وبينك جزائر في البحر عايمه
ما نسى وداذك ابد لو صرت بالحفرة
حبك لقابي فتح باب الهوى بحفره
لو حل يومي وجسمي ينزل الحفرة
لارسل لك الروح مع موج البحر عايمه

واليك هذا الدور من موال للشيخ ناصيف اليازجي^(١) الشاعر المشهور

خذ للمحبين من حظك امان وراي
يا من غرامك نصب فينا خيام وراي
والله قد حرت ما عاد لي سبيل وراي
يا من على مبسمك شهد العسل خاتم
ودعت قلب البيهتك بجنصرك خاتم
لا زلت اول ملاح العصر والحاتم
وانا امام الهوى والعاشقين وراي

اما المصري فمؤلف عادة من اربعة او خمسة اشطر يتجانس منها الاول والثاني
والثالث والخامس . وقد يكتفى بالنقفة دون الجناس كقول احدهم

طرقت باب الحبا قالت من الطارق
فقلت مفتون لا ناهب ولا سارق
تبسمت لاح لي من ثغرها بارق
رجعت حيوان في بحر ادمعي غارق

ولم يكتف المصريون بما توارثوه عن اسلافهم من الاغاني الحبية بل استحدثوا
من ذلك الشيء الكثير وهو يستعمل في حفلات الانس ومجالس اللهو والطرب
ويذاع على امواج الاثير من محطات الشرق والغرب حتى صار يردده اليوم

(١) جريدة الرائد الممتاز (سنة ١٩٢٧) ص ٦٥

جمهور الناطقين بالعربية في الاوطان وفي المهاجر .
على انّ هناك انواعاً اخرى من الغناء شاعت واستحسنها الجمهور ومنها

الغناء الاجتماعي

وهو اسلوب مستحدث ويدور بالاكثر على وصف الحياة العامّة ونقد بعض الاحوال والعادات . ولاختلاف اللهجات والعادات ترى له في كل قطر صبغة خاصة ففي لبنان مثلاً اناشيد عمر الزعّني وهي معروفة خارج لبنان ايضاً ومن امثلتها تلك التي انشدها في العهد الانتدابي عند صدور الامر بان يلبس القضاة اللبنانيون رداء القضاء « الروب » . ومطلعها -

عالموبّ الهوبّ الهوبّ والقاضي لابسّ توبّ
والحقّ اخذّ مجراه ما عاذ في ظلم بنوبّ (البتّة)

وترى عليها كما ترى على الكثير من اناشيد تلك المسحّة التهكمية التي تروق الجمهور وتطربه اذ تعبّر في اكثر الاحيان عن شعوره وتنطق بلسانه . ومثل نشيد « الروب » نشيد الفرنك الذي نظمه سنة ١٩٣٦ يوم هبط سعر الفرنك وتدهورت وراءه الليرة السورية اللبنانية ومطلعها - حاسب يا فرنك حاسب

ومن اغانيه المصوّرة لبعض الاحوال الاجتماعية - ما يلي -

« كولو نظيف » . كولو ظريف - يصف فيها تمّتك بعض الشباب في هذا العصر
« شي بيحير . شي بيظفر » - يصف سوء تصرّف الناس وحبهم للظهور الفارغ
وعلى هذا الطراز - اختلط الحابل بالنابل - خدّها بطولة البال - شبان شيك
- شوف تفرّج آه يا سلام ، وكثير سواها^(١)

المونولوج

وهي لفظة يونانية ويراد بها حكاية حال يمثلها شخص واحد ويسودها عادة

(١) نشر كثيراً من اغاني الزعّني وعلق عليها المستشرق Jean Lecerf في كتابه -
Littérature Dialectale et Renaissance Arabe Moderne, 188 - 203.

روح الظرف والتهكم . وهذا النوع شائع في مصر بل منها تسرب الى سائر الاقطار العربية واصبح فتاً من فنون الغناء التمثيلي الفكه . واليك مثلاً من هذا القبيل قول احدهم يصف سوء حظه -

حظّ اعطيني بحجر ارميني
وان كان هاجع ببصير غلّيني
والتي الحظّ مساعدو فوق مالو يزيدو
لو كانت شهادتك من اكبر جامعات
مش ممكن تفيدك لو طرت السماوات
لا تقلي شو حكايته همي بيكفيني
حظّ اعطيني بحر ارميني

وهكذا الى آخر الحديث . ولزيادة الايضاح راجع المونولوجات التالية^(١) -

للشيخ عطيه محمد - في ليلة مره سكرت سكره وبنت بوّه يومين تمام
لامين عطا الله - مونشير انا كل النسوان بتدوخ ساعة ما تشوف رسمي
ولفاطمة قدرتي - ليلة العيد كنت مخضّر
ولبعضهم - بين البساتين وانا ماشي الخ

وقد ينظم المونولوج دون ان يكون خاصة للغناء فيكون زجلاً عادياً يتعدت فيه الناظم عن بعض احواله او اختبارات

كقطعة للشيخ احمد القوسي موضوعها « جور الزمن » ومطلعها^(٢)
جار الزمن وان كنت اشكبه جاب لي المصايب بالزوفه
والتي آبات فيه واصبح فيه والسعد له ناس معروفه
وبلي ذلك ٢١ دوراً ثلاثيا يصف فيها جنيهاً فقده وما سبب له ذلك من
عناء واضطراب .

وقطعة « لابر بثينة » موضوعها - يا ربّ عرفت الصنعة دي - مطلعها

(١) تجدها وتجد سواها في مجموعات الاغاني كمال العال او سير الفرحين وعروس السرور وغير ذلك

(٢) راجعها في ديوانه ص ٩٥ .

ف مرة ماشى اتفكر فى دين مطلوب

وحالى تؤلم وتحسر وتبكي الطوب

وكان قد ركب الدين وراى ان افضل وسيلة لتحصيل المال هي التسول
(الشعائنه على قول العامة فى مصر) فيصف لنا نفسه وهو على هذه الحال
ويختمها بقوله (١) -

ان كنت عاوز تفرش اعمل شحات

وخلى اولادك تشمت صبيان وبنات

الفناء الفروى

ونعني به ما يعبر عن اشواق النفس الى الحياة القروية . واكثر ما يظهر
ذلك بين اللبنانيين اذ تجد فى الوطن وفي المهجر كثيرين منهم يبتشون عواطف
الحنين الى الحياة الجبلية ويتغنون بالعهود والربوع القروية واصفين ما فيها من
بساطة وجمال وما تجده النفس لديها من راحة وهناء . ومن افضل الامثلة على
ذلك مجموعة « اغاني الضيعة » لاميلى مبارك وقد اشرنا اليها فى الفصل المخصص
للريف والطبيعة . وهي تضم نحواً من ٨٧ انشودة نثت منها بعض الادوار من
قصائد مختلفة - فمن قطعه المعنونة بصورة الضيعة قوله

ضيقتنا غامرها النور مشروده عاراس التل

مدخلها درج زهور بتشوف جبل بظهر الجبل (٢)

بحواضا ورد ومنتور بتضحكك لمن بتطل

وبيد وزن صوتو العصفور على شتال مؤيتنا

ومن « كنت صغير » وهي شائعة الفناء

كنت صغير وصرت كبير بومت قطار المسكوني

غني عشت وعشت فقير وشت كثير بزماني

وما فى عا بالي بيعن غير البيت الرباني (٣)

(١) راجعها فى مجلة الفكاهة (مصر) عدد ٦٣ وفى هذه المجلة كثير لهذا الشاعر ولسواه .

(٢) الجبل حقل جبلي . بحواضا : اي بحواضا (٣) اي الذي ربيت فيه

نَحْلًا^(١) الضيعة والرزقات والراعي وصوت العنزات
 ونَحْلًا خَرِير الشَّلالات تحت سلاح السندياني^(٢)
 يا هَل تَرَى يَرْجِعُ بَعْدُ بِسَكْنٍ بَيْتَ الرَّبَّانِي
 ومن « يا ضيعة ما بنساي »

يا ضيعة ما بنساي وما بنسى الدار
 مُش قَادِرُ عَيْشٍ بِلَاكِي لو مهما صار
 بَعْدُكَ مِثْلُ مَا تَرَكْتِكِ؟ يا ضيعتنا
 فَيْكَ صَفَافِ الْبَاكِي وشجرات الغار
 مُرُوقٌ^(٣) عَالِضِيْعُهُ وَأَسَاكِي بصوت الهادي
 اِنْ كَانَ الزَّهْرُ مَكْتَلَمَهَا مثل العادي
 شَفِي الصَّبْحُ مَكْتَلَمَهَا بلون رمادي
 غِيَابُ الشَّمْسِ مَزْنَرَهَا دَايِرُ مَنْدَارِ
 ومن « الحاكوره »^(٤)

يَا رَيْتُ عِنْدِي حَاكُورُهُ وَكَرْمُ وَعِرْزَالِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ بِتَكْفِينِي مَا بَدَيْ مَالِ
 لَوْ اِنْ اَلْأَرْضُ فَرَاشِي وَاللَّيْلُ خَافُ كُنْتُ بَعِيشَ عَيْشِهِ هَنِيْهُ مَرْتَاحِ الْبَالِ

ومن « بتسألني » والضمير يرجع الى احد المغتربين

بِتَسْأَلُنِي شَوْ فِي عِنْدُكَ بِالضِيْعَةِ تَنْتُكَ^(٥) مَهْمٌ
 عِنْدِي أَحْسَنُ مَا عِنْدُكَ عِنْدِي بَسْطٌ وَعِنْدُكَ هَمْ
 فِي عِنْدِي الْقَعْدَةُ بِكَثِيرٍ تَحْتَ صُنُوبٍ ضِيْعَتْنَا
 وَتَرْوِيْقُهُ قَرْهٌ وَجَرَجِيرٍ بِتَسْوَى الْغَرْبَةِ وَعَيْشَتْنَا^(٦)

(١) ما احلى (٢) سلاح اغصان (٣) مر (٤) الحقل (٥) حتى انك (٦) اي وعيشتنا في ديار الغربية

الشعر الزجل

ويطلق اليوم توسعاً على طرائف شتى من النظم العامي وهو واسع النطاق وقد أصبحت الصحف ومحطات الاذاعة تهتم به وتنقله الى جمهور القراء والمستمعين. ويقول ابن خلدون في مقدمته ان الزجل ظهر اولاً في الاندلس^(١). على انه كان فيما مضى مقصوراً على الموضوعات التقليدية من غزل ومديح وهجاء. أما في هذا العصر فانه يدخل ايضاً ابواب « الفلسفة والاجتماع والسياسة والقصة والفكاهة والمسرحية والملحمة مع الخيال المرهف العالي والتفكير الناضج والمعنى الرائع ». هكذا يقول احد رجال الزجل في لبنان^(٢) ولم يعد الحقيقة فيما يقول. وقريب منه ما ذكره احمد ضيف في كلامه عن بعض زجلالي مصر من انهم كانوا يثورون على المجتمع الفاسد والاحكام الجائرة « فينفثون آلامهم ويكشفون عما في صدورهم من عبارات تشبه لهجة العامة في معانيها وتقرب من عبارات الخاصة في اساليبها. ينظمون هذا كله في موازين ومقاييس يحاكون غيرهم فيها او يبتكرونها يملأونها بالنقد الحلو والفكاهة العذبة ويستون ذلك زجلاً^(٣)،

وامم مواطن الزجل اليوم هي لبنان ومصر. وقد ظهر في مصر منذ اواخر القرن الماضي نخبة من رجال هذا الفن امثال عبدالله نديم ومحمد عثمان جلال والشيخ محمد النجار وامام العبد ويوم التونسي وابو بئينه ومحمود رمزي نظيم وحسين شفيق المصري وبديع خيري ومحمد غالب المهندس ويونس القاضي وعزت صقر والدكتور ابراهيم الشدودي^(٤)

ومن امثلة الزجل المصري قطعة لامام العبد موضوعها « الزنجية الحسنة » مطلعها^(٥) -

(١) المقدمة . الفصل الاخير في الموشحات والازجال

(٢) وليم صعب في مجلة الاديب السنة ٢ ج ١ ص ٤٢ .

(٣) راجع قوله في الهلال ٥٣ - ٦٥ .

(٤) هو ابنائي الاصل ومن المبرزين في هذا الفن - راجع له زجله الذي ربح الجائزة وموضوعه

« شبان مصر في مصر » مجلة سر كيس ٣ - ١٩٤٠ وراجع له ايضاً زجلاً في مجلة الفكاهة ع ٧٢

(٥) راجعه في مجلة سر كيس ٢ - ٤٥٠ .

العذل لا ينفع أهله والعذل من طبع الانسان
والشكل لا يكره مشكلة والحق مش عارز برهان

واذا عرفنا ان هذا الشاعر كان اسود الوجه لم نعجب من قوله في الدور التالي

الحسن ما هوش بالالوان الحسن بالذوق والخفة
الحسن ما هوش بالميزان يطلع وينزل بالكفة
الحسن ظاهر للاعيان وخفة الارواح صفه
والناس لها مذهب بالبيض ومذهبي حب السوداء

وهكذا الى آخر الزجل وهو ١٩ دوراً من النظم الجيد

واليك مثلاً من زجل « ابو بئينة » وموضوعه « جنون الشباب »^(١)

مش عيب عليك انت يا فندم يا ابن لاعيان
يا رقه يا ذوق يا مهنديم يا بو كم فدان
في الهلس عمال تنقدّم وورا النسوان
تجري وبكره ح تنندّم وتدور مسكين
عمال تبحتو اموالك يا عيط في بارات^(٢)

في الهلس له تصرف مالك وعلى الستات
فرحات مال لك وجمالك هايص في بنات
سيب الامور دي من بالك وارجع للدين

والزجل المصري عادة يتألف من مطلع تتبعه سلسلة من الادوار. وفي هذه الحالة يكون المطلع ثنائياً (اي مؤلفاً من بيتين) والدور رباعياً (اربعة ابيات) البيت الاخير منها على روي المطلع (راجع الامثلة السابقة) وقد يجيء الزجل كله سلسلة ثنائية الادوار كل دور منها مستقل بقافية.

اما الزجل في لبنان فيطلق عموماً على الشعر العامي وقد يقال له ايضاً « المعنى » ويدخل فيه « المطلع » والفرادي والحداء والندب وتطوى جميعها من

(١) ابو بئينة من كبار الزجالين في مصر وقد اصدر من ازجاله ثلاثة اجزاء - راجع الهلال ٣٩

(٢) محلات الشرب

حيث النظم على عدّة فنون^(١). والذي نود ذكره هنا من جهة المقابلة بين الزجلين المصري واللبناني ان هذا الاخير اكثر فنوناً. واشيع انواعه المطلع او المعنى العادي وهو ان يبدأ النماظم قصيدته بيتين يكون فيهما صدر البيت الاول وعجزه وعجز البيت الثاني على قافية واحدة فتكرر بعد كل بيتين. ومن خصائصه ايضا ان يكون صدر البيتين اللاحقين ردة او تكريرا للشطر السابق في البيتين السابقين. ولنوضح ذلك بالمطلع التالي لرشيد نخله -

روحي الذي ما بالزمان ذلتها	عفتها وما بين يديك رميتها
ويا مليكي بعد ما ماتت عليك	بكلمتين لما انعطفت احيتها
ويا مليكي بعد ما ماتت عليك	بكلمتين احيتها ورجعت اليك
ويا ذابحي من غير اذى تسلم يديك	لو طلعتها قبلتها وحييتها
لو طلعتها قبلتها وجه وقفها	عا عدو ما بقول آه من الجفا
ولما الرسول برسالتك طلّ ولغا ^(٢)	الله المجير عافشة القضية

ومن اقواله -

من فحطة البقلوبنا بغصه بكى	لا تقول هي شوباك ولا قول شوبكي
لما التقينا تلغموا لساناتنا	وصار الحكي بيناتنا من دون حكي
لما التقينا تلغموا لساناتنا	وصار الحكي بيناتنا بنهداتنا
ناخذ ونعطي مبادله بأهاتنا	وبالعيون نشرح هوانا ونشتكي

وهكذا الى آخر القول. ومثله من قطعة طويلة تفنن فيها ما شاء

ودّع وإرمي القلب بعدان ودّعوا	وقلّي اصطفل قلبك رجع لموضعو
قرّبت من قلبي جفيل مّني ونفر	وقلّي معك ما بروح رّح برجع معو
قرّبت من قلبي جفيل مّني ونفر	وقلّي معك مش راح روح بالختصر
وردّ ينده عالرماء رمبة حجر	لكن حزين مسكين مين راح يسمعو

ولرّشيد نخله من هذا الفن ما حمل معاصريه على مبايعته بامارة الزجل. يكفي ان نذكر له روايته محسن الهزّان التي يصف فيها البطولة العربية والحب

(١) راجع شرح هذه الفنون في مقدمة كتاب معني رشيد نخله لولده امين نخله.

(٢) لفا اي اقبل

العربي العالي وله مبتكرات فنية شرحها ولده امين في مقدمة ديوانه وهي مقدمة حرية بالمطالعة .

ومن كبار الزجالين اللبنانيين اسعد الحوري الفغالي المعروف بشحرور الوادي وله ديوان كبير كثير الفنون . ومن اصحاب الدواوين المعروفة الدكتور فريد جبور - منصور شاهين الغريب - الياس الفران - خليل ايوب الحتي - خليل سمعان الفغالي - بطرس حنا ديب المعادي - جرجس بشاره - شديد غصن - سعد الجليخ - سهدان عواد . ومن الزجالين المجددين ولم صعب واقواله منتشرة معروفة^(١) .

والبحث في الزجل اللبناني واسع متشعب لا يتسع له هذا المقام^(٢) ويقابل الزجل المصري واللبناني في العراق انواع من الشعر العامي اهمها ما يلي^(٣)

الأبوذية - (اي ابو الاذية) وهي سلسلة من ادوار ثنائية الابيات - اضطرها الثلاثة الاولى تجري على قوافٍ متجانسة وينتهي الشطر الرابع بقافية (ية) كقول احدهم -

الحسن خصل جنابك ونته مالك^(٤) تظن نشوف شخصك ونته مالك^(٥)
انه ابحت بوصلك ونته مالك^(٦) تدوس بالجفا ولكطع^(٧) ليه

وقول الآخر -

اظلّ ارعى نجوم الليل بسماي^(٨) ولي ناظر يهلّ دمع بسماي
البح^(٩) بسمة وعيبين يلج بسماي^(١٠) اون^(١١) عليه ليه ممي ونه عليه
وعلى هذا النسق كل القصائد من هذا النوع مهما اختلفت مواضعها

(١) راجع بعض زجله في مجلة المكشوف السنة ٦ الاعداد ٢٥٠ - ٢٥٦ - ٢٦٠ - ٢٦٢ - ٢٦٦

(٢) ليراجع الراغب في الاستزادة ما يلي - معني رشيد نخله - مقال يوسف توفيق عواد في المشرق

٢٨ - ٥٠٦ - مخطوطه نيل المتنى لعيسى اسكندر الملوّف .

(٣) نعتمد هنا كتاب الاغاني الشعبية لعبد الرازق الحسني مع تصرف قليل .

(٤) اتملك (٥) وتملك (٦) وانت مالك (٧) والقطع (٨) بالسما

(٩) الهج (١٠) باسي (١١) ائي

الميمون - وهو على نسق الابودية الا ان قافية الشطر الرابع تكون على وزن (مَر) نحو -

إحنه^(١) الغيوم امل^(٢) سما هليته^(٣) وحنه البدر البسما هليته^(٤)
وحنه الذي بضيوفا هليته^(٥) والغير من شاف الضيوف تكدر

والهويه - وننهي الشطر الاخير بقافية بالهاء

وفي العراق الموآل والعتابا كما في لبنان ونظم البنات وغير ذلك . ومن المعروفين في العراق بالشعر العامي الشيخ محمد نصار - السيد باقر الهندي - الشيخ كاظم السبتي - السيد مرزح الحلي - الشيخ يعقوب النجفي - الشيخ حسين العبادي وسواهم^(٦)

الفصير البدوي او الشروقي

وبعدّه البعض من نوع الزجل ، على انه عند التحقيق نوع آخر . فالزجل عموماً من باب التوشيح المتسلسل الادوار اما الشروقي فعلى نمط القصيدة المتماثلة القوافي والعادة ان تكون صدره على قافية واعجازه على اخرى . وتختلف اسماؤه باختلاف الاقاليم والقبائل ففي نجد مثلاً يغلب عليه اسم النبطي^(٧) . وفي الحجاز الحميني . وفي شرقي الاردن وبادية الشام الشروقي .

ولما كان هذا النوع من الشعر العامي بدوي الاصل والنزعة فان افضله ما يعكس لنا حياة البادية واحوال سكّانها . وكثيرا ما ينظمه الامراء والفرسان ومن ذلك انه لما عزم امير مكنة على تجهيز جيش من العرب لمساعدة الدولة العثمانية على السيد الادريسي في عسير ارسل قصيداً يستفز به قومه^(٨)

(١) نحن (٢) التي من (٣) امطرنا (٤) طلفت (٥) تأهلنا

(٦) كتاب الاغاني الشعبية لعبد الرازق الحسني

(٧) راجع مقال احمد عبد الجبار في الاديب ٢ - ج ٢ (الشعر العامي في نجد)

(٨) راجعها في التار ١٤ - ٣٨٧ وراجع ايضا قصيدة شاعر بني عقيل .

ومما ينسب الى تركي بن السعود قوله من قصيدة يتفجع لبعده ابن عمه «مشاري»
يوم كان اسيراً في القاهرة^(١) -

طار الكرى عن مقلتي النوم فرّا وفزيت من نومي طرا لي طواري
خطّ لقائي^(٢) زاد قلبي حرّا من مسّ ضمّ للبيني والذراري
سر يا قلم واكتب على ما تورّي باركي سلامي لابن عمي مشاري
شيخ على طرق المراحل مطرّا من لابة يوم الملاقي ضواري^(٣)

ومن هذا الباب قول بدوي الرقداني العتيبي من قصيدة فخرية^(٤)

ايّامنا والليالي كم نعاتبها شابت وشبنا وعفنا بعض الاحوال
توعدنا مواعيد والعاقل يكذبها واللي عرف حدها عن همها مالي
لو اقبلت يوم، ما تصفى مشاربها واليوم الاول تراه احسن من التالي
جربت الايام ومثلي من يجربها تجريب عاقل وذقت المرّ والحالي
ايام في غلبها وايام نغلبها وايام فيها سوا والدهر ميتال

وهكذا الى آخر القصيدة .

ويغلب نظم القصيد البدوي على الابحر المعروفة عند العروضيّين بالبسيط
والرجز فالسريع والرمل وقد يجيء على غير ذلك^(٥) . واهم ما يدور عليه الغزل
والمديح والفخر والحماة والثناء . فهو من هذا القبيل على غرار الشعر القديم .

وقد جمع المستشرق موسيل استاذ الدروس الشرقية في جامعة براغ
عددا وافياً من اشعار قبيلة الرولة^(٦) . اما قبائل شرقي الاردن فمن شعرائها

(١) الهلال ٢٥ - ١١٧ .

(٢) اي كتاب وردني .

(٣) مطرّا اي مدرّب . ولابة اي جماعة . يوم الملاقي اي يوم اللقاء في الحرب .

(٤) تجدها في الهلال ٢٥ - ١١٤ .

(٥) راجع لزيادة الايضاح مقدمة كتاب «مفني رشيد نخله» . ومقالاً لابراهيم الحوراني في النشرة
الاسبوعية (بيروت) عدد ٢١٢٧ .

(٦) راجع في كتابه Manners and Customs of the Rwala الفصلين - عادات الزواج

وقد تجدد لبعضهم من هذا الشعر «داوين» خاصة كديوان «ربابة الثورة»
لعلي عبید وهو سجل للثورة السورية في جميع مراحلها. وهناك دواوين أخرى
لعدد من قوّاء الوطن والمهجر

(۱) - اے اللہ! میری زندگی

(٢) راجع اخلاص في كتاب خمسة اعمام في شرح الايام والاشهر والسنين

ج ۱ - ج ۲ : ۴۳ - ۴۶

فهرس المراجع

للاطلاع على الاتجاهات الادبية العامة في العالم العربي الحديث كان لازماً على المؤلف ان يراجع عدداً وافراً من المجموعات الصحفية والشعرية وسائر المؤلفات الادبية . وقد راجع فعلاً اكثر من ثمانين مجموعة من شتى المجلات والجرائد (بعضها يقع في عشرات المجلدات) ونحو مئة وثلاثين ديواناً من الشعر ، ومئة وعشرين من كتب الادب والتاريخ ، فضلاً عن كثير من الرسائل الخاصة . وسببت في هذا الفهرس معظم الكتب الادبية والتاريخية . اما المجلات والدواوين فانه سيكتفي منها بما ورد في الحواشي اذ لا جزيل فائدة من مجرد سرد اسمائها .

الكتب العربية (حسب ترتيبها الهجائي)

حرف الالف

اسم المؤلف او الناشر	اسم الكتاب
لويس شيخو	الآداب العربية في القرن التاسع عشر (بيروت ١٩١٠)
محيي الدين رضا	ابطال الوطنية (مصر ١٩٢٩)
دار الهلال	احسن ما كتبت (مطبعة الهلال ١٩٣٤)
بطرس البستاني	ادباء العرب في الاندلس وعصر الانبعاث (بيروت ١٩٣٧)
زين العابدين السنوسي	الادب التونسي في القرن الرابع عشر (تونس ١٩٢٧)
الصبتان	ادب الحجاز (مصر ١٩٢٦)
ابراهيم المصري	الادب الحديث
روفائيل بطبي	الادب المصري في العراق (مصر ١٩٢٣)
بدوي احمد طبانه	ادب المرأة العراقية (مصر ١٩٤٨)

اسم المؤلف او الناشر

اسم الكتاب

- اسباب النهضة العربية في القرن التاسع عشر (بيروت ١٩٢٦) انيس النصولي
- الاصول العربية لتاريخ سوريا (بيروت ١٩٣٠-٣٣) اسد رستم
- اعلام العراق (مصر ١٩٢٧) بهجة الاثري
- اعلام اللبنانيين في نهضة الاداب العربية (حريصا ١٩٤٨)
- اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (حلب ١٩٢٣-٢٦) محمد الطباخ
- الاغاني الشعبية (بغداد ١٩٢٩) عبدالرزاق الحسني
- اكليل من غار بيروت جرجي باز
- الله مصر عباس العقاد
- الاليافه مصر ١٩٠٤ سليمان البستاني
- ام القرى (مصر ١٣١٦ هـ) عبدالرحمن الكواكبي
- ايضاحات (الاستانة ١٣٣٤ هـ) احمد جمال
- حرف الباء والتاء والثاء
- بلاغة العرب في القرن العشرين (مصر ١٩٢٤) محي الدين رضا
- بلاغة النساء في القرن العشرين مصر حسين حسنين
- تأملات مصر احمد لطفي السيد
- تاريخ آداب اللغة العربية (مصر ١٩١١) جرجي زيدان
- تاريخ الحركة القومية (مصر ١٩٢٧) عبدالرحمن الرافعي
- تاريخ الشعوب الاسلامية بيروت ١٩٤٨-١٩٥٠ بر كلمان (ترجمة نبيه فارس ومنير بعلبكي)
- تاريخ الصحافة العربية (بيروت ١٩١٣) فيليب دي طرازي
- تاريخ مصر في عهد اسماعيل (القاهرة ١٩٢٣) الياس الابوي
- التجارب (الاسكندرية ١٩١٣) ولي الدين يكن
- تحرير المرأة (مصر ١٨٩٩) قاسم امين
- تراجم اعيان القرن الثالث عشر (مصر ١٩٤٠) احمد تيمور
- تراجم مشاهير الشرق مصر ١٩٢٢ جرجي زيدان
- تربية المرأة والحجاب (مصر ١٣٢٣ هـ) طلعت حرب

اسم المؤلف او الناشر

اسم الكتاب

- تطور الاساليب النثرية (بيروت طبعة اولى) انيس المقدسي
تطور الصحافة المصرية (مصر ١٩٤٥) ابراهيم عبده
التيارات السياسية في حوض المتوسط (مصر ١٩٤٩) محمد رفعت
ثورة العرب (مصر ١٩١٦) اسعد داغر
الثورة العربية الكبرى (مصر ١٩٣٤) امين سعيد

حرف الجيم والحاء والحاء

- جبران (بيروت ١٩٣٤) مخايل نعيمه
حاضر العالم الاسلامي (مصر ١٣٤٣ هـ) ستودارد (ترجمة عجاج نويهض)
حافظ وشوقي (مصر ١٩٣٣) طه حسين
حركة الترجمة بمصر خلال القرن التاسع عشر (مصر دار المعارف) جاك تاجر
الحق اليقين (بيروت ١٨٨٦) ابراهيم الحوراني
حول المرأة (دمشق ١٩٤٧) جمال الدين نجيب وشحاده الحوري
حياة مي (مصر ١٩٤٢) محمد عبد الغني حسن
خاطرات الافغاني (بيروت ١٩٣١) محمد الخزومي
خطط الشام (دمشق ١٩٢٥-٢٨) محمد كرد علي
خمسة اعوام في شرقي الاردن (حريصا ١٩٢٩) الارشندريت بولس سليمان

حرف الدال والذال والراء والزاي

- الدرر (الاسكندرية مطبعة الآداب) اديب اسحق
ذكرى فوزي معلوف (زحله ١٩٣١) عيسى المعلوف
رمل وزبد (مصر ١٩٢٧) جبران جبران
الروائع لشعراء الجيل (مصر مطبعة الشبكشي) محمد فهمي
رواد النهضة الحديثة بيروت مارون عبود
رياض الادب (بيروت ١٨٩٧) لويس شيخو

اسم المؤلف او الناشر

اسم الكتاب

- الريحانيات (بيروت ١٩٢٢) امين الريحاني
الريحاني (بيروت مطبعة صادر وريحاني) البوت ربحاني
زاد المعاد (مصر ١٩٣٦) نخبيل نعيمه
حرف السين والشين والصاد والضاد والطاء والظاء
مصر مملكة (مصر ١٨٩٥) سليم مر كيس
السفور والحجاب (بيروت ١٩٢٨) نظيرة زين الدين
شعراء مصر في الجيل الماضي (القاهرة ١٩٣٧) عباس العقاد
الشعر المعاصر على ضوء النقد الحديث (مصر ١٩٤٨) مصطفى السحر في
الشعر النسائي العصري (مصر ١٩٢٩) محمد محمود
صوت الجيل (مصر ١٩٣٤) ابراهيم المصري
طبائع الاستبداد مصر عبدالرحمن الكواكبي

حرف العين والغين والفاء والقاف والكاف

- العبرات (مصر ١٩٢٢) مصطفى المنفلوطي
عبرة وذكري (مصر ١٩٠٨) سليمان البستاني
العراق في دوري الاحتلال والانتداب (صيدا ١٩٣٥) عبدالرزاق الحسني
العرب الاحياء (بيروت ١٩٤٧) نبيه فارس
على اطلال المذهب المادي (مصر ١٩٢١) فريد وجدي
على المنبر (بيروت ١٩٣٨) نقولا فياض
العواصف (بيروت ١٩٥٠) جبران جبران
الفتاة والشيوخ (بيروت ١٩٢٩) نظيره زين الدين
فرح انطون ملحق مجلة السيدات والرجال ١٩٢٣
الفكر العربي الحديث (بيروت ١٩٤٣) رثيف خوري

اسم المؤلف او الناشر

اسم الكتاب

- فهارس المكتبة العربية (بيروت ١٩٤٧) يوسف داغر
- في الادب الجاهلي (مصر ١٩٢٧) طه حسين
- في الادب العربي الحديث (مصر ١٩٤٨) عمر الدسوقي
- فيض الخاطر (القاهرة ١٩٣٨) احمد امين
- القصة في الادب العربي الحديث (مصر ١٩٥٢) محمد نجم
- قلب العراق (بيروت ١٩٣٥) امين الريحاني
- قولي في المرأة (مصر ١٩٣١) مصطفى صبري
- القصة العربية (بيروت ١٩١٦) الاعظمي
- كتاب البعثة العلمية الى دار الخلافة (بيروت ١٩٠٨) محمد الباقر
- كتاب مصطفى كامل (الاستانة ١٢٨٨ هـ) كثر الرغائب في منتخبات الجوائب
- كنز الرغائب في منتخبات الجوائب (الاستانة ١٢٨٨ هـ) فارس الشدياق

حرف لام وميم ونون وهاء وو او ويا

- مجالى الفرر (بعيدا ١٩٠٤ و ١٩٠٦) يوسف صفير
- مجموعة الرابطة القلمية نيويورك (مصر ١٩٤٧) الرابطة القلمية
- محاضرات الندوة اللبنانية (بيروت ١٩٤٧) ميشال الاسمر
- مختارات في الحجاب والسفور (بغداد ١٩٤٣) مصطفى عبد الجبار القاضى
- مذاهب الادب العربي (دمشق ١٩٤٨) نجدة فتحي صفوة
- المذكرات (دمشق ١٩٤٨) محمد كرد علي
- المرأة الجديدة (مصر ١٩١١) قاسم امين
- المرأة الجديدة في مركزها الاجتماعي (مصر مطبعة السعادة) محمد السباعي
- المرأة في التاريخ والشرائع (بيروت ١٩٢١) جميل بيهم
- المرأة في التمدن الحديث (بيروت ١٩١٢) فريد وجدي
- المرأة المسلمة (مصر ١٩١٢) فريد وجدي

اسم المؤلف او الناشر

اسم الكتاب

- المراحل (بيروت ١٩٣٣) مخايل نعيمه
مشهد العيان بمجوات سوريا ولبنان (مصر ١٩٠٨) مخايل مشاقه
المعلوم والمجهول (مصر ١٩٠٩-١١) ولي الدين يكن
معنى رشيد نخله (بيروت ١٩٤٥) امين نخله
من حديث الشعر والنثر (القاهرة ١٩٣٦) طه حسين
منتخبات الحداد (الاسكندريه ١٩٠٣)
المهرجان الالفي للمعري (دمشق ١٩٤٥) المجمع العلمي العربي
مي زياده (مصر ١٩٤٢) محمد عبدالغني حسن
نثار الافكار (نيويورك ١٩١٣) مطبعة الهدى
النظرات (مصر ١٩٢٥-٢٦) مصطفى المنفلوطي
الوثائق والمعاهدات في بلاد العرب (دمشق ١٩٢٧) جريدة الايام
وحي الرسالة (مصر ١٩٤٠) احمد الزيات
وحي الصحراء (القاهرة ١٩٣٥) ابن المقصود وبلخير

كتب بلغات اجنبية

1. Antonius, George - **The Arab Awakening**, London, Hamilton, 1939
2. Arberry, Arthur J. - **Modern Arabic Poetry**, London, 1950
3. Barbour, Nevill - **The Arab Literary Renaissance**, Jerusalem, T. S. C.
4. Douin, - **Mission du Bois le Comte**, Le Caire, 1927
5. Gibb, H. A. R. - **Modern Trends in Islam**, Chicago, Illinois, 1947
6. Gibb, H. A. R. - **Studies in Contemporary Arabic Literature**, 1928-29, School of Oriental Studies, London Institute
7. Hartmann, - **The Arabic Press of Egypt**, London 1899.
8. Hitti, Philip - **History of the Arabs**, London, Macmillan 1937, 2nd. ed. rev. 1940
9. Institute of Arab American Affairs : **Arabic-speaking Americans**, New York, 1946
10. Jessup, Henry - **Fifty three years in Syria**, New york, Revell, 1910
11. Khemiri and Kempfmeyer - **Leaders in Contemporary Arabic Literature**, Leipzig, Harrassowitz, 1930
12. Lahoud, Rashid - **La Littérature Libanaise de la Langue Française**, Beirut
13. Lecerf, Jean - **Litterature Dialectale et Renaissance Arab Moderne**, Damas, Institut Français de Damas.
14. Mélanges de l'Université Saint-Joseph
15. Musil, Alois - **The Manners and Customs of the Rwala Bedouins**, Geographical Society, 1928, New york
16. Nickolson, R. A. - **A Literary History of the Arabs**, Cambridge University Press, 1930
17. Reinaud, Joseph T. - **De l'état de la littérature chez les populations Chrétiennes Arabes de la Syrie**, Journal Asiatique, Juin, 1857.
18. Rustum, Asad - **The Royal Archives of Egypt, and the disturbances in Palestine 1834**, Beirut, American Press, 1938.
19. Rustum, Asad - **The Royal archives of Egypt, and the Origins of the Egyptian expedition to Syria, 1831-1841**, Beirut, Am. Press, 1936
20. Saarisalo, Capeli - **Songs of the Druzes**, Helsinki, 1932
21. Thomas, Bertram - **The Arabs**. Garden City, Doubleday, 1937
22. Young, **Near Eastern Culture and Society**, Princepon University, 1947.

فهرس الاعلام

ابن عبدون ج ١ ١٣٥ - (ج ٢) ٨٦
 ابن العديم ج ٢ ١٦٤
 ابن العربي ج ٢ ١٧٧
 ابن العميد ج ٢ ١٥٥
 ابن الفارض ج ٢ ١٨٨ - ٥
 ابن قتيبة ج ٢ ١٦٨
 ابن كلثوم ج ١ ١٣٥
 ابن المعتز ج ٢ ١٥٧ - ١٢٧ - ١٢٦
 ابو بئينة ج ٢ ٢١٢ - ٢١١ - ٢٠٨
 ابو البقاء الرندي ج ١ ١٣٥ (ج ٢) ٨٦
 ابو بكر سعيد ج ٢ ١٩٣
 ابو تمام ج ١ ١٣٥ - ٨ - ٧
 - ١٦٤ - ١٨٠ - ١٨٨
 ابو راشد عبود ج ٢ ١٤٧
 ابو ريشه عمر ج ١ ١٤٤ - ١٣٧ (ج ٢) ١٨٢
 ١٨٩
 ابو السعود (فخري) ج ٢ ١٣٦ - ٥٣ ١٥١
 ابو شادي (احمد زكي) ج ١ ١٤٥ (ج ٢) ٢٨
 ١٨٢ - ١٣٧
 ابو شبكه (البياس) ج ٢ ١١٩ - ١٤٩ -
 ١٧٤ - ١٩٦

ابراهيم باشا ج ١ ١١ - ٧٧
 ابراهيم بن سليمان ج ١ ١٤١ - ١٤٢
 ابراهيم حافظ ج ١ ١٢ - ٢٨ - ٣٧ - ٣٨
 ٤٣ - ٤٤ - ٥٦ - ٥٩ - ٧٤ - ٨٥ - ١٢٢
 ١٢٤ - ١٣٣ - ١٣٧ (ج ٢) ١٣ - ٢٦ -
 ٢٨ - ٤٨ - ٥٥ - ٦٩ - ١٥٠ - ١٦٢ -
 ١٨١
 ابراهيم محمد عوض ج ٢ ١٤٩
 ابن بسام ج ٢ ١٦٤
 ابن حمد بس ج ٢ ١٢٦
 ابن خفاجه ج ٢ ١٢٦ ١٢٩
 ابن خلدون ج ٢ ١٧ - ١٥٤ - ٢١١
 ابن خلكان ج ٢ ١٦٤
 ابن رشيق ج ٢ ١٨٠
 ابن الرومي ج ٢ ١٢٤ - ١٢٦ - ١٨٠
 ابن الساعاتي ج ٢ ٨٦ ١٢٦
 ابن سينا ج ٢ ١٠٢
 ابن شهيد الاندلسي ج ٢ ١٧٧

- ابو شعر امين ج ٢ ١٤٧
 ابو طالب عبد الجبار ج ١ ١٣٥
 ابو عبدالله ج ١ ١٤١
 ابو عبيده ج ١ ١٤٠
 ابو العتاهية ج ٢ ٩٧-١١٠
 ابو غنيمه صبيحي ج ٢ ١٥١
 ابو فراس ج ٢ ٨٦
 ابو قوس عمر ج ٢ ١٣٨
 ابو الفرج (الاصفهاني) ج ٢ ٢٠١
 ابو الفضل الوليد ج ١ ١٠١-١١٠-١١١
 ١١٧-١٢٣ (ج ٢) ١٩-٢٦-٧٢-٧٨
 ابو الكباير ج ٢ ٢١٧
 ابو ماضي ايليا ج ٢ ٧٣-٨٧-٩٨-١٠٢
 ابو المحاسن محمد ج ١ ١٠٨-١٣٤-١٣٦-
 ١٣٨-١٦٩-١٨٢
 ابو مسعود اسبيريدون ج ٢ ١٥٠
 ابو النصر علي ج ١ ١٢
 ابو نواس ج ١ ٧ (ج ٢) ١٢-١٩-٩٥-
 ١٠٣-١٢٦-١٧٢-١٨٠-١٨٤
 ابو الهدى الصيادي ج ١ ٢٠-٩٦ (ج ٢) ٥
 ابو هناء الاب نقولا ج ٢ ١٦٤
 اتحاديون ج ١ ٦٧-٨٩-٩٠-٩١-٩٦-
 ٩٧-٩٨-١٠٨-١١٢
 الاتحاد والترقي (جمعية) ج ١ ٣٣-٥٨-٦٠-
 ٩٠-٩١-٩٣
 اثر المرأة (كتاب) ج ٢ ٥٣
 الأثري بهجة ج ٢ ٥٩
 اثينا ج ٢ ٣٨
 احرار ج ١ ٢٢
 الاخنف ج ١ ١٣٨
 الاخاء العربي (جمعية) ج ١ ٩٤
 الأخرس عبد الفتار ج ١ ٢٠
 الأخطل ج ٢ ١٩
 اخوان الصفا ج ٢ ١٨٣
 ادرنه ج ١ ٥٢
 ادريس محمد عبد الرحيم ج ٢ ١٣٥
 ادريسي ج ٢ ٢١٥
 ادونيس ج ٢ ١٧٤
 اذرعات ج ١ ٢٣
 الأرناؤوط معروف ج ٢ ١٤٩
 اردن ج ٢ ١٣٦
 ارسطو ج ٢ ٩٩
 ارسلان امين ج ١ ٢٢ ج ٢ ٥٣-٧١
 ارسلان شكيب ج ١ ٣٤
 ارسلان نسيب ج ٢ ٢٥
 ارمينيه ج ١ ٣١-٩٣
 الازري عبد الحسين ج ١ ٣٤-١٢٨ (ج ٢)
 ٥٩
 ازميز ج ١ ٢١
 آستانه (اسلامبول) (قسنطينية) (دار
 الخلافة) (دار السعادة) ج ١ ١١-١٥-
 ١٨-٢٤-٤٠-٥٢-٥٤-٦٠-٧١
 ٧٢-٧٤-٨١-٩١-٩٤-٩٥-١٠٠
 ١٠٣-١١٢ (ج ٢) ٨-٣٨

- استوليتز ج ١ ١٤٥
 امحق اديب ج ١ ١٨-٨٣-١٤٣-
 (ج ٢) ٣٤-١٦٤
 اسطفان حبيب ج ٢ ٧٢-١٩٩
 اسكندريه ج ١ ١٧-٤٧ (ج ٢) ٨-١٨٢
 اسلام ج ١ ١٤-٢٧-٣٥-٤٠-٤٣-٤٨
 ٥٣-٥٢-٥٠-٧٢-٧٧
 ٧٨-٧٩-٨٣-٩٧-٩٩-١٠٠-
 ١٣٧-١٤٠-١٤٢-١٤٣-١٤٤-
 ١٤٧-١٥٠ (ج ٢) ١٢-٤٦-٥٠-
 ٥١-٥٧-٩٠-١٤٠-١٨٠
 اسماعيل (الحديو) ج ٢ ٥-١٤١-١٥٦
 اسماعيل محمود حسن ج ٢ ١١٦-١١٧
 ١٣٣-١٣٧-١٣٨
 اسواق الذهب (كتاب) ج ٢ ١٦١
 اسبوط ج ١ ٦٢
 آشي عبدالوهاب ج ٢ ١٩٣
 اشبيليه ج ١ ١٤٣
 الأطلال (كتاب) ج ٢ ١٥٣
 اغاني (كتاب) ج ١ ١٣٨ (ج ٢) ١٦٤-
 ٢٠١
 اغريق ج ١ ١٣٦ (ج ٢) ١٤٠
 الاعشى ج ٢ ١٩-١٦٥
 الاعظمي عبدالحق ج ١ ١٠٠
 افرنج ج ١ ٤٦-١١٩-١٤٣ (ج ٢) ٨-
 ١٧-٢١-٤٩-١٣٠-١٤٢-١٤٣
 ١٥٢-١٥٤-١٥٩-١٧٦-١٨٥
 ١٩٨
 افريقيا ج ١ ٤٣-٨٢-١٣٨-١٤٥
 افغان ج ١ ١٥-٨٨-٢٥-٥٥-٧٥
 الافغاني (جمال الدين) ج ١ ١٥ (ج ٢) ٩٠
 اقدام (جريدة) ج ١ ٩٣-٩٧
 الاقصر ج ١ ١٤٣
 اكليل غار (كتاب) ج ٢ ٥٠-٥٢
 الف ليلة وليلة (كتاب) ج ١ ١٣٨ (ج ٢)
 ١٦١
 المانيا ج ١ ١١-٥٢-٦٩-٧٠-١٢٤
 (ج ٢) ١٤٧-٢٠٣-٢٢١
 الياذه (كتاب) ج ٢ ١٤٤
 امرؤ القيس ج ١ ٧ (ج ٢) ٤٦-١٢٦
 ١٣٠-١٦٩
 امّ القرى (كتاب) ج ١ ٨٢-١١٤
 الامم المتحدة (جمعية) ج ٢ ٤٤
 الامومة (كتاب) ج ٢ ٦٦
 امويين ج ١ ٧٧-١٣٣-١٣٥-١٣٦-
 ١٣٨-١٤١ (ج ٢) ٥-٣٢-١٦٥-
 ١٧٦-٢١٧
 امير مكة ج ٢ ٢١٥
 امير المؤمنين ج ١ ١٣-١٤-٤٤
 اميركا-امير كيون ج ١ ٢٢-٩٣-١٠٠
 (ج ٢) ٣٢-٦٨-٦٩-٧١-٧٢-٧٥
 ٨٠-١٩٣-٢٠٣-٣٣١
 امين (احمد) ج ٢ ١٠-٢٤-٤٥-٨٨
 ٩٧-٩٩-١١٢-١٢٧

- الامين (ابن الرشيد) ج ١ ١٤٠
امين قاسم ج ٢ ٢٩-٤٨-٤٩-٥٠-٥١
افاضول ج ٢ ٧١٠
انتداب ج ١ ١٣٠-١٣١-١٣٢-١٣٤-١٣٥
١٤٧ (ج ٢) ٤٣
انجيل ج ٢ ٢٣٠
اندلس - اندلسي ج ١ ٩-١٣-٧٧-٨٠
-٨٤-١٣٨-١٤١-١٤٤ (ج ٢) ٥
-٨٦-١٠٥-١٢٦-١٢٧-١٩١
١٩٣-٢٠١-٣١١
الانصاف والتعري كتاب ج ٢ ١٦٤
انطون فرح ج ١ ١٧ (ج ٢) ٨٨-١٦٤
انطونيوس جورج ج ٢ ١٥٤
انكليز - انكليزي ج ١ ١٤-١٨-٢٢-
٥٣-٧٣-٧٥-١١٥-١٢٦
١٢٩-١٣٤ (ج ٢) ٧٥-١٤٣-١٤٧
١٤٩-١٥٠-٢٠٣
انور باشا ج ١ ٣٥-٤٣
اهرام ج ٢ ٤١-٩٠
اوروبا - اوروبي ج ١ ١٥-٤٨-٥١-
٦٥-٩٥-١٠٥-١٠٧-١١٨-١١٩
١٣٦ (ج ٢) ٢٥-٤٣-٤٧-٦١-
٨٧-٨٨-٩٠-١٤١-١٤٢-١٤٣
١٤٤-١٤٥-١٤٧-١٥٩-١٦٢
١٦٣
اوس بن حجر ج ٢ ١٢٦

ايشندورف ج ٢ ١٥١
ايطاليا ج ١ ٥١ (ج ٢) ١٣-١٤٧-١٦٤
ايوبيه ج ٢ ٥
باحثة البادية (كتاب) ج ٢ ٦٦
البارودي سامي باشا ج ١ ١٢ (ج ٢) ١٨١
البارودي فخري ج ٢ ٢٠٢
باروني ج ١ ٢٠
باريس ج ١ ٨-١٤-٢٢-٢٣-٧٩-٨٩
٩٤-١٠٣-١٠٤-١٠٧-١٤٥ (ج ٢)
١٣٦
باز جرجي نقولا ج ٢ ٥٠-٥٣
الباعونية عائشة ج ٢ ٤٦
باكثير احمد ج ٢ ١٥٠
باكون ج ١ ١٤٥
بختري ج ١ ٧-١٣٥ (ج ٢) ٨٦-١٢٦-
١٣٠-١٨٠
بجر الروم ج ٢ ٧١-١٤١
البحر الميت ج ٢ ١٣٦
بحرين ج ١ ٤٩
بدوي الجبل ج ٢ ٣-١
بدوي عبدالرحمن ج ٢ ١٥٠-١٥١
بديع الزمان ج ٢ ٦-١٥٧
بديعي ج ٢ ١٦٤
برازيل ج ٢ ١٣١-١٣٢

- بردي (نهر) ج ٢ ١٣٦
 برق (جريدة) ج ١ ١٤٧
 البرلمان العثماني ج ١ ٤٩
 بولين ج ٢ ١٦٧
 بروجره دي سلايك (جريدة) ج ١ ٩٠
 برودم سولي ج ٢ ١٤٨
 بريطانيا ج ١ ١١-٢٨-٣٠-١١٢
 ١١٧-١٢١-١٢٤-١٢٥-١٢٨
 (ج ٢) ٣٢-٤٠
 بزرجمهر ج ٢ ٤١
 البزم محمد ج ١ ١٣٢-١٤٩
 بستاني اديل بطرس ج ٢ ٦٦
 البستاني بطرس ج ٢ ٨-٤٧
 البستاني سليم ج ١ ٥٨-٩٠-٩١ (ج ٢)
 ٨٧-٤٧
 البستاني سليمان ج ٢ ١٤٤
 البستاني عبدالله ج ٢ ٣٤
 البستاني وديع ج ١ ١٤٩ (ج ٢) ١٤٥-
 ١٤٧
 بستر نقولا ج ٢ ٢٠٠
 بسيوني كمال ج ٢ ١٢٣
 بشار بن برد ج ٢ ١٨٠
 بشاره جرجس ج ٢ ٢١٤
 البشيشي حسين محمود ج ٢ ٩٦-١٣٧-
 ١٤٩
 البصير مهدي ج ١ ١٢٧ (ج ٢) ١٤٨
 بطار ج ٢ ١٥٠
 البعثة العلمية (وفد) ج ١ ٧١
 بعليك ج ١ ١٤٣
 بغداد ج ١ ٥٦-٦٠-٦٦-٧٧-١٢٨-
 ١٢٩-١٤٣-١٤٥ (ج ٢) ١٤٠-
 ١٨١-٢٠١
 البكري توفيق ج ١ ١٤ (ج ٢) ١٥٩-١٦٠
 بلاغة النساء (كتاب) ج ٢ ٦٦
 بلس هورد ج ١ ٥٧-٥٩
 بلغار ج ١ ٥٢-٩٣
 بلقاء ج ١ ٣٣
 بلقان ج ١ ٢٧-٣٣-٥٢-٥٣-٥٧-٧٠-
 ١٠٥
 بلوخر ج ١ ١٤٥
 البناء عبدالرحمن ج ٢ ١٥-٥٩
 بندقيه (مدينه) ج ٢ ١٦٠
 بنو الأفتس ج ١ ١٣٥
 بنو نصر ج ١ ١٤١
 بنو هاشم ج ١ ١١٤
 بنو هلال ج ٢ ١٦٣
 بنو يعرب ج ١ ١٠٩
 بودلاير ج ٢ ١٤٨
 بودين ج ٢ ٧٣
 بوسط جورج ج ٢ ١٤٢
 بوسفور ج ١ ٣٦-١٠٥-٦٦
 بوسنه ج ١ ٥١
 بولكونت ج ١ ١١
 بونس ايرس ج ١ ١١٨

- بونيه ج ١٦٢ (١٤) ٢٣-٢٢-١٨-١٧-١٢-١١ ترك ج ١
 بوعينه ج ٢ ٥ ٤٨-٣٧-٣٦-٣٥-٣٢-٢٧-٢٤
 بيبس ج ٢ ١٦٣ ٧٠-٦٩-٦٨-٥٧-٥٤-٥٢-٤٩
 البينجالي اسكندر الحوري ج ١ ١٤٨ ٨٢-٨١-٧٩-٧٨-٧٥-٧٤-٧٣
 (ج ٢) ١٦ ٩٣-٩٢-٩١-٩٠-٨٩-٨٧-٨٥
 بيت الحكمة ج ٢ ١٤٠ ١٠٨-١٠٣-٩٩-٩٨-٩٧-٩٦
 بيتوا ج ١ ١٤٣ (١٤٠) ١١٤-١١٣-١١٢-١١٠-١٠٩
 بيم التونسي ج ٢ ٢١١ ٣٢ (ج ٢) ١٣٤-١٣٠-١٢٥-١١٥
 بيروت ج ١ ٥٩-٥٧-٥٦-٣٥-٢١ ١٤٢-٦٠
 الترك ورده ج ٢ ٦٥ ١٤٢-٦٠
 تركي بن السعود ج ٢ ٢١٦ ٩٤-٩٠-٨٧-٧٦-٧٥-٧٠-٦٠
 تسوشيا ج ١ ٢٩-٢٨ ١٠٤-١٠٩-١١٥-١٣٠-١٣٤
 تقلا سليم ج ١ ١٦ ١٤٣-١٤٢-١٤٠-٨
 تقى الدين امين ج ٢ ١٧٣ ١٥٠
 تقى الدين رشيد ج ٢ ٢٠٤ ١٧٣
 تيلسون ج ٢ ١٠٨-١٠٠ ١٧٧
 التوابع والزوايع (كتاب) ج ٢ ١٧٧
 تورا ج ٢ ٢٣ ١٧٧
 توفيق رضا ج ١ ٩٠
 توفيق منيره ج ٢ ٦٥
 تولستوي ج ٢ ٤٥
 تونس ج ١ ١٥-٣٨-٥٢ (ج ٢) ١٩٣-٩٥
 التونسي محمد عمر ج ٢ ١٤١
 التوم (كتاب) ج ٢ ١٧٧
 تيبث ج ١ ٨
 تيجوكا (اسم شلال) ج ٢ ١٣١
 تيمور محمد ج ٢ ٤٢
- بيرون ج ٢ ١٥٠
 بيم محمد جميل ج ٢ ٥٠
 بيم مختار ج ١ ٥٦
 التاجي سليمان ج ١ ٩٦-٩٥
 تاريخ التمدن الحديث (كتاب) ج ٢ ١٥٣
 تاريخ العرب (كتاب) ج ٢ ١٥٤
 تايز (نهر) ج ١ ٧٤
 تحرير المرأة (كتاب) ج ٢ ٣٩-٥٠
 تدمر ج ١ ٢٣-١٤٣ (ج ٢) ٤٦
 ترافلغاد ج ١ ١٤٥
 ترجمة شيطان (قصيدة) ج ٢ ١٧٧
 قرة السويس ج ١ ٧١

- تيمور محمود ج ٢ ٣٠-١٥٣
 التيمورية عائشة ج ٢ ٥٣-٦٥-٦٦
 جرجاني (ج ٢) ٢٢١
 الجرّ شكر الله ج ٢ ٧٢-١٣١-١٣٦
 الجرّ عقل ج ٢ ٧٢
 جرمانيه ج ٢ ١٤١
 جريدني سامي ج ٢ (١٤٩)
 جرير ج ٢ ١٨٠
 جزائر ج ١ ٣٨
 الجزائري الأمير سعيد ج ١ ١٣٠
 الجزائري سليم ج ١ ٨٥٦
 الجزيرة ج ١ ٨٥-٩٥-١١٣-١٢٤-١٤٠
 ١٤٤-١٤٨ (ج ٢) ٧١
 الجزيري حسين ج ٢ ١٩٣
 جسر برو كلين ج ٢ ٧٠
 جلال محمد عثمان ج ٢ ١٤٧-٢١١
 الجالغ سعد ج ٢ ٢١٤
 جمال باشا احمد ج ١ ٦٩-٧١-٧٢-٧٣-٧٤
 ١٠٩-١٠٨-٧٠١-٥٨-٣٨-٥٨
 جمال الدين نجوى ج ٢ ٥٠
 جمعه محمد لطفي ج ٢ ١٦٢
 جمهرة اشعار العرب (كتاب) ج ١ ١٣٥
 جميل ج ٢ ٢٩
 الجندي امين ج ٢ ٢٠٣
 جنكيز ج ١ ١١٣-١١٤
 جنيف ج ١ ١٣٠ (ج ٢) ١٣
 الجواهري عبد العزيز ج ١ ٥٣-١٣٠-١٣٣
 ١٤٩ (ج ٢) ٢٦
 الثعالي ج ٢ ١٦٤
 ثمرات الأوراق (كتاب) ج ١ ١٣٨
 ثورة الادب (كتاب) ج ٢ ٣٩
 ثورة في الجحيم (قصيدة) ج ٢ ١٧٧
 ثيبه ج ١ ١٤٥
 ٦٨١-٦٥١-٦٥١-٦٥١
 ج
 الجاحظ ج ٢ ٦-١٥٥-١٥٧
 الجارم علي ج ١ ٧٦-٥٠ (ج ٢) ١٦-٢٦
 ٢٧
 الجامعة الامير كيتة ج ٢ ١٤٢
 جامعة براغ ج ٢ ٢١٦
 جامعة الدول العربية ج ١ ١٥١-١٥٢
 جبران خليل جبران ج ٢ ٣٧-٣٨-٥٧
 ٧٣-٧٤-٨٠-٨٧-٨٨-٩٣-٩٤
 ١٠١-١٣٠-١٣١-١٣٨-١٥٤
 ١٨٣-١٩٧-١٩٩
 جبوري شفيق ج ١ ١٣٢-١٤٨ (ج ٢) ١٣٠
 جبل الشيخ (حرمون) ج ٢ ١٣٦
 الجبل الملهم ج ٢ ١٥٤
 جبور فريد ج ٢ ٢١٤

- الجواهري مهدي ج ١ ١٢٦ (ج ٢) ٣٩-
 الاحدب ابراهيم ج ١ ٢٠ (ج ٢) ١٦٢-
 حرب السبعين ج ١ ١٤٥
 حرية الفكر (كتاب) ج ٢ ٣٩
 الحريري ج ٢ ١٥٧
 حسون رزق الله ج ١ ٢٢-٢٣-٢٤
 حسين بن علي ج ١ ١١٢-١١٩-١٢٥-
 ١٢٧-١٣٤-١٤٧-١٤٨-١٤٩-
 (ج ٢) ١٧٦
 حسين طه ج ٢ ٣٨-٨٨-٩١-١٤٨-
 ١٥٣-١٥٨
 الحكيم توفيق ج ٢ ١٥٣-١٦٤-١٨٣
 الحلم المربع (قصيدة) ج ٢ ١٧٧
 حلمي ابراهيم ج ٢ ١٠
 الحماية البريطانية ج ١ ٧٤
 الحمراء (اسم قصر) ج ١ ١٤١
 الحمصي قسطنطين ج ٢ ١٤٨
 حمود محمد يوسف ج ٢ ٢٠٣
 الحولي عبده ج ٢ ١٨١
 الحوي محمد حسن ج ١ ٢٠
 حميد ج ١ ٢٨
 الحناوي رشيد ج ١ ١٤٠-١٧-٢٧
 الحناوي محمد ج ٢ ٢٠٢
 حوران ج ١ ٣١
 الحوراني ابراهيم ج ٢ ٨٨
 الحوراني البرت ج ٢ ١٥٤
 حول الجزيرة العربية (كتاب) ج ٢ ١٥٤
 حول المرأة (كتاب) ج ٢ ٥٣-٥٠
 الجواهري مهدي ج ١ ١٢٦ (ج ٢) ٣٩-
 ١١٨-١٣٧
 جودت احمد ج ١ ٩٣
 الجورنال (جريدة) ج ١ ٧٩
 الجليل الجديد (كتاب) ج ٢ ١١٠
 ح
 حاتم طي ج ١ ١٣٨
 الحاج نعمه ج ٢ ٧٦
 حامد بدر الدين ج ٢ ١٣٢-١٤٨
 الحبال حسين ج ١ ٧٢
 الحبتوني محمود ج ١ ١٤٣ (ج ٢) ١٣٥
 الحفي خليل ايوب ج ٢ ٢١٤
 الحفي فيليب ج ١ ٦٧ (ج ٢) ٤٥-١٥٤
 حجاز ج ١ ١٦-٣٧-٥٣-٦٨-٦٩-٧٧
 ٨٠-٨٤-٨٥-١٠٧-١٠٩-١١٠
 ١١٢-١١٣-١١٤-١١٧-١٣٠-
 ١٣٣-١٤٣-١٤٨ (ج ٢) ٩٥-١٩٣
 ٢١٥-
 الحداد الياس ج ٢ ١٥١
 الحداد امين ج ٢ ٢٧-١٤٨
 الحداد شديد باز ج ٢ ١٥١
 الحداد نجيب ج ١ ٨٥-٢٢ (ج ٢) ١٤-
 ١٧-٣٤-١٤٨-١٤٩-١٦٤
 الحداد ندره ج ١ ٧٨-١٧٤
 الحداد نقولا ج ٢ ١٧٤-٥٣

- الحوماني علي ج ١ ١٣٣ (ج ٢) ٥٩
 حومد عبد الوهاب ج ٢ ١٤٩
 حي بن يقظان ج ٢ ١٨٢
 حيدر سليم ج ١ ١٤٦
 حيدر يوسف ج ١ ٩٧
 خ
 خالد بن الوليد ج ١ ١٣٩-١٤٠-١٤٥
 الخالدي روعي ج ١ ٢٢-٢٣
 الخالدي غنبره سلام ج ٢ ٦٤
 خدوري ج ٢ ٧١
 الخريده (كتاب) ج ٢ ١٦٤
 الخزرجي عاتكه ج ٢ ٦٤
 خزندار حسين ج ٢ ١٩٣-٢٠٠
 الخطيب فؤاد ج ١ ١١٣-١٣٢-١٤٨
 (ج ٢) ١٥٠
 الخفيف محمود ج ٢ ٣٩-١٢٤-١٣٨
 الخليلي عباس ميرزا ج ٢ ١٤٨
 الخوارزمي ج ٢ ١٧٥
 الخوري بشاره ج ١ ٣٤-١٤٩ (ج ٢) ١٢٣
 الخوري خليل ج ١ ٢١
 الخوري رثيف ج ٢ ٤٢-٢٠٠
 الخوري رشيد (الشاعر القروي) ج ١ ٦٥
 -١٠٢-١١٠-١١١-١٣٣-١٤٩
 (ج ٢) ٧٢-٧٣-٧٧-٧٨-٨١-١٣٢
 - ١٣٦
 الخوري شحاده ج ٢ ٥٠-٢٠٠
 الخوري فارس ج ١ ٣٤-٤٠-١٣٢
 الخوري يوسف مراد ج ٢ ٥٨-١٧٣
 خوله بنت الازور ج ١ ١٣٨-١٣٩
 الخلافه ج ١ ١١-١٢-١٣-١٤-١٥-٢٦
 ٣٧-٤٢-٤٣-٤٤-٥٣-٥٦-٦٩
 ٧٠-٧٤-٧٧-٧٨-٨٢-٩٧-١٠٥
 -١١٩-١٣٥-١٤٠-١٤٨ (ج ٢) ٥-
 -٣٢-٦٥-٦٥-٦٥-٦٥-٦٥-٦٥
 خير الله خير الله ج ٢ ١٥٤
 خير ي بديع ج ٢ ٢١١-٧٢
 الخطاط محي الدين ج ١ ٢٠-٢٦-٣٤
 الحيام عمر ج ٢ ١٠٣-١٤٥-١٤٦
 -٢٧-٢٧
 -٧٠١-٧٠١-٧٠١-٧٠١-٧٠١-٧٠١-٧٠١
 -٨١١-٨١١-٨١١-٨١١-٨١١-٨١١-٨١١
 -٨٢١-٨٢١-٨٢١-٨٢١-٨٢١-٨٢١-٨٢١
 دارون ج ٢ ٨٨-٨٩ (ج ٢) ٦٦١
 داغر اسعد خليل ج ١ ١١٦-٥١١
 دانشواي ج ١ ١٢٤
 دانوب ج ١ ٤٩-٥١
 داود تمام ج ٢ ٦٦
 الدباغ ابراهيم ج ٢ ٥٢
 دجله ج ٢ ١٣٦
 الدجيلي ضياء الدين ج ٢ ١٣٣

- الدجلى كاظم ج ١ ٣٤-٧٦-١٣٢ (ج ٢) دي فيني الفرد ج ٢ ١٤٨
٢٦ دي موسى ج ٢ ١٤٩
- الدفاع (جريدة) ج ١ ١٤٧
دراسات في تاريخ المورو (كتاب) ج ٢ ١٥٤
دراويز ج ٢ ٧٣
دردنيل ج ١ ٧٢
الدر المنثور (كتاب) ج ٢ ٦٦
الدستور ج ١ ١٠-٢١-٢٦-٢٧-٣٠-٣١-٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٨
٤٩-٤٨-٤٧-٤٥-٤٣-٤٠-٣٩
٥٩-٥٨-٥٦-٥٥-٥٣-٥٢-٥٠
٦٦-٦٥-٦٤-٦٣-٦٢-٦١-٦٠
٩٣-٩٢-٩٠-٨٩-٧٣-٦٨-٦٧
١٣٣-١٣٠-١١٢-١٠٣-٩٦-٩٥
١٣٤ (ج ٢) ٣٢-٣٣-٣٤-٣٥-٣٦-٣٧
٧٩-٣٦
دمشق ج ١ ٢١-٥٦-٦٠-٨١-١٠٧-١٠٩-١١١-١١٥-١١٧-١١٨
١٢٨-١٣٠-١٣١-١٣٢-١٣٩
١٤٣ (ج ٢) ٥-١٤-٥٣-٧٩
٢٠١-١١٥
دموس حلیم ج ١ ١٤٩
دموس شبل ج ١ ٣٤
الدهان سامي ج ٢ ١٤٩
دوريفه هرمن ج ٢ ١٥١
دير الزور ج ٢ ١١٨
ديكنس ج ٢ ٤٥
- ذ
الذخيرة (كتاب) ج ٢ ١٦٤
ذو الرمة ج ٢ ١٢٦
- الرابطة القلمية (جمعية) ج ٢ ٧٤-١٩٣
راسين ج ٢ ١٤٧
راشد باشا ج ١ ٧٨
راشدین ج ١ ١٣٥
رافدين ج ١ ١١٩-١٢٧ (ج ٢) ١١٨
الرافعي امين ج ١ ١٢١ (ج ٢) ٢٦-٢٠٢
الرافعي عبد الحميد ج ١ ٢٠-٩٦
الرافعي مصطفى صادق ج ١ ١٢ (ج ٢) ٢٧
١٣٨-٩٧
رامي احمد ج ٢ ١٣٤-١٤٦-٢٠٤
الرحباني ابراهيم ج ٢ ١٥٤
رزق الله نقولا ج ١ ٣٩-٦١ (ج ٢) ١٨٥
رسالة الانسان والحيوان (كتاب) ج ٢ ١٨٣
رسالة الغفران (كتاب) ج ٢ ١٧٧
رستم احد ج ٢ ١٥٤
رسكن ج ٢ ٤٥

- الوصافي معروف ج ١ ٣٤-٢٨-٢٥-٢٤
١١٧-١٣١-١٣٨ (ج ٢) ١٧٤-
١٩٦
الزمني عمر ج ٢ ٢٠٧
زغلول سعد ج ١ ١٢٤-١٣٢ (ج ٢) ١٦٦
زكي ابراهيم ج ٢ ١٣٧
زكي محمود ج ٢ ٢١
زخشري ج ٢ ١٥٧-٧٥
زنوبيا ج ١ ١٣٨ (ج ٢) ٤٦
زهاوي جميل ج ١ ٣٤-٣٣-٣٢-٢٤
٤٦-٧٥-١٠٩-١١٥-١٢٨-١٤٢
١٤٩ (ج ٢) ١٠-١٥-٢٦-٣٩
٥٧-١٠٣-١٠٦-١٠٧-١٢١
١٤٦-١٧٤-١٧٧-١٨١
الزهراري عبد الحميد ج ١ ١٠٧-٥٦
زمير ج ١ ٧
زيدان جرجي ج ١ ١٤-١٧-٦٤-٦٥
٩١ ٩٢ (ج ٢) ١٧-٤٩-١٥٣
١٥٦-١٥٩
زين اميل ج ٢ ١٤٨
زين الدين نظيره ج ٢ ٥٣-٦٦
الزيات احمد حسن ج ٢ ٢٢-٢٦-٥٦
١٢٢-١٤٨
١١٣-١١٠-١١٣
١٩٧
زخريا الياس ج ٢ ١٩٧
الزركلي خير الدين ج ١ ١١٣-١١٠-١١٣

- الشعوري ج ١ ٣٥
شعفه روز عطا الله ج ٢ ٦٦
الشدودي ابراهيم ج ٢ ٢١١
الشدياق احمد فارس ج ١ ١٥-٣٠ (ج ٢)
٢٥-٤٨-١٥٦
الشرتوني محبوب ج ٢ ٧٣-٧٨-١٣٨
شرف الدين علي ج ٢ ١٣٨-١٤٩
شرق ج ١ ٤٥-٤٦-٤٧-٤٩-٥٠-٥٧
٥٨-٦٣-٦٤-٦٥-٦٨-٧٧-٨٤
٨٥-٨٦-٨٧-٩٦-١٠٣-١٠٥
١٠٦-١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٤
١٢٧-١٣٣-١٣٤-١٣٦-١٣٧
١٤٣-١٤٤-١٤٥-١٤٦ (ج ٢) ١١
١٢-١٣-١٥-٢٤-٣٢-٣٣-٣٤
٣٦ ٤٥-٤٩-٥٢-٥٦-٦٨-٧١
٧٢-٧٤-٧٩-٨٤-٨٦-٩٠-٩١
٩٢-١١١-١١٩-١٣٦-١٤٠
١٤١-١٤٧-١٥٣-١٥٥-٢٠٦
٢١٦
شرق الاردن ج ٢ ٢١٥-٢١٦
الشرق العربي ج ٢ ٨-١٠-١٧-٢٠
٣٣-٤٧-٤٨-٦٠-٦٨-١٠٠
١٤٣-١٥٢-١٥٧
الشرقي علي ج ١ ١٢٨ (ج ٢) ٢٦-١٣٧
الشريف الرضي ج ٢ ٥-٧٢
الشرقي محمد ج ١ ١٣٢
شط العرب ج ١ ٦٩
شعراوي هدي ج ٢ ٥٢
شقيير سعيد باشا ج ١ ٣٤-٣٩-٤٨
شكري عبدالرحمن ج ٢ ٩٣-١٠٧
شكيبير ج ٢ ١٤٩-١٥٠
شارف درويش ج ٢ ١٥١
شلي ج ٢ ١٥٠
شميل شلي ج ١ ٢٣ (ج ٢) ٨٨-٩٠
الشنفرى ج ٢ ٣٢-١١٥
الشهابي بشير ج ٢ ٥
شهرزاد ج ٢ ١٣٦
شوقي احمد ج ١ ١٢-١٣-٣٧-٣٨-٤٢
٤٣-٥٦-٧٤-١٢٢-١٢٤-١٣٣
١٣٨-١٤١-١٤٨ (ج ٢) ١٣-١٦
٢١-٢٦-٢٨-٥٥-١٠٢-١٣٥
١٤٨-١٦١-١٧٥-١٨١-٢٠٢
٢٠٤
شوكت محمود ج ١ ٤٣
شبيب خليل ج ٢ ١٣٢-١٣٧-١٧٤
شيخو (الاب) ج ١ ٦٢
الشيرازي محمد تقى ج ١ ١٢٦
شيعه ج ١ ٦١
ص
صابر محمود ج ٢ ١٣٨
صابونجي لويس ج ١ ٢٢
صادق ج ١ ٥٥ (ج ٢) ١٦

- صادق حسن ج ٢ ١٥١٠
- صالح الياس ج ٢ ١٣-٣٤
- صايغ سلمى ج ٢ ٦٤
- الصبح المنبي (كتاب) ج ٢ ١٦٤
- صبري اسماعيل ج ١ ١٢-٤٣-٧٤ (ج ٢) ٤٠
- صدقه لبيبه صوايا ج ٢ ٦٥
- الصراف احمد حامد ج ٢ ١٤٦
- صروف فؤاد ج ١ ١٣٦
- صروف يعقوب ج ١ ٢٢-٩١ (ج ٢) ٨٨
- ١٦٠-١٥٩-١٠٧-٩١-٨٩
- صعب وليم ج ٢ ٢١٤
- صفي الدين ج ٢ ١٢٦-١٣١-٨٦١
- صقر عزت ج ٢ ٢١١
- صلاح الدين ج ١ ١١٨-١٤٥
- الصليبي نجيب ج ٢ ١٥٤
- صليبية ج ١ ١٤٥ (ج ٢) ٨٦-١٤١
- صنعاء ج ١ ١٤٣
- صنن (جبل) ج ٢ ٨٣
- الصنوبري ج ٢ ١٢٦
- صوايا جورج ج ١ ١١٠-١١٨-١٣٣
- (ج ٢) ٧٢-٧١
- صور ج ١ ١٤٣
- صولي ج ٢ ١٦٤
- صهيون ج ١ ١٥١ (ج ٢) ٤٤-١٠٠
- الصيرفي حسن ج ٢ ١٩٧
- صين ج ١ ١٢٠
- ض
- ضرار بن الازور ج ١ ١٣٨-١٣٩
- ضعون توفيق ج ٢ ٧٢
- ضياء الدين عزيز ج ٢ ٢٠٠-٨٢-٥٢
- ضيف احمد ج ٢ ٢١١
- ط
- طاق كسرى ج ١ ١٤٥-٢٨-٥٨
- طبريا ج ١ ١٣٩-٥٥ (ج ٢) ١٣٦
- طبقات ابن سعد (كتاب) ج ٢ ١٦٤
- طرابلس الغرب ج ١ ١٦-٢٧-٥١-٥٢
- ٩٣-٧٠-٥٧-٥٤
- طرابلسي امجد ج ٢ ١٣٨
- طراد ميشال ج ٢ ١٢٠-٢٧-٧٧
- طلعت بك ج ١ ٩٠
- طلعت منيره ج ٢ ٦٥
- طلبيان ج ١ ٥٢-٥٣
- الطنطاوي علي ج ٢ ٢٦٠-١٣٧
- الطنطاوي ناجي ج ٢ ١٤٨-١٥١
- طنين (جريدة) ج ١ ٩٧
- الطهطاوي رفاعه ج ٢ ٤٧-٤٨-١٤١٣
- ١٤٢
- طه علي محمود ج ١ ١٤٩ (ج ٢) ٢٦-١٢٤
- ١٩٧-١٧١-١٤٩
- طورميننا ج ٢ ١٣٦

طوغان ج ۱ ۲۹۰
طوغان ابراهيم ج ۱ ۱۳۳-۱۴۷-۱۴۸
۱۴۹ (ج ۲) ۲۰۲
طوغان فدوی ج ۲ ۶۵-۲۰۱-۱۰۱
ظ
الظريفي حسين ج ۲ ۵۹
ع
عائشه ج ۲ ۴۶
الغازوري نجيب ج ۱ ۸۵
العاصي (نهر) ج ۲ ۱۳۶
عباده عبدالفتاح ج ۲ ۵۰-۵۲-۷۲
العبادي حسين ج ۱ ۳۴ (ج ۲) ۲۱۵
عباس بن الاحنف ج ۱ ۷
عباس (الحدیوي) ج ۱ ۱۴-۷۴-۷۵
۵ (ج ۲)
عباسه بنت المهدي ج ۲ ۴۶
عباسی ج ۱ ۷۷-۱۳۵-۱۳۸-۱۴۰
۱۴۱ (ج ۲) ۵-۱۲-۱۲۷-۱۵۵
۱۶۵-۱۶۴
العبد امام ج ۲ ۲۱۱
عبد الحميد (السلطان) ج ۱ ۱۰-۱۱-۱۴
۱۸-۲۰-۲۱-۲۴-۲۵-۳۲-۳۳
۳۷-۴۰-۴۱-۴۲-۴۳-۴۴-۴۸

٨٧-٨٦-٨٥-٨٤-٨٣-٨٢-٨٠	٩٧-٩٥-٩٣-٩٣-٩١-٨٩-٨٨
٩٤-٩٣-٩٢-٩١-٩٠-٨٩-٨٨	-١٠٩-١٠٧-١٠٦-١٠٥-١٠٣
-١٠٠-٩٩-٩٨-٩٧-٩٦-٩٥	-٣٣-٣٢-١٦ (ج ٢) ١٤٧-١٣٣
-١٠٨-١٠٧-١٠٦-١٠٢-١٠١	٢١٥-١٥٥-١١٨-٧٩-٦٨
-١١٣-١١٢-١١١-١١٠-١٠٩	عجم ج ١ ١٣٥-١١٨
-١١٩-١١٨-١١٧-١١٦-١١٥	عجمي ماري ج ٢ ٦٥
-١٢٤-١٢٣-١٢٢-١٢١-١٢٠	عدنان ج ١ ١٣١ (ج ٢) ١٣٨
-١٣٤-١٣٣-١٣٢-١٣٠-١٢٨	العدوان غر ج ٢ ٢١٧
-١٣٩-١٣٨-١٣٧-١٣٦-١٣٥	عراق ج ١ ٣٢-٣١-٣٠-٢٧-٢٤-١٦
-١٤٦-١٤٥-١٤٤-١٤٣-١٤٠	٥٥-٥٣-٥٢-٤٩-٤١-٤٠-٣٤
-١٥١-١٥٠-١٤٩-١٤٨-١٤٧	٨٠-٧٧-٧٥-٧٣-٦٩-٦١-٦٠
١٥٢ (ج ٢) ١٢-١٠-٩-٨-٦-٥	٩٧-٩٥-٩٤-٨٩-٨٧-٨٥-٨٤
٣٢-٢٥-٢٤-٢٠-١٨-١٧-١٥	-١١٢-١٠٩-١٠٨-١٠٦-١٠٣
٥٠-٤٨-٤٦-٤٤-٤٣-٣٥-٣٤	-١٢١-١٢٠-١١٩-١١٧-١١٣
٨٨-٨٦-٧٩-٧٥-٧١-٦٩-٦٧	-١٢٩-١٢٨-١٢٦-١٢٥-١٢٤
١١٥-١١٤-١٠٨-٩٥-٩٢-٩١	-١٤٢-١٣٣-١٣٢-١٣١-١٣٠
-١٤٣-١٤٢-١٤١-١٤٠-١٢٧	٥ (ج ٢) ١٥١-١٥٠-١٤٩-١٤٣
-١٥١-١٤٩-١٤٨-١٤٧-١٤٥	٧٩-٦٠-٥٧-٥٦-٢٦-١٧-١٠
-١٦١-١٥٨-١٥٤-١٥٣-١٥٢	-١٩٣-١٤٦-١٢٦-١١٨-٨٧
-١٧٢-١٦٨-١٦٥-١٦٣-١٦٢	٢١٥-٢١٤
-١٩٧-١٩١-١٨٢-١٧٦-١٧٥	عرب ج ١ ٧-٩-١٠-١١-١٢-١٥
-٢١٣-٢٠٨-٢٠٧-٢٠٣-٢٠١	٢٤-٢٣-٢٢-٢١-٢٠-١٨-١٦
٢١٥	٣٧-٣٦-٣٤-٣٣-٣١-٣٠-٢٧
العربي احمد ج ٢ ١٩٣	٤٨-٤٧-٤٦-٤٥-٤١-٣٩-٣٨
العريض ابراهيم ج ٢ ١٧٤	٥٧-٥٦-٥٥-٥٤-٥٣-٥٢-٥١
عريضة نسيب ج ٢ ٩٦	٦٩-٦٨-٦٤-٦٣-٦٢-٦١-٥٨
عزّام عبد الوهاب ج ٢ ١٤٧	٧٩-٧٨-٧٧-٧٤-٧٣-٧١-٧٠

- عزیزه موسى يوسف ج ٢ ٧١
 عسیر ج ٢ ٢١٥
 عصبة الامم (جمعية) ج ٢ ١٢١-١٢٤-١٢٩
 عصبة الوطن العربي (جمعية) ج ١ ٧٩
 عطا الله امين ج ٢ ٢٠٨
 العطار احمد غفور ج ٢ ١٣٧
 عطيه ادورد ج ٢ ١٥٤
 عطيه فريده ج ٢ ٦٥
 العظم رفيق ج ١ ٦٧-٩٠-٩١
 عقت محمد ج ٢ ١٥٠
 العقاد عباس ج ١ ١٢٤ (ج ٢) ١٦-٢٦
 ٢٧-٣٥-٩٩ ١٠١-١٣٠-١٣٧
 ١٣٨-١٥٠-١٥٣-١٥٩-١٧٧
 العقد (كتاب) ج ١ ١٣٨
 عقل سعيد ج ٢ ١٧٤-١٨٥-٢٠٣
 عقل وديع ج ١ ٧٦
 على اطلال الماديه (كتاب) ج ٢ ٨٩
 على بساط الربح (كتاب) ج ٢ ١٧٧
 العلايلي جميله ج ٢ ٦٤-٦٥-٦٦
 علي (امير المؤمنين) ج ٢ ١٧٦
 علي بن حسين ج ١ ١٤٧
 علي جواد ج ٢ ١٥١
 علي (الملك) ج ١ ١٤٩
 علويون ج ٢ ١٧٦
 عماد الدين الاصفهاني ج ٢ ١٦٤-١٨٨
 عمر ج ١ ١٣٧
 عمر بن ابي ربيع ج ١ ٧ (ج ٢) ١٧٢
 العمري عبد الباقي ج ١ ٢٠-٣٨-١٨
 عثمان ج ١ ١٣١-٠٣١-٢٦١
 العواصف (كتاب) ج ٢ ٣٧-٢٥١
 عودة الروح (كتاب) ج ٢ ٣٧-٢٢
 عوض لويس ج ٢ ١٥٠ (ب ل ت) نابذ
 عواد سهدان ج ٢ ٢١٤١
 عويضة عبد الكريم ج ١ ٧١
 عيد الغدير (كتاب) ج ٢ ١٧٦
 عيسى (المسيح) ج ١ ٣٥-٤٧-٤٨-٥٠
 ٥٨-٥٩ ٦١-٦٢-٧٨-١٠٠
 ج ٢ ٤٩-٥٧-٧٣
 عيسى بن هشام (كتاب) ج ٢ ١٦٢
 عيساوي شاول ج ٢ ١٤٥
 عين شمس ج ١ ٦٢ ٨١١-١٦١-٢٦١
 غ
 غازي (ملك العراق) ج ١ ١٣٠-١٤٧-١٥٠
 غانم خليل ج ١ ٢٢-٧٩
 غانم شكري ج ٢ ٢٦-١٥٤
 غراي ج ٢ ١٥٠
 غرب (مغرب) ج ١ ٤٦-٤٨-٥٠-٥٢
 ٥٨-٨٤-٨٦ ١٠٦-١٢٧-١٤٣
 ١٤٤-١٤٥ (ج ٢) ٦-٨-١١-١٢
 ١٥-١٧-٢٤-٢٥-٣٢-٣٣-٣٥

- ٤٤-٤٥-٥١-٥٢-٦٨-٧٤-٧٥
٨١-٨٤-٨٦-٨٨-٩١-١١١-
١٣٦-١٤٠-١٤٣-١٤٧-١٥١-
١٥٢-١٥٣-١٥٥-١٥٧-١٦٢-
١٦٣-١٧٢-١٧٣-١٩٣-٢٠٦
غربال (كتاب) ج ٢ ٣٩-٧٥
غرناطه ج ١ ١٤١-١٤٣
غريب جورج ج ٢ ٢٠٢
غريب روز ج ٢ ٦٤
الغريب منصور شاهين ج ٢ ٢١٤
غسان ج ١ ٢٣
غصن شديد ج ٢ ٢١٤
غلاستون ج ١ ١٨
الغلاييني مصطفى ج ١ ٣٤-٥٥-١١٦-
١١٨-١٣١-١٣٣
غوته ج ٢ ١١١-١٥١
ف
الفائز محمد ج ٢ ١٩٣
فارس (فرس) ج ١ ١٣٥-١٤٥-١٤٤
١٤٥ (ج ٢) ٢٢-١٤٦
فارس بشير ج ٢ ١٣٦-١٨٦-١٩٧
الفاروق ج ١ ١٣٧
فاضل عبدالحق ج ٢ ١٤٦-١٨٥-٥٧
فاطمة الزهراء ج ١ ١٢-١٥٣-٣١١
فاطمية (خلافه) ج ١ ٧٧ (ج ٢) ٥
فاليري بول ج ٢ ١٤٨
فانديك ج ٢ ١٤٢
فاوست (كتاب) ج ٢ ١٥١
فناة غسان (كتاب) ج ٢ ٦٥
فني الجبل ج ١ ١٣٣
الفتح بن خاقان ج ٢ ١٦٤
الفتح بن علي ج ٢ ١٤٧
فتحي ج ١ ٥٥ (ج ٢) ١٦
الفتوحات المكيّة (كتاب) ج ٢ ١٧٧
فدرين ج ٢ ١٦
الفرات ج ٢ ٣٨-١٣٦
الفراتي محمد ج ٢ ١٠٧-١١٨-١٧٧
الفرج بعد الشدة (كتاب) ج ١ ١٣٨
فرحات الياس ج ١ ١١٠-١٣٣ (ج ٢) ٧٢
٧٨-٨٠-٨١-١٨٣
الفران الياس ج ١ ٣٦ (ج ٢) ٢١٤
الفرزدق ج ١ ١٣٥ (ج ٢) ١٨٠-١٨٨
فرقان ج ١ ٧٤-٩٧-٩٨ (ج ٢) ٢٣-٥٢
فرمان ج ١ ٨٩
فرنسا ج ١ ١١-١٢٤-١٢٥-١٣١-
١٣٢ (ج ٢) ١٦-٣٢-٣٥-١٤٣-
١٤٧-١٤٩-١٨٤
الفعالي اسعد الخوري ج ٢ ٢١٤
الفعالي خليل سمعان ج ١ ٣٥ (ج ٢) ٢١٤
فكري عبدالله ج ١ ١٢ (ج ٢) ٩٠-١٦٢
فلسطين ج ١ ٦٩-٩٥-١٣٠-١٣٣
١٤٧ (ج ٢) ٤٤-٧١-٧٩-١٠٠

- فهمي منصور ج ٢ ١٧
فؤاد باشا ج ١ ٢١
فوزي زينب ج ٢ ٥٣-٦٥-٦٦
فوزي سعد الدين ج ٢ ١٥١
في الادب الجاهلي (كتاب) ج ٢ ٣٨
فيتزجرالد ج ٢ ١٤٥
فيرلين ج ٢ ١٤٨
فيروزشاه ج ٢ ١٦٣
فيصل الأول ج ١ ١١٥-١١٨-١٢٥-١٢٨
فيتا ج ٢ ١٥٠
فينوس ج ٢ ١٥٠
فينيقيا ج ١ ٢٣-١٤٥-١٤٦
فيثاض الياس ج ١ ٣٤-١٤١-١٧٣
فيثاض نقولا ج ١ ٣٤-٤٨-٥٤
١٤٨-١٤٩-١٦٦-١٩٤
قابوس ج ٢ ١٨٨
قادسيه ج ١ ١٤٥-٨٥-٧٥
قازان نعمه ج ٢ ٧٨
القاضي بونس ج ٢ ٢١١
القانون الاساسي ج ١ ٥٠
القاهرة ج ١ ٥٦-٧٧ (ج ٢) ٢٠-٢٠١-٢١٦
قبرس ج ١ ٣٣-١٤٨
قسطن ج ١ ١٣١
القمطانية (جمعية) ج ١ ٩١
قدري فاطمه ج ٢ ٢٠٨
قدري محمد ج ١ ٢٢
قدس ج ١ ١١٥
قدموس (كتاب) ج ٢ ١٨٦
قربان توفيق ج ٢ ٧٢
القرص ج ١ ٢٣
قروطيه ج ١ ١٤٣-١٤٥ (ج ٢) ٢٠١
قرم شارل ج ٢ ١٥٤
قريش ج ١ ١١٠-١٢٨-١٣٥-١٣٨-١٤٤
١٤٨-١٤٤
القزيعي علي ج ٢ ٢١٧
القصر العيني ج ٢ ١٥٦
قصه عربي (كتاب) ج ٢ ١٥٤
قطب سيّد ج ٢ ١٠٨
قفقاسيا ج ١ ٧١
قفقي محمد ج ٢ ١٩٣
قلائد العقيان (كتاب) ج ٢ ١٦٤
قلماري سهر ج ٢ ٦٤-٦٦
قذيل احمد ج ٢ ٩٥-١٩٣
قنصل الياس ج ١ ١٣٣ (ج ٢) ٧١-٧٢
القوسي احمد ج ٢ ٢٠٨
قوم جديد (كتاب) ج ١ ٩٣
قيروان ج ١ ١٤٣
قيس وليلى (كتاب) ج ٢ ١٥٤
قيصر ج ١ ١٢-١٤٤ (ج ٢) ١٥٠

- ك
كلخانه ج ١ ٨٩
كلشان (ديوان) ج ٢ ١٤٦
كليله ودمنه ج ٢ ١٦١-١٨٣
الكنج (نهر) ج ٢ ٣٨-٧٣
كنسغلي ج ٢ ٤٥
الكواكبي عبدالرحمن ج ١ ٢٢-٨٢-٨٣
٨٤
كوثر ج ٢ ٣١
كورنابل ج ٢ ١٤٧-١٤٨
كوفه ج ١ ١٢٦
كيتس ج ٢ ١٥٠
كيليكيا ج ١ ٢٣
كبلنغ ج ٢ ١٥٠
كراتشوفسكي ج ٢ ١٤٣
كرامه بطرس ج ١ ٢٠
كران ج ١ ١٢٩
كرم عقيقه ج ٢ ٦٦
كرممل ج ٢ ١٣٦
كرومر ج ١ ١٢٢-١٨
كربت ج ١ ٣٣-٥١
كريم موسى ج ٢ ٧١
كزما محمد ج ٢ ١٤٩
كسرى ج ١ ١٢-١٣٥-١٤٠-١٤٤
كشاجم ج ٢ ١٢٦
كعب بن مامه ج ١ ١٣٨
كفرشيا ج ٢ ٨١
الكفوري عساف ج ٢ ٥٤
كلخانه ج ١ ٨٩
كلشان (ديوان) ج ٢ ١٤٦
كليله ودمنه ج ٢ ١٦١-١٨٣
الكنج (نهر) ج ٢ ٣٨-٧٣
كنسغلي ج ٢ ٤٥
الكواكبي عبدالرحمن ج ١ ٢٢-٨٢-٨٣
٨٤
كوثر ج ٢ ٣١
كورنابل ج ٢ ١٤٧-١٤٨
كوفه ج ١ ١٢٦
كيتس ج ٢ ١٥٠
كيليكيا ج ١ ٢٣
كبلنغ ج ٢ ١٥٠
كراتشوفسكي ج ٢ ١٤٣
كرامه بطرس ج ١ ٢٠
كران ج ١ ١٢٩
كرم عقيقه ج ٢ ٦٦
كرممل ج ٢ ١٣٦
كرومر ج ١ ١٢٢-١٨
كربت ج ١ ٣٣-٥١
كريم موسى ج ٢ ٧١
كزما محمد ج ٢ ١٤٩
كسرى ج ١ ١٢-١٣٥-١٤٠-١٤٤
كشاجم ج ٢ ١٢٦
كعب بن مامه ج ١ ١٣٨
كفرشيا ج ٢ ٨١
الكفوري عساف ج ٢ ٥٤
لسان الحال (جريدة) ج ١ ٤٧
لسان الدين بن الخطيب ج ٢ ١٨٨-١٩١

- لطفی احمد السید ج ٢ ١١١
لسنغ ج ٢ ١٥١
لندن ج ١ ٢٣-٨ (ج ٢) ٣٨-٤٠-١٣٦
لونغفلو ج ٢ ١٥٠
ليالي الروح الخائو (كتاب) ج ٢ ١٦٢
ليالي مطيع (كتاب) ج ٢ ١٦٢
ليجيا (قصيدة) ج ٢ ١٧٤
الليثي علي ج ٢ ١٥٦
لبلي ج ٢ ٢٩
م
ما بين النهرين ج ١ ٦٩
الماجي محمد مصطفى ج ٢ ١٧٤
مأرب ج ١ ١٤٣
ماركوس انطونيوس ج ٢ ١٥٠
المازني ج ٢ ١٢٤
ماسفيلد ج ٢ ١٥٠
المأمون بن الرشيد ج ١ ١٤٠ (ج ٢) ١٤٠
ماهر رشدي ج ٢ ٢٧
مبارك اميل ج ٢ ٢٠٩-١٢٠
مبعوثان ج ١ ٤٩
المتنبي ج ١ ٧-٨-١٣٥-١٣٨ (ج ٢) ٧٢
٧٦ ٨٦-١٠٥-١١٤-١١٥-١١٦
١٣٠-١٨٠-١٨٧-١٩٥
المتوكل ج ١ ١٤٣
مجنوب محمد ج ٢ ٢٠٢
المجر ج ١ ٩٤
مجر بطي ج ٢ ٢٣
محاسبي ج ٢ ١٧٧
محرم احمد ج ٢ ١٦-٢٦-١١٦-١٢٢
محمود عبد المسيح ج ١ ١٤٩
المحفوظات الملكية في مصر (كتاب) ج ٢
١٥٤
محصاني محمد ج ١ ٥٦
محمد النسي (النبي) ج ١ ٧١-١٠٥-
١٣٩-١٤٠-١٤٤ (ج ٢) ٧٣-١٥٤
محمد رشاد ج ١ ٤٠-٤٤
محمد عطيه ج ٢ ٢٠٨
محمد فتحه ج ٢ ٦٦
محمد كامل امين ج ٢ ١٣٧
محمود خان (السلطان) ج ١ ٢٢
مخلع جبرائيل ج ٢ ١٤٧
المداين ج ١ ١٤٣-١٤٥
مدحت باشا ج ١ ٢١-٧٨-٧٩
مدكور ابراهيم بيومي ج ٢ ١٠٢
المدينة ج ٢ ٢٠١
مرآة الغرب (جريدة) ج ١ ٤٠-٤٥
المرآة الجديدة (كتاب) ج ٢ ٣٩-٤٩
المرآة في التمدن الحديث (كتاب) ج ٢ ٥٠
المرآة في الشرائع (كتاب) ج ٢ ٥٠
المرآة في عصر الديموقراطية (كتاب) ج ٢
٥٣-٥٠
مرآش فتح الله ج ١ ٢٢-٢٣-٥٠

- مرآش فرنسيس ج ٢ ٥٩
مرآش مريانا ج ٢ ٦٥
مردم خليل ج ١ ١٣٢ (ج ٢) ٢١
المرسي احمد فتحي ج ٢ ١٤٩
المرعي سالم ج ٢ ٢١٧
مرقس ادوار ج ٢ ١٧٤
المستطرف (كتاب) ج ١ ١٣٨
مستنصرية ج ١ ١٤٢
مسرحة عنتر (كتاب) ج ٢ ١٥٤
مسعود حبيب ج ٢ ٧٢
مسعود محمد ج ٢ ١٣٨ ١٤٨
مسكوني يوسف يعقوب ج ٢ ٥٠
المسيح السوري (كتاب) ج ٢ ١٧٧
مشاري ج ٢ ٢١٦
مشرقية علي مصطفى ج ١ ١٣٦
المشير (جريدة) ج ١ ٣٣
مصارع العشاق (كتاب) ج ١ ١٣٨
مصر ج ١ ١١٧-١٢-١٣-١٤-١٥-١٦
١٨-٢٠-٢٢-٢٤-٢٨-٣٠-٣١
٤٩-٤٣-٤٢-٣٨-٣٧-٣٦-٣٤
٥٢-٥٣-٥٥-٥٦-٥٧-٥٨-٦١
٦٢-٧٢-٧٣-٧٤-٧٥-٧٧-٧٨
٨٣-٨٤-٨٧-٩٠-٩٢-٩٦-١٠٢
١٠٥-١٠٧-١١٢-١١٩-١٢٠-
١٢١-١٢٢-١٢٣-١٢٤-١٢٦-
١٣٢-١٣٣-١٤٤-١٤٦-١٥١ (ج ٢)
٥-١٠-١٣-١٦-١٧-٢٦-٢٨
- ٢٩-٣٠-٣٥-٤٧-٤٨-٥٢-٥٣
٥٦-٥٩-٦٠-٧١-٧٥-٧٩-٩٠
١١٥-١١٦-١١٧-١٢٦-١٤١-
١٤٢-١٤٣-١٥٢-١٦٢-١٩٣-
٢٠٨-٢٠٩-٢١١-٢١٢-٢١٣-
٢١٤ (٢٢٢) (٢٢٢) (٢٢٢)
المصري ابراهيم ج ٢ ١٤٩-١٦٤
المصري حسين شفيق ج ٢ ٢١١
المصري عبد الحليم ج ١ ١٣٧ (ج ٢) ٥٦
مصطفى كمال اتاتورك ج ٢ ٦٠
مصطفى لطفي المنفلوطي ج ١ ١٤٥ (ج ٢)
٢٠-٥٦
مطران خليل ج ١ ١٦-١٠٥-١٢٣-
١٢٤-١٤٦ (ج ٢) ٢٩-٤١-٥٨-
١٤٩-١٦٤-١٧٣-١٨١-١٩٧-
مظفر باشا ج ١ ٢٠٢
مظلوم مدحت ج ٢ ١٥١
مظهر اسماعيل ج ٢ ٥٠
المعادي بطرس حنا ديب ج ٢ ٢١٤
معاوية ج ٢ ٣٢
معجم الادباء (كتاب) ج ٢ ١٦٤
المعراج ج ٢ ١٧٧
المعرض (جريدة) ج ١ ١٤٧
المعري ابو العلاء ج ١ ٧-١٣٨ (ج ٢) ٥
٦-٣٣-٤٦-٤٧-٧٢-٩٢-٩٣-
١٠٦ ١٧٧-١٨٨
المعري يبصر (قصيدة) ج ٢ ١٧٧

- المعلوف رياض ج ٢ ١٣٦
المعلوف شفيق ج ٢ ١٧٧-١٠٣-٧٢
١٨٢ ١٧٩
المعلوف عيسى اسكندر ج ٢ ١٥٠
المعلوف فوزي ج ٢ ١٥٣-٧٣-٥٤
١٧٩-١٧٧
معن ج ١ ١٣٨
مغول ج ٢ ٣٢-١٢
مفرج توفيق ج ٢ ٢٠٠
المفيد (جريدة) ج ١ ٩٦
المقتطف ج ١ ١٣٦ (٢ ج) ٨٣ ٥٠-٢٥
١٦١-١٥٦-١٥٥-١١٢
المقطم ج ١ ٧٩
مكرزل نعوم ج ١ ٣٤
مكة ج ١ ١٤٤-١١٢-٧٤-٣٧
ملتون ج ٢ ١٥٠
ملوفا ج ١ ١٢
المنار (مجلة) ج ١ ٩١ ١٠٠
المنجد صلاح الدين ج ٢ ١٤٩
مندور محمد ج ٢ ١٤٩
منسى احمد ابو الخضر ج ٢ ١٤٨
منصور باشا عمر ج ١ ٩٣
الملائكة نازك ج ٢ ٦٥-٨-٣٢
الملاط تامر ج ٢ ١٤
الملاط شبلي ج ١ ١٣٨-١٠٥-٥١-٣٤
١٤٩ (٢ ج) ١٤٨-١٤٩-١٧٣
مهاجر ج ١ ١٢٤-١١٧-١١٠
موريس ج ٢ ٤٥
موسى ج ٢ ٧٣
موسى بن نصير ج ١ ١٤٥
موسى سلامه ج ٢ ٨٨-٣٩
موسيل ج ٢ ٢١٦
موليار ج ٢ ١٤٧ ١٤٨
المويلحي ابراهيم ج ١ ١٢ (٢ ج) ١٦٢
الميثاق الانتلانتىكي ج ٢ ٤٤
مى ج ٢ ٢٠٠-١٦٦-٦٦
مير بصري ج ٢ ١٧٤
ميسلون ج ١ ١٣٢-١١٩ (٢ ج) ٧٩
ميسون امرأة معاوية ج ٢ ١١٥
ميكادو ج ١ ٢٨
ميناء ارثور ج ١ ٢٩
ن
نابغه ج ٢ ١٢٦-١١٤
نابوليون ج ١ ١٤٥
ناصر الدين امين ج ١ ١١٥-٩٩-٣٤-٢٩
١٤٨ (٢ ج) ٥٩
ناصف مجد الدين ج ٢ ٥٠-٢٢-٨٨
ناصف ملك حفي ج ٢ ٦٦-٦٥-٥٢
نبراس (جريدة) ج ١ ٩٠
النبهاني يوسف ج ١ ٨٥
النجار ابراهيم سليم ج ٢ ١٤٩-١٤٨
النجار محمد ج ٢ ٢١١

- نجد ج ١ ٨-٨٥ (ج ٢) ٢١٥
 النجفي احمد الصافي ج ٢ ١٠-١١-٢٦-
 ١٢١-١٤٦
 النجفي يعقوب ج ٢ ٢١٥
 النجفي محمد حسن ج ٢ ٥٩
 نجيب امينه ج ٢ ٦٥
 نحاس جبران ج ٢ ١٤٨
 نخله امين ج ٢ ٢١٤
 نخله رشيد ج ٢ ٢١٣
 نديم عبدالله ج ١ ١٢-١٤ (ج ٢) ١٧-
 ١٦٦-٢١١
 النساءيات (كتاب) ج ٢ ٥٠-٦٦
 نسيم احمد ج ١ ١٢-٤٣-١٢٣ (ج ٢) ٢٦
 النشار عبداللطيف ج ٢ ١٣٨-١٥١
 نصارى ج ١ ٤٣
 نصار محمد ج ٢ ٢١٥
 نظم محمود رمزي ج ٢ ٢١١
 نعساني بدر الدين ج ١ ٧٢-٧٣
 النعمان ج ٢ ١١٤-١٧٥
 نعمة الله ارنست ج ٢ ٢٠٢
 نعيمه مخايل ج ٢ ٣٩-٧٣-٧٤-٧٥-٨٢
 ٨٨-٩٩-١٠٢-١٣٦-١٦٦
 نعيمة ج ٢ ٢٥٤٦
 نقاش مارون ج ٢ ١٤٨ (١٦٣)
 نمر فارس ج ١ ٢٢-٢٣
 نير يوسف ج ٢ ٢٠٠
 نهج البلاغة (كتاب) ج ٢ ١٥٧
 نهضة المرأة المصرية (كتاب) ج ٢ ٥٠
 نهر الكلب ج ٢ ١٣٦
 نور الدين فؤاد ج ٢ ١٤٩
 نيازي ج ١ ٣٥-٤٣-٥٤-٦٧
 نياغرا ج ٢ ١٣٦
 نيرون ج ٢ ٤١
 نيل (نهر) ج ١ ٤٩ (ج ٢) ٢٨-١١٧-١٣٥
 نيوتون ج ١ ١٤٥
 نيوبورك ج ١ ٨-٨٥ (ج ٢) ٧٠-٧٤-
 ٨٢
 هاردي ج ٢ ١٥٠
 هاشم لبيب ج ٢ ٦٦
 الهاشمي محمد ج ١ ١١٧-١٢٨-١٣٠-
 ١٣٣-١٤٠-١٤٨-١٤٩ (ج ٢) ٢٦
 الهراوي محمد ج ١ ١٧٦ (ج ٢) ١٣٧
 هرسك ج ١ ٥١
 هكتور ج ٢ ١٤٤-١٤٥
 الهلال (مجلة) ج ١ ٦٠-٩١
 الهشري محمد ج ٢ ١٠٨-١٣٥-١٧٧
 هند ج ١ ٨٢-٨٤-١٠٠-١٢٦-١٤٣
 (ج ٢) ٨-١٤٧
 الهنداوي خليل ج ٢ ١٤٨-٢٠٠
 الهنداوي خير ج ١ ٣٤-٥٣-٥٤ (ج ٢)
 ٢٧١-٤٣-١٧٤-٨٣١-٨٥ (ج ٢) ٢٣١
 هندي باقر ج ٢ ٢١٥-٢١١

لاهور جان ج ٢ ١٤٨
لاوتسو الحكيم الصيني ج ٢ ١١٠

ي

يابان ج ١ ٢٧-٢٨-٢٩-٣٠-٤٥-١٢٠
اليازجي ابراهيم ج ١ ٢٠-٨٠-٧١-٨٤
اليازجي خليل ج ٢ ١٧٥
اليازجي ناصيف ج ١ ٢٠١-٢١ (ج ٢) ١٦٢-
٢٠٦

اليازجي ورده ج ٢ ٥٣-٦٥
ياقوت ج ٢ ١٦٤
يتيمة الدهر (كتاب) ج ٢ ١٦٤
يثوب ج ١ ١٤٤
اليوموك ج ١ ١٣٩-١٤٠-١٤٤ (ج ٢)
١٣٦

يسوعيون ج ٢ ٧٣
يقظة العرب (كتاب) ج ٢ ١٤٥
يقظة الامة العربية (كتاب) ج ١ ٨٥
يكن ولي الدين ج ١ ١٨-١٩-٢٢-
٣٢-٣٣-٣٨-٤٢-٦٥-٦٧-٤٧
(ج ٢) ٨٨-٩

يلدز ج ١ ٤٠-٤٣-٦٦
يمن ج ١ ٣١-٨٠
يوسف علي ج ١ ١٧
يونان ج ١ ١٢-٢٧-٥١-٥٢-٥٣-
١٤٦ ج ٢ ٥٠-١٤٠-١٤٤-٢٠٧

هوميروس ج ٢ ١٤٤

هيفو ج ٢ ١٤٨٤٥

هيكل محمد حسين ج ١ ٧٣ (ج ٢) ٢٩-٨٨

و

واترلو ج ١ ١٤٥

وادي الفرات ج ١ ١٢٥-١٢٦

وادي موسى ج ٢ ١٣٦

وادي النيل ج ١ ٥٩-٧١-١١٩-١٢٤
(ج ٢) ١١٦

واشنطن ج ١ ١٤٥

وجدي محمد فريد ج ٢ ٥٦

وحي الرسالة (كتاب) ج ٢ ١٢٢

وربتات ج ٢ ١٤٢

وردسورث ج ٢ ١٥٠

الوساطة (كتاب) ج ٢ ١٨٠

وفيات الاعيان (كتاب) ج ٢ ١٦٤

الوقائع المصرية (جريدة) ج ٢ ١٥٨

ولاده بنت المستكفي ج ٢ ٤٦

ولنجتون ج ١ ١٤٥

ويلسون (الرئيس الاميركي) ج ٢ ٤٣

لا

لاتيني ج ٢ ١٤٠

لافونتن ج ٢ ١٤٧

لامارتين ج ٢ ١٣٠-١٤٨-١٤٩

تصويبات

في الجزء الاول

صفحة	سطر	الخطأ	صوابه
١٥	الحاشية	منتخبات الجواب	منتخبات الجوائب
٢٦	٢٣	عجيب لقوم	عجبت لقوم
٤٢	الحاشية	الشوقيات ١٢٦	الشوقيات ١٣٦
٨٢	٩	الطبع مائس	سائس
٨٧	٧	الشمس والقمر	للقمر
٨٩	العنوان	واثرها العربي	واثرها الادبي
٩٧	٢٣	يلثم عرضهم	يلثم
٩٩	٤	بالغة الهدى	بالغة
١٢٥	٢٤	سياسة الارهاق	الارهاب
١٤١	٥	ينجي بالائة	بالائة
١٤١	الحاشية	عبد المحسن الفاطمي	الكاظمي

في الجزء الثاني

١٠	١٥	نسمع الدجيلي	احمد الصافي
٥٦	٢٠	كالبنات	كالنبات
٦٤	٣	لا تزال	بل هي تزال
١٠٣	١٦	بدوي الجفل	بدوي الجبل
١٠٣	الحاشية ٢	المكشوف ٤١	المكشوف ٤
١٢٣	الحاشية ٣	آب	١ آب
١٢٧	١٣	الومق	الوامق
١٨١	٢٠	٥١ دمة	انا دمة
١٩٥	٩	اسقينيها	اسقنيها

في فهرس الاعلام

سقط سهواً من باب الالف الاسماء التالية :

الاحدب (ابراهيم) ج ١ ٢ وج ٢ ١٦٢ والاخشيدية ج ٢ ٥ والامير (محمد) ج ٢
١٢٤ وايوب رشيد ج ١ ١٠١-١١٤ ج ٢ ٧٠-١١٣-١٣٣-١٨٢

من مؤلفات صاحب الكتاب

تطور الاساليب النثرية - يتناول، في ٤٥٠ صفحة كبيرة، النثر العربي وخصائصه الفنية منذ بزوغ الاسلام الى الوقت الحاضر

امراء الشعر في العصر العباسي - وهو دراسات تحليلية لادب ثمانية من اشهر شعراء العرب وللمجود الذي نشأوا فيه. ويقع في اكثر من ٤٠٠ صفحة كبيرة

المختارات السائرة - وهي مجموعة من روائع الشعر والنثر بما ذاع في الاقطار لسمو معانيه وجمال مبانيه وقد رُتّب بحسب المواضيع وصُدرت بدراسات في الفنون الادبية وخصائصها الرئيسية

الدول العربية وآدابها - وهو موجز في تاريخ الادب العربي يتناول الدول العربية ومانشأ فيها من الآداب منذ اقدم العصور الى الوقت الحاضر

وهناك مؤلفات اخرى تطلب من صاحبها او من المطبعة الامركانية في بيروت او دار العلم للملايين وسائر دور الكتب الهامة

LITERARY TRENDS

in the

MODERN ARAB WORLD

**A STUDY of the POLITICAL, SOCIAL and
INTELLECTUAL BACKGROUND of ARABIC
LITERATURE in the FIRST HALF
of the TWENTIETH CENTURY**

by

ANIS KHURI MAKDISI

**PROFESSOR-EMERITUS of ARABIC LITERATURE
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT**

BEIRUT, LEBANON

1952

M

LIBRARY

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



00512642

